قاعة اللاموتي

محمود عليوة

إسم الـــــكـتـاب :قاعة اللاموتي

إسم الكـــــاتـــب : محمود عليوة

تصميم الغـــــلاف : عبدالله عباس

تدقيق لـــــغـــوي :فاطمة هاشم

رقـــــم إيـــــداع :

تـــرقيم دولـــــي :

شارك سطورك مع العالم

قاعة اللاموتي

محمود عليوة

The Writer Operation

شارك سطورك مع العالم

إهداء إلى

نفسي التي أرهقتها الحياة وضجيج أفكار عقلي المتبعثرة على جرف السماء.

ومن ثم أولًا وأخيرًا أُهدي هذه الرواية إلى أعظم سيدة في الكون (أمي) المؤمنة بأفكاري والداعم الأكبر لي.

في هذه الحياة، رغم قصر جهد يدها في الدنيا، ولكنها أعطتني ما هو أغلى من المال ألا وهو قلبها الطيب.

ودعواتها التي كانت سببًا في لطف خفٍ في المثابرة والمواجهة والقتال في ساحة حرب الحياة.

« بعد منتصف الليل»

كان القمر بدرا مكتملا ينير جميع المعمورة وبالتحديد في جنوب بحيرة البرلس، حيث توجد المزارع السمكية وأحواض السمك المعروفة المقسمة إلى أحواض مربعة ويفصل بينهم ترع الصرف وترع الري والطرق العمومية المنسقة عليها أعمدة الكهرباء، والبيوت متباعدة على حديه يفصل بينهم مسافات شاسعة والمكان أشبه بالخلاء كالبيوت المبنية علي بحر هادئ نحن الآن في مزرعة أحدهما في ذاك البيت القديم مكون من طابق واحد حيث مستلقي علي الأرض والنعاس يغلبه حتي غط في النوم ولكن حدث شيئا غريبا فهناك أصوات نباح الكلاب لم يعر الشاب المقبل علي ثلاث عقود، فهو معتاد علي أن كلبه ينبح علي الكلاب الضالة أمام مدخل المزرعة وعدة دقائق معدودة وينتهي الأمر ولكن حدث شيئا غريبا لم يتوقف النباح وظل حوال ربع ساعة تقريبا والنباح يؤرق منامه فاستيقظ من غفوته، فالنباح ليس عاديا يزداد شيئا فشيئا وبصوت قوى ومفزع يستدعى الانتباه اليه فقام من مرقده وهو خائف من الظلام فيتحسس كشافه الكهربائي وعند اقترابه من باب البيت تردد في فتح الباب ليرجع إلى الخلف ليفتح الباب الداخلي لساحة البيت الوسطي المحاطة بغرف أماميه وجانبية وسور علي الجائب الاخر فالبيت مكون من سبع غرف،ومن ثم يمسك بسلم خشبي ويصعده بهدوء لينير علي الكلاب لتتوقف عن نباحها العالي فجأة ليجدهم يلتفتون حول شيء غريب علي الأرض مما جعله يفرك عينيه ليدعي نفسه لاكتشاف ذلك الشيء فيلتفت خلفه لينير علي مزرعته التي مساحتها عشرون فدان تشبه المستطيل، ولكن هناك شيء لفت انتباهه وهو ينير علي مزرعته، فالأشجار المرصوصة علي يمين بيته تصدر أصوات أشبه بنعيق الغراب فيسترق النظر على الأشجار بكشافه فإذا بسرب من الغربان متجه نحوه كالرصاصة: فيرتعب من هول المنظر فيتهاوي ليسقط أرضا ليفلت كشافه من يده مرتطما بالأرض لتختفي الإضاءة فيضع يده علي رأسه محتضنا الأرض من شدة الخوف ونبضات قلبه المتسارعة لتظهر عليه بعض الاضطرابات مهتزا برعشات خفيفة، فيقتل الهدوء المكان والرياح تمشط الأشجار بسلاسة، وهو مغمض عينيه من الخوف وبعد أن استشعر الهدوء فيفتح عينيه ببطء مسترقا النظر يمينه تارة وشماله تارة: ليجد المكان هادئ، في حف نحو الكشاف متحسسا الأرض ليضغط علي الزر فلا يعمل متأثرا من صدمة السقوط لينهض من مكانه ملتفتا حواليه متحسسا الأرض بكلتا يديه وركبتيه حتي يجد السلم ويدخل الصالة مسرعا ويغلق الباب خلفه وقلبه المذعور وعقله الحائر متسائل في نفسه:

لماذا كل هذا النباح الغريب؟

ولماذا كل هذه الغربان بالمنطقة بأكملها لا تحتوي إلا على أربع أو خمس منها على الأقل؟

فوضع يده علي قلبه متنهدا مطمئن نفسه متمتم بكلمات استعاذة: ليقرر وهو متخبط الخلود إلى النوم، وبعد عدة دقائق وهو مستلقي علي سريره بدأ الفضول ينتابه مستعيدا بذاكرته ليقول في نفسه :

ما الذي كان يحوم حوله الكلاب؟

ولماذا كلبي لم يكن بينهم؟

مطقطقا أصابعه: وتساؤلات كثيرة، لم يجد لها جواب، فقرر الاسترجال والخروج من باب البيت الرئيسي مسرعا في خطواته البطيئة متجها إلى مدخل المزرعة الذي يبعد عن البيت خمسة أمتار ويحول بين الداخل والطريق العمومي بوابة خشب عرضها متران ونصف ليقف خلفها في نفس المكان التي حامت حوله الكلاب: وضوء البيت يصل اليه خافت فيتحسس الأرض بيده اليمني لتتلزج بشيء وعلامات التعجب علي وجه، ويمرر إبهامه علي أصابعه ليجده دم، فيبتلع ريقه ويجف حلقه، وينظر أسفله ليجد قطعة لحم ولكن هذه القطعة ليست مألوفة، فهي ليست لحيوان بري او طير تبدو غريبة بعض الشيء ليسمع شيئا يفتعل صوت أقدام تدك الأرض ومن ثم تختفي فأصبح يدور في ذهنه سيناريوهات وتخيلات ليقول في نفسه:

ياليتنى لازمت فراشى"

ليضع يده علي قلبه مطمئن محمس نفسه، قائلا بصوت مسموع:

" انت لها سأعرف ما الذي يحدث؟ "

فيتحرك جاهدا نحو يمين البيت الملازم للاشجار وفى عجلة خطاه المهزوزه فلا توجد اضاءه فيصتدم فجأة بجسم غريب ، فيبدو لوهلة بأنه رجل قوي البنيان طويل القامة، يرتدي بنطال بأحزمة كتف وقميص مقطع وعليه دماء، وبيده فأس لتقطيع الأشجار وعند ارتطامه بهذا الجسم وبينه بضع سنتيمرات قليلة فينبعث في وجه هواء ساخن، فيجف قلبه مع إحداث شهيق وزفير كظبي مذعور فرتعب ليتراجع بخطوتين إلى الوراء متمالك نفسه قائلا له بصوت محشرج من انت؟

وماذا تفعل هنا ايها الرجل في مزرعتي؟

فلا يرد الرجل فيرددها عليه بانفعال وصوته متقطع فتستوعب عينيه الدماء التي علي قميصه وفأسه من قطرات الضوء الخافتة فيركض من جانبه بسرعة الريح، ويضع المفتاح في الباب ويداه ترتجفان فيفتح الباب ويدخل مسرعا وقلبه منقبض فينظر خلفه ليجد مصباح الصالة يهتز بشدة وعيناه متسعتان، ليجذب مسامعه صوت ضجيج قادم من الغرف الخلفية:

ليتسلل إلى ساحة البيت ويفتح باب غرفة الحمام ذات القفصان النصف الخشبية والحمام يزين الغرفة فينير المصباح تارة ويطفئ تارة لتتسع عيناه من غرابة المنظر فعندما أضاء المصباح، لا يري الحمام بل يجد مكانه بوم ويضئ مرة أخرى فيجد الحمام، فيبلع ريقه ويتراجع بخطوات بطيئة، ليتعثر في عتبة الباب ليهوى على الأرض وعينه تدمع قائلا فى خاطره.

"ما الذي يحدث؟*"

وفي وسط هذا الفزع تسائل قائلا:

ان كان هذا كابوس سأكمله حتي النهاية"

وتعكز علي برميل جازولين، ليقول معاتب نفسه:

" إلى متى سأظل خائفا وجبانا.

ومن ثم تتجه عينيه نحو الغرفة المجاورة ليجد أشياء غريبة فالقفصان الحديدية التي تحتوي علي أرانب تتحول إلى جرذان جرذان تئن بصوتها المشمئز فاتسعت حدقة عيناه قائلاً، انه ليس كابوسا انه الجحيم بعينه، ليرجع إلى الخلف خفية وبحركة سريعة متجها نحو الحمام ليتقيأ كل ما في بطنه من هول المنظر،والحمام رواق طويل ضيق علي الطراز البلدي والشباك يفتح فجأة من شدة الرياح والقلق على وجهه متنهدا ليتساند على الجدران ورأسه متثاقله لتأتيه فكرة كشف الحقيقةمن على السطح، ليصعد السلم ليتناوب النظر في مزرعته التي انقلبت بين عشية وضحاها لمقبرة خوف فلم يجد شيء ولا حتى الرجل الضخم لم يعد له أثر فقرر القفز والمسافة مترين لا أكثر ليلتوي كاحله التواء بسيط وفي محاولة عدول جسده إذ به يشعر بشيء أمامه فيرى فأساً موجها نحو رأسه فيتفادى الضربة بسرعة ليستلقي على مؤخرته، ليجد الرجل الضخم أمامه، ليصرخ بصوت عال مستنجدا " النجدة..،انقذوني..،انقذوني..* ليزحف بظهره للخلف راجيا بأن لا يقتله قائلا:

أرجوك لا تقتلني..،سأعطيك كل شيء..،أرجوك.

والرجل الضخم لا يحرك ساكنا فالدماء تنسال على وجهه وفمه وكأنه مصاص دماء لا يسمع ولا يتكلم في هذه ينطلق عند حافة قناة الري الفرعية التي تروى الأحواض السمكية عمقها متر وعرضها متر ونصف، ليخرج من تحت الماء ملتفظاً أنفاسه يبصق المياه التى رغرب داخله وكحكحة قوية ليتوسل متأتا! بأن يرحمه فيرفع عينيه نحوه فلا يجده أمامه اختفي تماما وعلامات الاندهاش والفزع على وجهه وشعره الناعم ينساب على جبينه وفجأة تنقض عليه سمكة (القرموط) لتعض ذراعه الأيسر ليفلتها مستنجدا بالجرف، ليخرج من المياه بأقصى جهد له ملتفتا حوله يميناً ويساراً وهو جالس علي الأرض وقدماه ممدودتان، لم يقدر علي الحراك وعيناه المتسعتان لرصد أحد الجرذان يتدلى من على الجدران لم تعد تثق في ذلك البيت ولا تعرف ذلك الرجل ليبدأ بالزحف إلى مزرعة جاره، التي لا تفصلهما إلا بضعة أمتار، وعند اقترابه من ذلك البيت الصغير الذي يشبه الكوخ،اشتم رائحة غريبة تشبه اللحم المستوي على الفحم مع الاكثار من وضع التوابل ليلفت نظره للأدخنة الخارجة من أعقاب الباب لتقتطب ملامح وجهه متسائلا:

من الذي يأكل لحم في هذه الساعة المتأخرة؟

فاقترب من الباب وهو زاحف علي بطنه، ليطرق على الباب منتظراً! ولا أحد يجيب، فتعكز

علي الباب وطرق مرة أخرى ولم يفتح أحد فنادى بصوت عالي قائلا:

افتح الباب يا عم (أيوب) أنا عمار...

فلم يجيب أحد وهو ينظر في كل مكان فالرجل الضخم يسبب له كابوس لينظر علي يمينه فوجد مطرقة بجانب الباب.

فأمسكها ورفعها إلى أعلى، ولم يتردد بكسر الباب، حتي يطلب النجدة فكسر متراس الباب، ليسقط بالباب أرضا ليشعر ان أنفه انكسرت ليهز رأسه وهو قابع علي الارض حتي يستطيع ادراك الأمور،فينظر أمامه ليجد رجل يشوي اللحم ورجل أخر يجلس علي كرسي خيزران خشبي، والرؤية مشوشة من كثرة الدخان، ليبدأ باستعادة الرؤية لخروج الدخان مع انفتاحه للباب ليقول للرجل الذي يشوي اللحم عم (أيوب)...،لماذا لم تفتح الباب؟...،ألا تسمعني انادي عليك.

فرد عليه دون أن يبالي لأمره أو ينظر اليه:

" جئت في وقتك يا فتي: ستأكل معنا لحم علي العشاء حظك من ذهب".

فهز رأسه غير مستوعب لكلامه، فنظر للرجل الذي يجلس بجواره مستنكرا وجوده ليقول له:

عم (عقاب)...،ما الذي تفعله هنا؟..،أليس هذا يوم اجازتك من العمل...،أنا لا أفهم شيء..،لا يهم تعالي امسك بيدي ساعدني علي النهوض فكاحلي التوى وهناك أمور غريبة تحدث عندي في المزرعة

فالتفت برأسه نحوه ببطء، كأنه يريد أن يقول له.،ماذا تريد ايها الأحمق؟..،وأدار وجهه دون أن ينطق بحرف، فصرخ (عمار)بصوت عالي مستغيثاً لماذا لا تتحدثون معي كما أحدثكم فلا أحد يعير له انتباه وكأنه نكرة، فلفت انتباهه أيادي بشرية متقطعة معلقة علي الجدران وجماجم أدمية يظهر عليها الانسلاخ من وقت قريب وأمعاء ممزوجة ملقاة على الأرض وكأن انسان كان هنا وقطع إلى اربا ومدون تاريخ عليها بعنوان ٢٠١٨/٩/١٨ فاتسِعتٍ عيناه من هول المنظر ليقبض بيديه ويضربها على الأرض غاضبا ليقول لهم:

سأبلغ عنكم الشرطة أيها الأوغاد سأتقيأ من الرائحة، لقد عرفت ما هذه الرائحة الكريهة: وهناك صوت يغدو من خلفه والأخر لا يستطيع الترنح لمعرفة من القادم لأنه فقد أعصابه وجبينه يتصبب عرقا خوفا من المجهول، وفجأه شخص ما يشد وثاقه بسرعة رهيبة من الخلف ويرفع فأسه إلى سمك السماء مصوبها تجاه رأسه، ليتفادى الضربة بسرعة ملقى على الأرض وجسده يرتجف من رؤية الرجل الضخم مرة أخرى الذي يحاول أن يخرج فأسه المدبب في الأرض أحس بمرارة حلقه، نظر اليه بذعر فوجد ندبة ممررة علي عينيه اليمني تشبه حرف الاكس استنفذت قواه فلم يجد وسيلة غير التوسل إليه فقال له:

"سأعطيك كل شيء ولكن أرجوك اتركني..،لا تفتلني أرجوك.."

ويواصل الزحف بظهره إلى الوراء، يتوسل اليه بصوته المتنهد المتقطع والضخم يسير نحوه بدون أن ينطق بحرف وفي مشهد تراجيدي يرفع الضخم فأسه عاليا لينطلق صوت شيء بمعاداة الريح لتسكن فجأة فأس في جبهة الرجل الضخم لتتسع بؤبؤ عينيه لتقع الفأس من يديه، ليسقط باستقامة جسده ممدد بدون حراك، فالضربة بفعل فاعل" ضربات قلب متسارعة وعينه المتسعتان وفمه المفتوح دهشة من الذي حدث أمامه ليريح (عمار) رأسه على الأرض ويديه ممدودتان بزاوية قائمة" محدثة شهيقا وزفيرا فإئه يشعر بالحيرة الآن، أيقول الحمد لله أم ينظر خلفه ليجد من أنقذه، ولكنه مستلقي على الأرض، فيخطف نظره، فإذ به يجد رجل عجوز مبتسم ابتسامة باردة يجلس جلسة القرفصاء متربعا فوق عمود الكهرباء مرتدي قبعة سوداء قطرها واسع وعلي كتفه غراب اسود ضخم مرتدي بزة سوداء مهلهلة وفي يديه صنارة سمك ليبتلع ريقه رويدا رويدا هائم بأفكاره لوهلة في السماء ليقول في خاطره:

" ان كنت في كابوس..،فلماذا لا ينتهي؟..،وان لم يكن كابوس..،هل ستنتهي حياتي بهذا الشكل الفظيع

ليقطع حبل فكره الشارد حبل رفيع يتدلى فوق جسده ببطء، لتشبك الصنارة في بنطاله ليسحب جرا ببطء، وعينه تقول انه أعلن استسلامه للأمر الواقع، فهرمون الادرينالين انتشر في جسده المرتعش، شعر بأن نهايته على المحك، والرجل العجوز القابع فوق العمود مازال يشده بصنارته رويدا رويدا وحدقة عيناه متسعتان...،وتفكير شارد..،فالذين يريدون قتله..،أصبح الأمر شبه مستحيل..،فالعيون بدأت تتساقط منها الدموع..،والأشجار تتمايل مع الرياح.. والغيوم أصبحت عنوان السماء..،واليدان ممدودتان..،والصنارة تشبك..،أصبح خانع ويجر كالعبيد..،مثل عبيد انطونيوس وبخاريوس فى الدولة الرومانية، لا يتوقف سحبه فجأة وهو رافض النظر لأنه يعلم نهايته جيدا، عيناه شاخصتان في السماء تراقب القمر الذي يظهر خفية من بين السحاب، ظل الوضع هكذا لعدة دقائق، ليخترق تفكيره الشارد صوت نعيق الغراب، فحرك عينيه رأسيا تجاه موضع الرجل العجوزء فلم يجده فوق العمود فسأل نفسه:

أين ذهب هذا الرجل الشيطان؟

فنهض على ساعديه..،فوجد العجوز ملقى على الأرض وثعابيين تلتف حوله وتخرج من فمه تلتهمه بفكيها، مما أثار فزعه..،فسمع صوت موسيقي (مونيمار هندية) فحرك رأسه ببطء ناحية يمينه فوجد رجل مرتدي ملابس هندية جالس على الأرض يعزف علي مزمار غريب وعمامة فوق رأسه وأفعي ملتفة حول رقبته والثعابيين ملتفة حوله.

لتدخل الثعابين في صندوق خشبي موضوع أمامه، لينهض ممسك الصندوق بكل هدوء متجها نحو الأشجار التي علي يمين البيت ليزحف (عمار) علي يمينه ليلتقط بيده عصا ليتعكز عليها ليقف على قدميه، فيسمع صوت ايحاءات غريبة قادمه من خلفه..،انه ليس صوت غريب لقد سمعت بهذا الصوت من مدة قال في نفسه، لينظر بعينة لأسفل ليمررها خلفه ليجد أفعى

الكوبرا متدلية على بطنها زاحفة نحوه، ليهرع بعصاه متعرج على قدمه اليسرى بخطوات سريعة متجه غرب مزرعته خالفا الاتجاه نحو البيت بسبب مروض الأفاعي، انه الاسطبل سأمتطى حصان سريع لأهرب من هذا المكان الموبوء

قال في نفسه:

خطوات متسارعة والنظر خلفه تارة ومن علي يمينه ويساره تارة وبدون أي مقدمات تظهر ثعابين وأفاعي تقدم على جانبي الجسر الذي يسير عليه، لينظر خلفه فجأة ليجد سرب من الأفاعي والثعابين زاحفة نحوه ببطء، ليغدو بخطواته المتعرجة بعزم علي إصابته التي أصبحت مختنقِهِ غير قادرة علي المواصلة ليئن باكيا طالبا المساعدة ولكن بلا جدوى محاولة النجاة من الموت فطرة في الإنسان حتي وان كان علي شفيره، لم يعد سوى القليل نصف المسافة فقط يحاول يطمأن نفسه يكررها بصوت خافت واللعاب يسيل من فمه، ليخطف نظرة سريعة خلفه ليجد سرب الأفاعي توقف فجاءة عن الزحف،ليثير دهشته وتتجعد ملامح وجه القمحية وتضيق عيناه، ليمهل من خطواته، لتتفرق الأفاعي لتنزل علي حافتي الجسر، التي علي يسارها حوض السمك وعلي الجانب الأخر قناة الري العمومية، ومن ثم ليتنهد فرحا ويكمل باقي طريقه واضعا يده على وجه من شدة الرياح ومن ثم يستدير ليتمم خطواته، ليصطدم فجأة بذلك الشيء الغريب ،ليتشحب وجهه وتتوقف دقات قلبه عن النبض ليبتلع ريقه متسائل بعينيه هذا الشيء مألوف بالنسبة له.

أنا أعرف هذه الملابس جيدا هذه ملابس الفزاعة التي صنعتها بيدي لأضعها على الجسور الصغيرة التي تفصل بين الأحواض السمكية لتخيف الطير الذي يأكل الأسماك" ، قال في نفسه.

ففكر لوهلة متسائلا بافتزاز "ما الذي تفعله تلك الفزاعة اللعينة هنا"ليشعر بتلك الأنفاس الحارة الخارجة من قناع الفزاعة، لتثير فزعه ليتراجع للخلف بخطوات ثابتة شاعرا بمرارة حلقه، متسعة عيناه سائما من الأشياء الغريبة التي تحدث حوله ليقول في نفسه هل هذا وحش جديد"؟"

تبدو هذه الفزاعة واقفة علي قدمان انسي والميدان ممدودتان معلقة على خشبة خلف ظهره، وقناع خشبي لونه بني قاتم ومحاك بالخيوط العريضة السوداء ويظهر منه ضي عينان خضراوتان وشعر طويل وخصلات متعرقة متدلية على القناع وملبس اسود ملئ بالثقوب ونتوءاتٍ الخيوط البارزة فزع (عمار) من الفزاعة المتحركة نحوه، ليرتاد بخطوات بسيطة للخلفٍ ليتعثر ويقع علي الأرض ليقول له بصوت مبحوح ومتقطع.

من انت؟...،وما الذي تريده مني؟

فيرد عليه الفزاعة بصوت غريب:

أنا الحقيقة..،أنا طريقك المنير..،في ضباب الظلام الدامس..،أنا ورقتك الأخيرة.

ليرد عليه الأخر باندهاش:

انت الحقيقة انت طريقي المنير،أنا لا أفهمك..،هل تعرفني؟..،وأين نحن؟

ولماذا يريدون قتلى..،وانا لم اؤذى أحد فى حياتى..،أرجوك أجبني..،أرجوك..

فيرد عليه الفزاعة:

مهلك يا عزيزي..،ستعرف كل شيء في أوانه..،أنا أعرفك جيدا فقصتك محيره جدا ، ولكن مترابطة معي في نقطة واحدة.

ليرد عليه ، قصتي محيرة ومترابطة معك..،كيف؟

انا لا أعرفك..،أرجوك وضح..،ولماذا انت هكذا.

وهو مستند علي ساعديه، ليتنهد متمتما بقوله الحمدالله مطمئنن نفسه بأنه سيعرف ما الذي يدور حوله، ليقطع وصلة أفكاره بتقدم الفزاعة تجاه بذراعييه المعلقتان على عصا خلف ظهره لتشكل زواية قائمة ويديه متدليتان من عند رسغه ويتمايل يمينا ويسارا وابتسامة مرتسمة علي وجه القناع غير مفهومه، ليبتلع الأخر ريقه متراجع علي ظهره للخلف متوسلا اليه ليقول له الفزاعة:

إجابة علي سؤالك، من الذي فعل بي هكذا، الاشرار يا صديقي هم من فعلوا بي هكذا،والذين سيقضون علي زوجتك"

فيتوقف (عمار) متحجرا من الصدمة وعينه متصلبة، لم تعد ترمش وكأن صاعقة نزلت عليه من السماء،ليستوعب سريعا ويرد عليه بسخرية:

أنا لي زوجة أنا لا أعرف إلا اسمي ولا أعرف أين أنا...،أهذه مزرعتي أم بيت رعب فيتوقف الفزاعة عن السير ليقول له:

لك ولكن وليس هنا.،أما عن أين نحن.،فنحن في قاعة اللاموتي يا صديقي.

ليرد متأتأ ساخرا:

قاقاقا..،قاعة ماذا..،هل انت مجنون.،حسنا دعك من هذا انا معك في كل ما تقوله.،ما الذي أفعله هنا ليرجع للخلف قائلا:

انت هنا لترجع إلى ماضيك لمعرفة ما فاتك وما طياه النسيان ليمسك (عمار) عصاه ليستند عليها ويقول له:

ماذا تقول انا لا أفهم شيء (ماضي - وما الذي فاتني - ونسيان)، كل مدى وتصعب الأمور علي عقلي، انت غريب ويستمر الفزاعة بالرجوع للخلف وجها لوجه ليرد عليه:كلنا غرباء يا عزيزي..،فمنا لم يأخذ واجب ضيافته ورحل بعيدا عنا ليأخذه في مكان آخر، ومنا من بقي ليأخذ واجب ضيافته فمن أخذه هنا خسر ومن لم يأخذه ربح وفجأة يغزو الضباب المكان، ليقول له (عمار):

إلى أين انت ذاهب...

فيرد عليه الفزاعة:

سأراك قريبا....

والضباب والظلام يلتهمانه ليختفي تدريجيا، و(عمار) يركض نحوه بخطوات متحسسه ويتحسس الضباب ويلوح بيديه عشوائيا لينادي عليه بصوت عالي مبحوح ومتقطع:

" أرجوك..،لا تذهب وتتركني وحيدا انا تائه لا تتركني"

لينكب على ركبتيه منهال في البكاء، فظلت تراوده تلك التساؤلات..،من هي زوجتي؟..،ومن هم الأشرار؟..،وماذا يقصد بالماضي..،انا انا حائر..،قالها وهو فاقد الأمل واليأس ينتزع قلبه، ومن ثم يسمع على حين غفلة صوت صهيل حصان ولكنه ليس صهيلا عاديا فهى صهللة قوية، ليتجعد جبينه، ما سر هذا الصوت؟...،قال في نفسه، ليمسك عصا ليتعكز عليها متجها نحو الاسطبل ليرى خيالا ولكن الرؤية مشوشة، وفي طريقه إلى الاسطبل الذي يتقطن مكانه في زاوية تربط بين قناة الري وقناة الصرف الموازية بطول المزرعة بخط مستقيم، ليقف أمام الاسطبل الخشبي الصغير ليجد باب الاسطبل مفتوح ليدخل من بين البساتين المائلة على الباب وقدماه توثق مكانها بحرص ليتحسس الحائط ليضغط علي زر الإضاءة لينظر يمينه وفجأة يجد الحصان ممدد على الأرض وسط كومة القش بلا رأس ليرتعد مكانه مهزوزا لا يقدر أن يزن نفسه، ليرجع بظهره للخلف ليتسند علي الجدران متنهدا محصورا علي حصانه والدموع ترغرغ في عينيه ليجلس علي منضدة عليها أكياس علف طعام مخصص ليدير رأسه يسارا ليجد رأس الحصان موضوعه علي كومة قش ليهرع نحوه متعرجا ليهوي عليه محتضنه باكيا في صمت ليقول محدثا:

" من الذي فعل بك هذا يا صديقي من هذا القاتل الجبان.."

متذكرا ذكرياته بتحصر شديد يلهو طفل صغير فى العاشرة من عمره وسط الحقول راكضا وراء فراشة صفراء والابتسامة والسرور علي وجهه لتنادي عليه أمه (عمار) تعالي هنا...،ياصغيري..،ليرد عليها الطفل..،حاضر يا أمي ليركض نحوها لتحتضنه بكل حنان، وتمسح بيديها وجه قائلة له:

"اليوم هو عيد ميلادك حزر، ماذا أحضرت لك..."

ليرد الطفل عليها واضعا إصبعه على رأسه:

« قطعة حلوى كبيرة».

لتضحك أمه مداعبة له في أنفه قائلة له:

هل تذكر حصان جدك الله يرحمه

ليجيبها الطفل بشفف:

« نعم يا أمي اذكره كنت احب الركوب عليه كثيرا ولكن حصان جدي أيضا مات حزنا على وفاة جدي »

لتمسك الأم بيد طفلها وتقول له: تعالي سأريك شيئا لتأخذه عند الساحة الخلفية للبيت بالقرب من معلف الأبقار، وتفتح باب الزريبة وعينيه مغطاه لتفتحها ليصرخ الطفل فرحا ويحتضن حصانا صغيرا في عمر الرضاعة ويركض نحو أمه فرحا بها ويحتضنها بشدة والشوق والفرح في عينيه لتقول له أمه مبتسمة:

«هذا الحصان الصغير ملك لك ماذا ستسميه»

ليلمس بيديه علي رقبته ليقول « الأحصنة سريعة، سأسميه (سريع) يا أمي».

قاطع حبل استعادة ذكرياته صوت نباح الكلب،ليقول وهو يمسح دموعه:

أين أنت ياصديقي «(صقر)

ليدخل الكلب عليه وهو ينبح نباح مستمر كأنه يقول له تعالي معي هناك مشكلة، فأمسك عصاه واستند علي الحائط متى سينتهي هذا اليوم الاسود الذي لن يطلع عليه نهار قال في نفسه متمتما بدجر ليغدو الكلب خلف الاسطبل علي أول بداية قناة الصرف الذي يعلوه الأعشاب ونباتٌ الحطب والبوص الكثيف فطولها مترين تقطن علي جانبي القناة التي عرضها متر ونصف تقريبا،وعندما تتبع كلبه وجد رجل ملقي علي جرف المياه يئن من الألم، وقدمه اليسري تفتك بها مصيدة حديدية تشبه مصيدة الذئاب البرية، فسأل الرجل وهو يتحسس المكان بحذر:

«من الذي فعل فيك هكذا وما الذي تفطه هنا»

وعندما قدم علي الاقتراب منه ولم يكمل كلامه فإذ بقدمه اليمني تشبك في شيء فينظر إلى قدمه متوجسا ليجدها نفس المصيدة التي في قدم الرجل، ليصرخ متأزما من قبضتها ليحاول الافلات منها وقدمه تنزف من عند كاحله فالمصيدة لها أسنان حادة لينظر علي يساره ليجد حبلا عريضا متصلا بها ليصرخ مستنجدا فإذ به يسمع صوت غريب قادم من خلفه:

« لقد وقعت الفريسه، يا لها من وجبة دسمة علي العشاء».

لتتسع عيناه من هذه المقولة الجافة وفجأة يسحب الحبل وقدماه عالقة في المصيدة ليجر مسافة العشر أقدام ويداه تهلوس في المياه عشوائيا ليتوقف السحب ليخرج (عمار) ملتفظا أنفاسه من المياه وتنبلي المياه عن خصره ليستلقي جانبا علي الأعشاب يلتف حوله كأنه رأى خيالا ممتعضا من قدمه، ليقف أحدهم فجأة خلف ظهره متشبثا به ليقول في عجرفة كيف حالك يا عزيزي؟

ليرد عليه غاضبا قائلا:

لست بخير.

ليفلته من علي ظهره وينقض بيده على رقبته ليغرقه في الماء وعيناه تشع غلا ويحدثه وهو راقد فوقه:

«ماذا تريدون مني ايها الأوغاد؟..،لماذا قتلتم حصاني؟.،لقد ارتكبت خطأ فادح لن أسامحكم على فعلتكم هذه.،لن أسامحكم »

والرجل يتشبث بقميصه حتي الرمق الاخير و(عمار) لا يستمع لتوسلاته يخرج الرجل ويغرقه مرة أخرى وبعد دقيقة فقاقيع المياه لتهدأ الأعصاب المشحونة بالغضب ليتيقن (عمار) ان الرجل مات في يده ليهز رأسه مذهولا غير قادر على استيعاب ما فعله للتو، ليرفع الرجل لأعلى ليجد حدقة عيناه متسعة والعروق الحمراء ترتسم علي جبينه واللعاب يسيل من فمه ولا ينطق بحرف ليفلتها من يديه مرتعبا لترتعش يداه غير قادر على التفكير كل مايقوله بصوت خافت:

لقد قتلته..،لقد قتلته

وجثة الرجل عائمة لتلمح عيناه ذلك السكين الذي علي خصره ليخلو على الحافة ويشبك السكين في المصيدة، ليخرج قدمه وهو يتألم ولكن لم يستطع اخراجها ليقطع الحبل المتصل بهاء ليزحف بين الأعشاب ليجرحه البوص في جبهته فوق حاجبه الأيسر ليصعد على الحافة ويريح ذقنه على الجسر الموازي لحوض السمك،ليرى شيئا غريبا يسبح في المياه أسماك تقفز بين الحين والآخر ليقول في نفسه:» ما هذه الأسماك الضخمة؟»؟

ليرى مثلثات تطوف في المياه تبدو انها لأسماك القرش، ما هذا الجحيم.،هل انا إهلاوري.انا لا اربي الا أسماك البلطي والبوري قال في غرابة من أمره:

ليتدلي علي ظهره رافض أن يرى أي شيء أخر ليتنهد مستسلما لما يحدث قائلا بصوت مسموع وهو يسخر من نفسه:

« متى سيكمل القدر هذه المعزوفة السخيفة، لأنتهي من كل هذا الجحيم»

لتنتابه أصوات قادمه نحو رأسه بميلان، ليرى الرجل الضخم خلفه وامرأة جميلة حزينة يظهر عليها المرض صامتة لا تتحدث مرتدية جلباب ابيض

« ما هذا انه الرجل الضخم المعتوه ثانية، ولكن كيف لقد رأيته يموت بأم عيني هذه أمامي أثار الفلس على جبينه»

قال في نفسه، ليبتسم ساخرا من الهزأ لينظر إلى السماء ويرفع الرجل الضخم فأسه لينزلها على رقبته ليستيقظ (عمار) من النوم مفزوعا ممسك رقبته شاعرا بالاختناق، بسم الله الرحمن الرحيم ما الذي تفعله هنا يبني؟

.ولماذا انت نائم فوق السطح....،عم (عقاب) انا انا....ليقاطعه الرجل العجوز.،اهدأ يا بني..،هل انت بخير؟

لينظر اليه (عمار) وعنيه متسعة وهو لا يصدق أكان في حلم أو في علم ليتحسس قدماه ليجدها سليمة ليقول وهو مهتز:

لا أعرف يا عم (عقاب).

فيرد عليه في حيرة من أمره ذلك الرجل الذي يرتدي زي جلباب وعمة فوق رأسه وبشرته السوداء بعينية السوداوتان:

لا بأس يبني تعال انزل معي.

فينزل (عمار) من فوق السطح سريعا متفقد غرفة الحمام والارانب ليجدهم على حالتهم الطبيعية، ليتنهد مجففا عرقه ليأتي عم (عقاب)من الخلف مندهش متسائل ما الأمر ليرد (عمار) وذهنه شارد انه كابوس..،كابوس فظيع وطويل وسخيف.

يابني.،لماذا لا ترد علي أنا أحدثك وانت غير منتبه معي لا شيء يا عم (عقاب)...،اذهب يابني إلى البيت واستريح فأنت في حاجة إلى الراحة ليهز رأسه وعيناه مفتوحتان.،عندك حق فأنا احتاج إلى الراحة فعلا ليتخطاه وهو شارد مما حدث ليلة أمس وهو يعبر الصالة ليلمح بنظرة حقنة وزجاجة فارغة، فيتجه نحوها بسرعة ويمسك الزجاجة وقلبها يمينا ويسارا فلا يجد عليها اسم فيتسائل..،ما هذا الشيء ، وورقة التقويم يجد عليها تاريخ اليوم ٢٠٢١/٩/١٨ ليشعر بتنميل في رأسه وباقي أعضاء جسده هامدة: ليتذكر في مخيلته الحصان ليهرع مسرعا راكضا نحو سيارته الربع نقل ليقودها إلى حين وصل إلى الاسطبل،لينادي علي حصانه بعلي صوته (سريع)، ليخرج الحصان من النافذة من بين البساتين المتدلية، وكان لم يحدث شيء هنا.

هناك غلط في الأمور لتراوده صورة المرأة المرتدة جلباب ابيض كأنه يعرفها ليفكر في كلام رجل الفزاعة ليشعر فجأة بصداع في رأسه ليئن ويحكم بقبضة يده غاضبا ويضربها على كابوت سيارته صارخا بعلو صوته انا لا أفهم شيء.

«رجال يصطادون فى المياه العكره »

ربيع ٢٠٢١»،

نحن هنا في القاهرة في حي المهندسين في عمارة يطرق الباب ادخل.....،يفتح الباب رجل وسيم في نهاية العشرينات قمحي اللون شاربه منمق وشعر ناعم مسرح بعناية يرتدي قميص كلاسيكي، وفي يديه ممسك برجل عجوز طاعن في السن بملابس مقطعة ومهلهله يبدو عليه من متسولين الشوارع وفي الناحية الأخرى رجل أقرع في منتصف الثلاثينات يجلس على مكتب نظيف وأصلع الشعر مرتدي نظارة طبية يحتسي فنجان من القهوة يدخن سيجارة وفي يديه جريدة يقرأها ومن ثم يقف ليحيى ضيفه في ابتسامة صفراء.

كيف حالك يا (سمير).

ليرد عليه الأخر ململم رأسه:

بخير..،كيف حالك يا دكتور(ثروت).

لينظر الدكتور (ثروت) بقرف واشمنزاز إلى ذلك الرجل العجوز الذي يشبه المرضى النفسيين.

ما هذا!!!

ليرد عليه (سمير) متنحنحا:

هذا يا دكتور الحالة الجديدة التي تريدها ليطفأ الدكتور سيجارته بقسوة بملامح هادئة ليستدير إلى الشباك ويقول له يهزأ:

حالة...،هل تسمي هذه حالة؟..،يبدو أنك لا تعرف ولا تفهم طبيعة عملي جيدا يا استاذ ليستدير له بنظرة غاضبة ويقترب منه ليقول له ساخرا محاولا مسك أعصابه هل هذه الحالة التي أوصيتك عليها يبدو أنك أنت الذي ستجلب لي الحالة ليحك سمير أنفه غير راضي على العتاب، ليصرخ الدكتور في وجه هل انت غبي لهذه الدرجة؟...،قلت لك الف مرة أن تجلب لي حالة طبيعية ويكون مرضها النفسي ضعيف ليرد عليه الأخر وعيناه ملقاة على الأرض مبررا لنفسه:

ولكن يا دكتور هذا هو الموجود فالمتسولين كثر ولا أحد يعرف عنهم شيء لذلك لا يجلبون المتاعب، فلماذا لا تأخذهم ليرد عليه الدكتور بعجرفه،

إمممممم..،رجعنا إلى الكلام الذي لا يؤكل عيش..،ليضع سبابة إصبعه على خده الأيمن..

قائلا: هذا ليس من اختصاصك نفذ الأمر فقط،ويكررها بلطافة مصفره هذا ليس عملك..،هؤلاء

الملاعين لا جدوى منهم هل فهمت انا اريد ما اتفقنا عليه بدون انت تعرف الحالة شيئا عن الموضوع

يرد (سمير) فى يأس من أمره هذا الأمر صعب...،ستطلب العملية بحث شاق ومجهود كبير وأموال كثيرة.

ليرد عليه الأخر وهو متحسس اصابعه ليتمالك نفسه ليهز رأسه إمممم..،أيا يكن يا عزيزي سأدفع مائة ألف جنيه سأدفع الكثير مقابل هذه الصفقة، اقلب الدنيا رأسا على عقب، مقابل أن تجلب لي هذه الحالة بأي طريقة تكن..،أفهمت ليطِاطا رأسه منصاعا لأمره..،فهمت يا دكتور.

ليخرج (سمير) من الباب مسرعا وقبل أن يخرج....،انتظر خد هذا الشيء المقرف معك

تعالي يا عم الحاج ليرد العجوز ألن تأخذني إلى الحضانة..،نعم سأخذك تعال معي ليرفع الدكتور يده ساخرا ليقول خذه إلى الحضانة وقص عليه قصصا قبل النوم يا عزيزي.

ليجلس الدكتور على كرسي مكتبه يمسح وجهه بمنديل وهو يتأمل في صورة والده المعلقة ويتذكر ما حدث له.

فلاش باك *

في عام نحن هنا في جامعة (هارفارد) الأمريكية،حيث رجل عجوز في سن الخمسين من عمره يرتدي

معطف بني وقبعة سوداء ونظارة طبية بيضاوية الشكل ويحمل حقيبة سوداء قديمة يسير في خطى ثابتة وعيناه ملقاة على الأرض والرزينة على وجهه، متجها نحو مكتب سكرتارية (البحث العلمي لعلم النفس والفلسفة)، ليتحدث معها بالإنجليزية ومرتسما علي وجهه ابتسامة خفيفة.

كيف حالك يا أنسة (جولي).

دكتور (نوح)...،كيف حالك.

انا بخير...،لو سمحت يا جوليا عندي معاد مهم مع الدكتور (الفرد).

حسنا سيدي سأبلغه حالا..،ترفع سماعة التليفون..،دكتور (الفرد) لقد وصل الدكتور (نوح) الآن...،لتضع السماعة بابتسامة دبلوماسية يقول لك تفضل يا دكتور.

شكرا يا عزيزتي.

يطرق الباب...،تفضل بالدخول، يدخل الدكتور (نوح) على رجل طاعن في السن حاد الطباع مكشر الوجه تكاد الشعيرات البيضاء أن تختفي من على رأسه، ليصافحه في تودد والأخير لا تظهر عليه علامات التودد يشبه أباء الانجليز القدامي المؤسسين الأوائل ل أمريكا مثل بنجامين فرانكلين،ليستهل الدكتور (الفرد) الحديث نظرا لحرج الدكتور ويقول له وهو ينظف نظارته:

اجئتِ في استشارة مثل كل مرة.

- ليرد الأخر وهو يعدل موضعه في الجلوس وجبينه يصب عرقا ليردف قائلا:

- الحقيقة...،لا هذه المرة غير كل مرة.

- ماذا يا ترى.

ليتنحنح قائلا: كل خير يا سيدي...،الحقيقة انا أعمل على بحث منذ أن تخرجت من الجامعة بحث عن!!!! هو غريب بعض الشيء.

-ليرتدي الدكتور (الفرد) نظارته الطبية متسائلا:

- بحث....،عن ماذا؟

- عقار كيمياني مكون من بعض المعادلات الكيميائية البسيطة وفلسفته معقدة بعض الشيء تعمل هذه التركيبة علي عقل الإنسان وتحديدا في جزء ذاكرته تسبب له الهلاوس لتقترن أحلامه من اللاوعي إلى الوعي يجعله ينطلق بين عقول الأخرين عن طريق الاتصال المغناطيسي فلكل انسان منا جزء مغناطيسي يقترن بإنسان أخر وعلى اتصال ببعض رغم المسافة البعيدة التي بينهم كأن يحلم انسان بكارثة أو أي شيء أخر ستقع علي أخيه وعندما يفيق من الحلم (اللاوعي) تحدث الكارثة في الحقيقة فهنا تحدث المفارقة، والسؤال هنا يطرح نفسه اذا كيف حدث ذلك هو أن ذلك رجع إلى الماضي جزء من سنين ضوئية ورأى ما حدث وكل النظريات تثبت اننا نعيش في الماضي كأمثال: عندما تغرب الشمس بضوئها تماما فعندها اذا نقول أن الشمس غربت هذه ليست حقيقة فالشمس غربت قبل المغيب بثماني دقائق،يعني اننا نتحرك في جزء بسيط من الماضي وعندما يعمل ذلك العقار علي دماغ الإنسان يجعله ينطلق لسنوات عديدة حدثت في الماضي في حياته وحياة الآخرين المتعارف عليهم والأشياء المعقدة والمستعصية عليه والغير مرئية يراها أمامه كجزء من الحقيقة الغائبة ليقاطع كلامه رشفة الدكتور (الفرد) فنجان قهوته وحدقة عيناه المتسعتان، لتهوي القهوة لتنسكب عليه، فيهم الدكتور عليه ليساعده في تجفيفه وبعد الانتهاء ينظر اليه بابتسامة قائلا (نوح):

عندنا في مصر يقولون دلق القهوة خير.

لينظر اليه الأخر وهو يبتلع ريقه مندهش من كلامه ليرد عليه.

وهل جربت ذلك المفعول.

الفرد بابتسامة مطبوعة على وجهه.

ولماذا جئت إليك يا دكتور لكي تعطيني تصريح لأجرب ذلك الابتكار على بعض المرضي النفسيين المصابون بأمراض نفسية طفيفة وسيكون هذا تحت اشرافك طبعا.

-.،وهل انت واثق من هذه التجربة.

- وإلا ستكون الخسائر البشرية في أول العملية خسائر بسيطة وانا متأكد بنسبة مائة بالمائة من نجاح

التجربة.

ليقف الدكتور (الفرد) متجها نحوه والأخير اصابعه تلتف حول بعضها من التوتر ليضع يده على كتفه وملامحه الحادة تنفي بالقبول ليقول له بعين قاسية .

انا أحييك على هذا الاختراع: ولكني أسف فطلبك مرفوض

لتنزل الصدمة على وجهه كالصاعقة ليهتز غير مصدقا ليقف وعيناه محدقة بوجهه حزينا متسائل لماذا يا سيدى:

لأنك تعرف السبب جيدا نحن في (أمريكا) نؤمن بالحريات والمبادئ والقيم الإنسانية وهذا منافي تماما للقيم الأخلاقية الإنسانية.

لماذا تتحدث باسم (أمريكا) وكأنها ملاك تمشي على الأرض تنشر العدل والمساواة بين الناس، أليست (أمريكا) هذه كانت المتسترة على جرائم (الوحدة٧١٣) اليابانية ولم تعتبر ما فعله (إيشبي) والأطباء ما فعلوه جرائم حرب أو إبادة جماعية نظرا لما خرجت به النتائج من تطوير أسلحة بيولوجية وكيمانية متقاسمين النتائج متواريين عن فظاعتهم وبشاعتهم.

صدقني يا دكتور (الفرد) النتائج ستعود علينا بالايجاب.

لينزعج الدكتور (الفرد) ويدير عنه النظاره بشدة ليقول له بصوت شبه مبحوح.

للأسف طلبك مرفوض.

ليطأطا الدكتور (نوح) رأسه في الأرض قائلا باستياء.

كنت أعلم ذلك من البداية تبا للعاهرة التي تمثل دور الشريفة.

ويمسك حقيبته ليستدير الأخر له معجدٍ حاجبيه مما سمعه ويسرع من خطاه الأخر والدموع تزرف من عينيه ليطرق باب بيته المطل على الجامعة..،طرقات سريعة بلا تمهل وامرأة ثلاثينية من خلف الباب تفتح والضجر على وجهها متمتِمة بالإنجليزية، لتفتح ليمر زوجها بجانبها وعيناه ترغرغ من الدموع لتقول له..،أليس معك المفتاح يا (نوح).

ولم تكمل الجملة لتضع يدها على صدرها متوجسة راكضة نحو غرفته لتسأله والخضة على وجهها.

أجبني يا (نوح)...،ما الذي حدث.

ليتنهد باكيا بحرقة ليقول وهو يرشح ونفسه متقطع.

حلم حياتي الذي مضيت حياتي كله ابني سلمة سِلِمة يضيع أمامي كل هذا لماذا.،ماذا فعلت؟

وهي تأخذ بخاطره محاولة تهدئته ليشعر بالبرد ليدنو علي صدرها ليقول لها غطيني بالبطانية يا(منال) فأنا ارتجف وأحضري لي شيئا ساخنا.

لتغطية وتقول له سأحضر لك كوب ينسون دافئ لتردف مسرعة نحو المطبخ لتحضر كوب اليانسون ومن ثم تنتهي لتدخل الغرفة، لتجده غط في نوم عميق وفي يديه ورقة لتأخذها من يده وهي توقظه فلا يجيب، لتقرأها مستفسره.

"انا اسف عزيزتي (منال) لم أستطع ان اتحمل الصدمة فقررت ان اتركك انت وابننا الصغير عودي إلى (مصر)وخذي كل ابحاثي ومقتنياتي واحرقيها حتي لا يبحثوا عنها ويستفيدوا منها واعتني ب (ثروت) ابننا الوحيد الوداع يا عزيزتي".

لتهوى الورقة من يديها وهي ترتجف لتجد على الكومودينو زجاجة مورفين فارغة وبجانبها حقنة مستعمله، لتتسع حدقة عيناها وتنظر اليه وتنحب في الصراخ محتضناه بشدة.

وبعد تذكر كل هذه الأحداث الأليمة، ليمسح دمعة تنفلت من عينه حزنا علي انتحار ابيه: لينهض من مقعده متجها نحو صورة ابيه، ليقف أمامه شامخا معتزا بنفسه ليحدثه وهو ينعيه ويذكره بالذي مضي أبي العزيز..،لم تنفذ أمي وصيتك التي كتبتها لها لقد عادت إلى مصر ولم تحرق أبحاثك ولا مقتنياتك ظلت محتفظة بهم حتى ورثتهم لي، لقد كافحت طوال السنين الماضية لتربيني وتعلمني ودائما توصيني بأن أكمل مشروعك وحلمك وارسلتني إلى الجامعة التي درست فيها وهناك اكتشفت السر ولكن لا بأس لقد اوصتني أمي بأن لا أخذلك واخذلها وانا عند وعدي لكم، انت محظوظ جدا يا والدي فأمي تحبك جدا رغم مخالفتها لوصيتك واخبرتني بالسرالا انها ظلت علي العهد وان تنتقم لك وجندتني لأكون جندك المخلص يا والدي، وسأكمل مسيرتك بكل عزيمة وإصرار بلا بأس سألعب بطريقتي الخاصة، سألعب بطريقتي انا فهولاء الأوغاد رفضوا طلبك لأنك لعبت علي المكشوف اما انا فسألعب في الخفاء ولن يجرؤ أحد على أن يرفض لي طلب....،صوت ضحكات متعجرفة

*****

نحن هنا في مِستِشفِي (العباسية) للأمراض العقلية والنفسية: في الصباح الباكر هنا في مكتب المدير الهاتف يرن .

يرفع السماعة رجل قاطب في الستينيات أصلع ذو حواجب بيضاء كثيفة ونظارة مقعرة موضوعة على حافة أنفه ملامح وجهه حاده جالس على كرسي مكتبه، ويرفع السماعة ليجيب: نعم دكتور (عوض)...،لقد حدثت كارثة.

- ليعتدل في موضع جلوسه متنحنحا وملامح وجهه تتغير إلى الحمرة متسائل: خير اللهم اجعله خير..،ما الذي حدث يا مريم؟

- _لقد اختفي اثنان من المرضى المصابين بالذهان القصام ليلة البارحة المتواجدون في عنبر (ج)، والمريض الذي كان معهم اختبئ ووصف لنا الشخصان اللذان اختطفاهما طوال القامة ويرتدون أقنعة..،انا خائفة جدا يادكتور تبدو انها عصابة.

ليقاطعها قائلا: انا قادم في غضون ثواني..،لينزل سماعة الهاتف والغضب والحمرة يتملكان وجهه ليقول: بنت العاهرة...،خائفه امممم..،قال يعني المرضى من بقية أهلك.

ليدخل مكتبها شابة متوسطة الجمال، وهي تطلب رقم على الهاتف والتوتر ملح على وجهها ليقول لها وخيبة الأمل على وجهه لا تتصلي بـأحد ولا تعلمي أحد بالذي حدث.

لتتقطب ملامحها مندهشة من كلامه..،لماذا يا دكتور..،انها مصيبة كبيرة، والحزن مخيم عليها ليرد عليها في اللحظة بأسى:

- ابنتي (مريم)..،لو علمت الصحافة هذا الخبر سينتشر كالنار في الهشيم وستتحدث وسائل التواصل الاجتماعي.

وستجتمع جميع هيئات حقوق الإنسان المحلية والعالمية وكل المنظمات والجمعيات الخيرية ستنهال علينا كأسراب النحل القارصة، وكل ما ستفعله الحكومة انها ستغير طاقم الموظفين، وسيخرب بيوت أناس لا ذنب لهم.

لتقاطعه (مريم) في تهجم.

ولكن يا دكتور هذه خامس حالة تخطف خلال ثلاثة أشهر وهذه أول مرة تحدث عند استلامي لوظيفتيليتنهد مطاطأ رأسه والحسرة في عينيه ليدير ظهره لها ليقول :

لك ما شئت..،ولكن فكري مليا فيما قلته لك، سنغرق جميعنا وسوف تنهال عليك السباب والشتائم كأنك المسئوولة عن كل الفوضى التي تحدث في البلاد وستخسرين وظيفتك وخطيبك.

لتتسع حدقة عيناها مبتلعة ريقها لتسأله:

-كيف عرفت اني مخطوبة؟

- ليتنحنح ليرد عليها بثقة مهزوزة.

- من الخاتم الذي في اصبعك.

لتهز قدمها اليمني في توتر لتضع يدها علي وجهها لتقول في صوت مهزوز متقطع:

اذا ما العمل يا دكتور فأنا واقعة في ورطة وانا المسئوولة عن المرضى،ليستدير لها في وجه بشوش ليطمئنها:

لا تقلقي يا عزيزتي، فسوف نحل الموضوع سويا وبهدوء وبدون أي ضجة فقط تعالي معي إلى مكتبي لنشرب شيئا مهدئا للأعصاب ونتحدث في الموضوع.

في الصباح الباكر مع انقشاح ضباب الشبورة من على الأرض لتتوقف سيارة (عمار) المكسوة بالندى ليضغط على بوق

سيارته، ليقدم عليه عم (عقاب) بوجه مبتسم،ليلقي التحية عليه

- صباح الخير يا بني.

- صباح النور بابتسامة خفيفة، ليركن سيارته أمام بيت المزرعة لينزل ليقول:

_لقد جلبت لك معسل السلوم الذي تحبه

ومن ثم ليلقي نظرة على أحواض السمك ليقول:

هل علقت السمك يا عم (عقاب).

ليرد عليه وهو يأخذ الكيس السوداء التي في يده:

نعم..،وأطعمت الطيور والحيوانات و(سريع) أيضا.

شكرا على مجهودك والله من دونك وبعد وفاة والدي لم أكن اعرف ما الذي كنت أفعله من دونك يا عم (عقاب).

الحمدلله يا بني..،لا شكر على واجب.

لينظر (عمار) على بيت جاره ليتجه نحو الأخر متهامسا بصوت منخفض:

أين عم (أيوب)..،لماذا لا أراه في مزرعته أو حتى في بيته، ليرد عليه معذور يا ولدي فهو من بعد أن ذهبت ابنته مستشفى المجاذيب وخسارة حضانة ابنها (ماهر) وهو لا يتحدث وطرد العامل الذي يعمل عنده، وكل ما يفعله الأن يأخذ بندقيته ويمطادٍ قاريه بعد منتصف الليل حتى الفجر يصطاد الطير.

في البحيرة ومن ثم يرجع إلى السمك ويدير آلة الري وبعدها ينام ويستيقظ عند الظهيرة ويأكل الطير الذي اصطاده.

وبعدها يظل جالسا فى الكوخ يقرأ القِرآن ويصلي حتى منتصف الليل ويظل على حالته مرارا وتكرارا كأنه ينتظر السر الإلهي.

ليهز رأسه يمينا ويسارا في أسى ليقول:

" مسكين هذا الرجل، الذي حدث لابنته لم يكن بالأمر العادي ولكنه جن عندما رفع قضية

ليحتضن حفيده (ماهر) وخسر الحضانة، لولا تدخل جارتي وعرضت علي الزواج فلم يكن أمامي خيارا أخر وقبلت بالزواج منها ،ولكن قبلها ذهبت إلى المستشفى وقلت لزوجتي كل شيء احتضنتني ولم تنطق بحرف.،انا حزين للغاية يا.

ليقاطعه الأخر محاولا تغيير حديث ذكريات الماضي الأليم التي يذكرها به الأخر في كل وقت واذان، قائلا بابتسامة مطروحة:

" بالمناسبة.،أين ابنك (ماهر)؟..،لماذا لم يأت معك؟..،أليس اليوم هو إجازته من المدرسة.

فهو حزين جدا على مفارقة أمه.،نعم ولكنه ذهب مع خالته (سارة) إلى بيت أبيها فالحقيقة نعم.

اااه...لقد نسيت أين المعسل لا بأس يابني أزمة وستمر بإذن الله.

ليتوجه (عمار) نحو السيارة ليستوقف ويقول:

ألم اعطيك اياه، كان ذلك الكيس الأسود.

والآخر يوقد نار علي خشب متفحم ليرد عليه:

هذا شاي وليس معسل.

ليفتح سيارته ويبحث فيها بجنون فلا يجد شيئا

ليحدثه عم (عقاب) من الخلف لعلك نسيته ، لا يهم ليست مشكلة ليرد عليه في حيرة من أمره كيف!!! لقد اشتريته بيدي هذه لا يهم لعل البائع اخطأ لتتسع حدقة عيناه ليتكئ على سيارته ليقول:بل لعل انا تائه.

لا تقل هذا يا بنى تأتى على شخص أوقات ويسهو.

ليرد عليه مضجر:

ولكنها ليست المرة الأولى انها تتكرر مجددا وكأني قاصد ما أفعل ليهدأ من روعه واضعا يده على كتفه مطمئنه قائلا:

كل شيء سيكون بخير سأصنع لك كوب من الشاي.

ليضع رأسه بين يديه متنهدا متمشيا صوب الأشجار التي على يمين البيت ليتوقف أمام الشجرة الكبيرة: ليتأمل في تلك النقوش القديمة المنقوشة عليها ليسرح في خياله تائها بين تلك الذكريات متذكرا تلك المواقف بينه وبين زوجته المريضة التي كانت بالماضي.

كان والديها يحتسون الشاي في وقت نسيم العصرية مفترشين الأرض مجتمعين في مزرعة والد (عمار)، كانوا أطفال يلعبون لعبة الاختفاء لتركض تلك الطفلة في مرح وخدودها الحمراء ترتسم على وجهها لتختبئ وراء كومة القش فأحست بالغضب لطول انتظارها فشعرت بالخوف وهي تلتف حولها لتركض مثل قطة خائفة لتنادي عليه لتقف خلفه فوجدته يمسك بسكين حاد ينقش على الشجرة لتطرق على ظهره قائلة بصوت ناعم برئ ممزوج بالغضب لماذا لم تبحث عني؟

ليتنجى جانبا لتنظر بذهول لترى نقشا عبارة عن طفل ممسك بيد طفلة وبينهم قلب فتسائلت مبتسمة ما هذا؟

ليرد عليها وهو يتأتأ هذا انا وهذه انت والقلب معناه الحب،لقد رأيتها على التلفاز ما رأيك.

ليحمر وجهها وتنظر للأرض خجلا ليبتسم من خجلها وهو يتأمل شعرها البني المتطاير في الهواء من شدة الرياح ليلامس بيده شعرها ووسط رائحة عطر الذكريات يقطع تفكيره صوت نداء.

...أين أنت؟ عمار.

لينتفض ويلتفت يساره ليسمع من يقول تعالي اشرب الشاي سيبرد.

ليرد وهو يهز رأسه مستفيق حاضر يا عم (عقاب) انا قادم...

ليلتفت حوله فلا يجد أحد فيقبل الشجرة: ليلامسها بيده مبتعدا عنها رويدا رويدا مودعا ذكريات الماضي تجهش امرأة عجوز من البكاء وهي تحتضن ابنها وسط الجموع ووسط العائلة في سجن (...) مشدد الحراسة وتحدثه وقطرات دموعها متشغفه له.

كيف حالك يا بني؟

انا بخير يا أمي...،وعيناه تذرف دموعا منهمرة على شدقيه وينحب باكيا في حضنها.

افتقدتك كثيرا يا بني،

الله اعلم لوحده يا أماه على كل عقرب ساعة يدق وقلبي منفطر على قلبك الذي لا يغفل ابدا ارجوك يا أمي أوقفي دموعك فهي غالية عندي كثيرا.

لتقاطعه بسرعة شديدة وهي ممسكة بذراعيه.

قل لي يا بني...هل عذبوك؟..،هل تأكل جيدا؟

لينظر في السماء نظرة خائبة وعيناه تلمع بالدموع، ليحتضنه بقوة شخصا أخر يبدو صغيرا

في السن عنه قائلالقد افتقدتك كثيرا يا أخي...،كيف حالك؟...،لا تقلق يا أخي لقد أسندت لك محامي ليترافع عنك في القضية، لقد جعلته يترافع عنك بكل قوة والحمدلله سمحوا لنا بالزيارة بعد طول عذاب، وهو هنا معنا ليخبرك بالخطة التي لن تخر منها المياه...،لا تقلق..،فكل شيء سيصبح بخير غمة وستزول.

ليرد عليه وهو محتضنه باكيا:

«انا مظلوم يا (حسني)» افعل أي شيء ارجوك انا اشعر هنا بالاحتضار اعلم والله يا أخي انك لم تقتل أحد لا تخف كل شيء مخطط له بدقة،

وبعد ذلك يلمح بعينيه المتساقطة منها الدموع عيونا بنية أكلها صدأ الشوق ومرارة الفراق وجنون رؤية الحبيب الذي لم تراه كل هذا الغياب بدون أن تراه أو تسمعه أو حتى تعرف اخباره ان كان حي أم ميت، لمح صمتا يريد أن ينفجر ،مثل القنبلة الخاملة سمع نبضات قلبه تناديه وعيناه تنظر بتمعن لتلك العباءة السوداء التي بداخلها وردة ولكنها ذبلت ليقول لها بصوت خافت هش غير مسموع ولكنها شعرت به كيف حالك يا عزيزتي؟

فركضت نحوه ولم تلتقط أنفاسها الضائعة إلا بين احضانه، ارتمت في عالمها الغامض الذي لا يعلم به أحد وقلبها ينبض ويخفق بشدة ليهز صدره ليميل برأسه على رأسها ويتهامس معها بصوت فيه ثقة حزينة هل انث خائفة؟

لترد عليه بصوت رقيق عفوي الا انا لست خائفة..،بل مرعوبة لمجرد فكرة بعدك وغيابك عني يا (مالكي) ارجوك لا تتركني بقصد أو عن غير قصد مرة ثانية يا حبيبي.

ليرد عليها وهو يحضنها بقوة متنفسا هوائها اوعدك بأنها لن تتكرر مرة أخرى وسأعود عما قريب وسنهرب بعيدا عن هنا.

ليهمس أخيه في اذنه قائلالا وقت الأن يا أخي فالمحامي يريدك ليبلغك بالخطة قبل أن تنتهي الزيارة.

- ليضع يده على كتفه ليقول وهو مشيرا لشخص آخر.

-اقدم لك الاستاذ / صبحي المنشاوي..،من أكبر.

ليقاطعه المحامي قائلا:

- لكي لا أطيل عليك يا أخ (مالكي) القضية ليست بالأمر السهل، فالوضع في غاية الخطورة إذ كان ما قاله أخيك صحيحا وهذا يجعل الحيل القانونية نصيبها معدم من القضية، وإن كان في ذلك لم يعد أمامك حل واحد لا مفر منه ولكنه سيسلك طرقا خطرة.

-ليبتلع ريقه والعرق يتصبب من على جبينه ليقول:

-لقد اقلقتني يا استاذ قصر وقل ما عندك، فأنا في غاية الفزع.

- ليرد عليه الاخر بصوت منخفض معطي الأهمية في ذلك.

- « حسنا قبل أن نخوض في اي شيء وانت طبعا لست القاتل: قل لي برأيك من القاتل،اشرح لي مرة أخرى.

ما الذى حدث معك من البداية فأنا سمعت من أخيك وأود أن اسمع منك.

-ليتنهد قائلا وهو شاحب الوجه شارد الذهن وعيناه الخضرواتان متسعتان على مصرعيها.

- انت كما تعرف انا اعمل مهندس مسؤول عن الحسابات المالية في شركة خاصة للأدوية pharmarnold.

- ملك رجل أعمال أمريكي،المهم جاء اليوم المشؤوم الذي لم يكن في حسباني ولا في حسبان أحد كنت قد أنهيت عملي وعائد إلى البيت بعد الظهيرة وكنت متفق مع زوجتي بأن نخرج الليلة لتناول العشاء في الخارج

فلاش باك(المالكى)

يوم الجمعة الساعة٠٩:٣٠م

كان المطعم هادئا وموسيقي رومانسية هادئة ومنضدة في وسطها شمعة جالس عليها شخصان ممسكان ببعضهم متسامران متأملان في بعضهما ويضحكان ويغازلها لتبتسم خجلا وتسقط عيناها من عينه وها هو هاتفه تصله رسالة فمسك هاتفه المحمول ولم يبدي له أي اهتمام ليضغط على زر الأقفال،وفجأة يلمح بعينه رسالة نصية قادمة من رئيس الشركة شخصيا فبدت على وجهه ملامح الدهشة.

* رئيس الشركة يراسلني في وقت هكذا لماذا." قال في خاطره.

وزوجته تحدثه وهو غير منتبه ليفتح الرسالة المكتوبة باللغة الانجليزيةMr.ARNOLD.

سيد مالكي...،انا أسف!!!..،لانى قطعت عليك أمسيتك السعيدة،ولكني سأضطر إلى العودة إلى أمريكا صباح الغد وكنت احتاج الخمسة ملايين دولار التي اودعتها في خزنة الشركة أول أمس لأضعهم في البنك نظرا لأن غدا يوم اجازه.

مؤقت....،انا الأن في مكتبي احضرهم معك وانت قادم لأني في عجلة في أمري،

ولن انسى لك ذلك المعروف.

وبعد أن انتهى من قراءة الرسالة قاطعت شروده زوجته معاتبة له لأنه غير منتبه لحديثها ليفيق من شروده قائلا في عجلة من أمره.

" اه لا شيء كنت أود أن أقول بصراحة انا اسف يا حبيبتي رئيس الشركة يريدني الأن في موضوع هام.

لترد عليه مقتطبه حاجبيها:

- كيف واليوم عطلة وبالليل ايضا يبدو أن هناك شيئا غير طبيعي،ماذا بك..،هل تخفي شيئا عني.

- لالا..،انت فهمتي الموضوع بشكل خاطئ،خذي الهاتف بنفسك واقرئي الرسالة بنفسك من رئيس الشركة.

لتشعر بخيبة الأمل قائلة في تنض غاضب اكره ذلك الأبيض البارد التافه.

ليمسك بيدها مهدئا من روعها في بسمة عاطفية ليقول لها.

لا بأس يا عزيزتى

لترد عليه بعصبية انثوية " يمغص علينا حياتنا ألا يريد ذلك الأحمق الإبتعاد عنك،ألم تكن منذ قريب" تركت البيت بعد منتصف الليل بسبب ذلك المعتوه الذي ليدفع الحساب ويضمها عليه بأناقة قائلا بصوت خافت

انت تعرفين يا عزيزتي ان زوجك أمين وهو لا يأمن لأحد غيري في الشركة حتى ابن أخيه لا يأمنه على شيء حتى مال الشركة ويعتبرني ابنه وانت كما تعرفين ان ابن أخيه سكير وزير نساء ورجل الأعمال يخافون على أموالهم: فيتمايل علي قليلا ولكن بيني وبينك انا لست متفائل هذه المرة،"

ليرتاد السيارة وتضع زوجته يدها على شدقيها في خيبة أمل

" لماذا..،انا في الحقيقة لا ارتاح له،"

ليرد عليها في شرود وهو مستند بكامل ظهره على الكرسيقلبي غير مطمئن لااعرف لقد طلب مني مبلغا كبيرا جدا هذه المرة علي عكس المتوقع

وبعد ذلك يدخل بسيارته ليفتح له حارس الأمن قائلا

مساء الخير استاذ / مالكي..،مستر ارنولد في انتظارك

ومن ثم يدخل مكتبه ليضغط على جهاز تحكم إلكتروني، ليفتح باب الخزنة ويفتح شنطتان جلد ويعبئهم بورقات فئة المئتى دولار أمريكي،وبعدها يسير في الطرقات ولا يوجد أحد في الشركة، ليدق باب مكتب رئيس الشركة ويدخل متنحنح، وفجأة يتجمد الدم في عروقه متسعة عيناه من رؤية قطرات الدم على الأرضية، يسكن الرعب في قلبه محرك عينيه يمينا ويسارا وبدأ ينادي عليه بصوت متقطع وجف ولا أحد يجيب ليتجه مع قطرات الدم نحو الحمام والمكان هادئ تماما لينادي مرة أخرى:

" مستر ارنود...،مستر ارنولد."

ومع وصوله إلى باب الحمام ليجده مفتوحا فأرتجفتِ يداه لتفلت منها الشنطِتان مرتجفة شفتاه مبتلع ريقه بصعوبة: ليجد رئيس الشركة ساقطَ على الأرض ملطخ بدمائه مستنجدا بظهره علي الحائط بجوار المرحاض،ليركض نحوه مرتعبا فخر على الأرض يلملم في جسده الذي يكاد الدم يخرج من كل أجزاء جسده ويحركه دون حراك لينادي عليه وفجأة يأتي أحدهم من الخلف لينظر خلفه بسرعة لينبعث غاز الاسبراى في وجهه ليفقد القدرة على الحركة ليغمي عليه، ويضع الشخص المجهول في يده مسدسا كاتم للصوت

وبعدها يفيق (المالكي) في مستشفى وإحدى يداه مكبلة في السرير لتدخل الممرضة عليه

مطمئنه على صحته لتخرج من الباب وتقول لذلك الضابط

« لقد استيقظ...،لقد استيقظ.»

ليدخل عليه الضابط ومعه ورقة يخرجها من جيبه ليردف قائلا بلهجة حادة

*استاذ/مالكي.،مطلوب القبض عليك

لتتسع حدقة عيناه غير مصدق ليرد عليه بلهجة غاضبة

ما الذي تقوله؟ ومن انت حتى تكلمني بهذه الطريقة: وما هذا الشيء الحقير الذي تربطونه في معصمي

ليقاطعه الضابط في بسمة ساخرة

لا تتعجل في الحكم قبل ان تعرف التهم التي عليك انت متهم في قضية قتل وسرقة أموال خاصة، أي كلمة سوف تقولها ستأخذ ضدك

لتتسع حدقة عيناه منتفضا من على السرير غير مصدق والضابط يفك قيده ويكبله في يده ليقول

« مستحيل..،أنا أنا لا اعرف شيئا عما تقوله».

وبعدها يحول إلى قسم الشرطة ليعرض على النيابة: ليدخل غرفة النائب العام ليجد أشخاص اجانب ذو شخصيات مرموقة يبدو عليهم قادمين من القنصلية وجوههم تنفث غضبا ليوجه النائب العام سؤاله

« هل انت المدعو..،المالكي احمد فؤاد »

ليومئ رأسه قائلا

ليقول النائب العام

ما هي أقوالك في التهم الموجهة إليك..،خيانة الأمانة والشرف والقتل العمد وسرقة خمسة ملايين دولار أمريكي

وهذا كل ما حدث معي..،أ / صبحي...،انا مظلوم انا لم أخن أحد ولم اقتل أحد ولم اسرق أحد قال (المالكي)

اقترض انني اصدقك وما رأيك بشهود العيان من حارس الأمن والرسالة المرسلة إليك،والاتهامات

الموجه إليك من ابن

أخيه ضدك وكل شيء يبرهن انك الفاعل قال المحامي ليترنح غاضبا صارخا في وجه المحامي ليلفت انتباه الحاضرين:

« ولكني لم أفعل شيئا».

ليأتي الشاويش طالب الهدوه ويضمد أخيه جراح ناره ليقول له المحامي همسا اهدأ يا سيدي..،اهدأ من فضلك، لا تقلق سنحلها سويا انا عندي خطة ستريحك من هذا كله، ولكنها ستحتاج موافقتك واظن ان هذا هو الحل والخيار الأخير الذي في جعبتك، ستسقط اهليتك لتنقذ من إعدام مؤكد وتلقي في مستشفى أمراض نفسية

ليرد عليه وهو يهز متعجبا من كلامه

« ما هذا الهراء الذي تتفوه به، ولماذا لا تترافع عني..،انت محامي أم مهرب: ما تتكلم يا (ابراهيم)،*

ليقاطعه المحامي بهدوء

* القضية يا سيدي أصبحت رأي عام ومرأى علي مسامع السفراء والعاملين في السفارة: وطالبت بالإعدام وبعد التحريات

ادنت بالقتل والسرقة وهناك ضغوط كبيرة، يبدو أنك في طيلة السنتين شعرت بها فهذا يدل علي انك لم يزرك أحد ولم يعرف عنك أحد،»

سيادة المحامي، كيف لي أن اسرق المال وارجع لقتله ما كنت اخذتها من البداية من مجنون يصدق هذا قال (المالكي) بصماتك موجودة على المسدس، سيدي ارجوك تفهم الوضع، علي كلامك انت لم تقتل ولم تسرق أحد ولكنهم يريدون ضحية ليغلقوا القضية، فهذه القضية بذات تؤجج مضاجع أناس أكابر في البلد وبين هذا وهذا أصبح الحكم القضائي بات نافذ بالإعدام، قال المحامي وبعد سماعه كل هذا الجنون أضيق فكره واتسعت عيناه غير مصدق وغير مفرق بين الواقع والخيال، وبين رمة ما يحدث اقتنع انه دخل الجحيم من أوسع أبوابه،ليضع يده على رأسه نادب حظه ليقول« ما العمل إذا».

لينادي أحدهم بصوت عال..،لقد انتهت الزيارة على السادة الزائرين الخروج الأن، ليغمزه المحامي بعلبة سجائر في الخفاء وقال له هامسا ما بداخل العلبة هو مخرجك كل ما عليك فعله تنفيذ ما في داخلها فالحكم بالإعدام سيأتي في أي وقت، فلا تتردد للحظة واحدة ليأخذه عسكري ليودعه أخاه..،في رعاية الله.،مودع أهله بذهن شارد وقلبا خافق وعرقا يجعل خصلات شعره البنية متدليه على جبينه وحلقه الجاف وعيناه التي في عينان جثة هامدة لا ترمش مودع زوجته بنظرة حائرة.

تتوقف سيارة سوداء على جانب الطريق الصحراوى لتتمدد في الداخل: وبعدها ينزل الدكتور (ثروت) في حرص شديد ملتفتا يمينا ويسارا ويدور حول سيارته متفقدها في نظرات متباعدة، ليتأكد من عدم وجود شيء ليمسح العرق التي تلمعه الشمس على رأسه المصلع، ومن ثم يفتح حقيبة السيارة ويلتقط حقيبة سوداء اشبه بالصندوق عليها علامة جمجمة بعلامة اكس ويضعها على الأرض ليلتقط حقيبة سوداء بكبسولة طويلة مثل حقيبة سفاري كبيرة ليتنهد تنهيدة ليحمل الحقيبة الطويلة ذات الثقل علي ظهره والآخرين بيده،ومن ثم يسير بين ثنايا النخيل صاعدا هضبة صغيرة، ليتجه نحو مبني كبير قديم مكون من طابقين مشيد علي الطريقة الفرنسية في العهد الفاروق من اربعينيات القرن الماضي،

وتلك الفطريات والأعشاب تسكن شقوقه الطويلة والغربان تقطن فوق نوافذه القديمة" ومن ثم يدخل من خلف المبني ليفتح باب خشبي كبير لتخرج بضعة خَفافيشِ وهو غير مبالي ليتجول في ذلك الرواق الكبير الملئ بالغرف ليتوقف أمام إحدى الغرف وينزل الصندوق من يده ليخرج المفتاح ليفتح بعناية ويدخل ويشعل المصباح ويزيح الحقيبة من على عاتقيه ليقول وهو مضجر والاشمئزاز على وجهه ماذا كنت تأكل أيها الأحمق قبل أن اسلوبك الى هنا؟..،يا لكم من فقراء معاتيه تأخذون حيزا من الفراغ وانتم لستم بقيمه ليحدث شهيقا وزفيرا من كثرة التعب محدثا نفسه وهو يحدث بعض التجهيزات على كرسي خشبي موصل ببعض الأجهزة ولكن من دونكم ماذا كنا سنفعل..،ومن سيجلب لنا العاهرات الرخيصة سهلة المنال.

لترتسم على شفتيه ابتسامة مع ضحكة صفراء خفيفة ليقول وهو يفتح الحقيبة

"ومن سننفذ عليه مشروعنا المستقبلي".

ليخرج منها رجل في الثلاثينات من عمره مرتدي نظارة وربطة عنق وقميص سماوي وعلى صدره لافتة مكتوب عليها اسمه يظهر عليه انه يعمل في شركة ما ليجاملِه ويسنده على كتفه ليتحرك به بضع خطوات ليجلس على الكرسي الخشبي ويبدأ بتكبيله بالسلاسل المعلقة يمين ويسار الكرسي وبعد الانتهاء يوجه اليه عدة صفعات ضعيفة وهو يضحك ليقترب منه ليفتح عينيه وينظر اليه يهزأ ليقول له ارتاح يا صغيري...،فنحن عندنا عمل شاق غدا."

وبعد ذلك يحمل أغراضه ويغلق الباب خلفه بعناية،ليمضي قدما نحو سلالم واسعة ليصعد إلى الطابق الثاني المكان يبدو مهجورا ليفتح باب غرفة لها نافذة كبيرة مطلة علي الخارج، ليلقي بحقيبته داخل دولاب خشبي كبير قديم مزخرف على الطراز الإيطالى ويضع الحقيبة السوداء علي طاولة في منتصف الغرفة ليفتحها ليفتح جهاز صغير مثبت في الحقيبة ليكتب رقم سري لتفتح الحقيبة المقسمة من قسَمين الجانب الأيمن موضوع في عقارات طبية والجانب الأيسر كلك كأنها قادمة من إحدى المختبرات الكيميائية التي تباع في السوق السوداء ويدلي بيديه على أحد العقارات ليرفعها أمام عينيه بتفاخر ليدقق النظر فيها بتمعن شديد ليردف قائلا وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة واسعة

« ها قد بدأ العمل الجاد»

ويضعها في موضعها بعناية، تدفئوا يا صغاري فأنتم الذين ستجلبون لي النعيم.،قال ذلك،ليغلق الحقيبة ليذهب بعدها إلى أحد أركان الغرفة ليزيح الكومودينو ويرفع تلك السجادة ليجد باب حديدي يتربع الأرض ليفتح ويضع الحقيبة بداخله وبعد الانتهاء من بعدها بظهره على الحائط متنهدا تنهيدة طويلة ليرفع رأسه محدقا بعينه في سقف الغرفة ليمد يده في الاغلاق بإحكام ليستند بعدها بظهره على الحائط متنهدا تنهيدة طويله ليرفع رأسه محدقا بعينه في سقف الغرفة ليمد يده في جيبه ليخرج علبه السجائر ليخرج واحدة لإشعالها ويضع يده اليسرى ليخرج زجاجة مستطيلة ويرتشف رشفة من نبيذه الخاص وبعدها يتمتم بكلام غير مفهوم (العودة إلى الماضي)

والسيجارة في المنتصف بين السبابة والوسطي، وهو يستنتشق منها دخان بغلظة ويزفر دخانها ببطء وينظر إلى ساعته ويحدث نفسه بسخرية وهو يقول « دقت ساعة العمل..،وينهض علي ساعديه، مرتشفا رشفة من النبيذ مستندا علي الحائط ليتحرك بطريقة سكير عشوائية حتي يصل إلى النافذة الكبيرة واقفا خلفها مستندا بأنفه على الزجاج ملقي نظرة إلى الخارج حيث الصبار والأعشاب المتفردة في الصحراء الشاسعة والجرذان الخارجة من جحورها والصقور الجارحة محلقة في السماء، لينتفض فجأة من على الزجاج فاتحا ذراعيه قائلا بكل غرور وجنون مطلق بصوت عالي:

« سوف اثبت لهذا الفراغ ولهذا الكون البائس انني جدير بإضفاء لمستي وتغييره كليا».

ليرجع بظهره إلى الخلف ب بعشوائية سكير يشعر بأنه الطبيب النفسي الاسكتلندي الوحشي (دونالد كاميرون) الذي كان يجرب علي مرضاه النفسيين أبشع الطرق فما عرف بطريقة الصدمة وتحويل مرضاه إلى عقول بيضاء،ومن ثم يتعثر ليسقط علي الأرض لترتسم ابتسامة خفيفة علي شفتيه مع تبلور دموع في عينه وهو يشهق ويزفر بصعوبة محدثا نفسه

« لن أكون من ضحاياك ايها العالم المجنون، لن اتساير على منهجك الاستعبادى لن أكون عروسة متحركة في يدك، كل ما سأفعله أن أجعلك تحفر اسمي بحروف من ذهب....،أبي!! هل تسمعني؟..،حلمك علي وشك الانتهاء، انا اعرف يا أبي انك اورثتني حمل ثقيل ولكن لا بأس به فأنا جدير بهذا اتعرف ما الممتع في هذا أصوات صراخات ضحايا المرضي، هؤلاء الحثالة الحمقى يجعلوني استلذ بتعذيبهم أكثر من أن أجرب عليهم خطتنا قريبا سيذكرنا المجد والتاريخ يا أبي.»

ليجهش باكيا بطريقة غريبة مِرتشفا رشفة من نبيذه الخاص وفي اثناء بكائه قائلا بنرجسية:

« ابكي يا عزيزي...،»

وعيناه متسعة وفجأة يحدث صوت ضجيج خافت هامس لتتسع عيناه ليكتم أنفاسه لتتجمد

الدماء في عروقه،ليسترق السمع بأذنه اليسرى.

ليسمع صوت ضعيف أشبه بصرير الفئران، ليقوي من حاسه سمعه أكثر متسائلا،ما هذا الصوت ثم يصوب عينه بسرعه على امتداد يساره ليرى فأر فيحدث ابتسامة خفيفة ويتحدث بكل عفوائية

" هل تتنصت على؟...،على كل انت فأر،ما رأيك أن تصبح صديقي، فأنا اريد التغيير فكما تعلم البشر مزعجون جدا."

فيبدأ الفار بالصرير كرد منه علي قبول صداقته متجها نحوه متحسسه، ليقول له متعجبا:

" صوتك يدل علي موافقتك: اذا مرحبا بك....".

فيعتدل علي بطنه رافع حاجبيه ليقول له:

"!!اه انا اسف...،نسيت ان اقدم لك كرم الضيافة،"

ليمشط بإصبع سبابته على رأسه مستأنسا هل انت جائع يا صديقي، قال له.

فهم باخراج علبة سجائره ليلقي أمامه واحدة فيبدأ الفار بتشممها ليلتهمها تدريجيا بنهم وعينه متسعة وبعد ابتلاع الفلة بدأ التمسح في يد الدكتور،

ليقف الدكتور مرة واحدة علي قدمه مثل أحد مصارعين الوزن الخفيف ليبدأ في الصراخ في سعادة مغمورة متراقصا بحركات عفويه ليفزع الفآر ويخر هاربا إلى جحره بينما الأخر فرحا بأنه وجد شيء

" لقد وجدتها...،الفآر أكبر مثال على الخطة الجديدة"، قال في نفسه

فلمحه الدكتور من غضة طرف عينه وهو يدخل جحره فارتسمت ابتسامة علي وجهه يوجه اليه رسالة شكر ليقول أول معرفتي بك بفائده كم انت حقا أفضل من بعض البشر المستهلكين الذين ليسوا لهم قيمة شكرا لمساعدتك لي انت من الأن صديقى المقرب ليصفع جبينه بيده كناية علي نسيانه شِيء ليركض نحو مكتبه ويفتح الدرج ليلتقط نوتة ويبدأ بتدوين ملاحظاته عليها ووضعها في جيبه ولملم أغراضه ليغادر بعدها يفتح (سمير) باب شقته بكل هدوء فالساعة متأخرة بعد منتصف الليل، ليدخل بتأني ليفتح باب غرفة النوم ليجد زوجته مغطاة في النوم،ليدخل ببطء ليتجرد من ملابسه الخارجية وبعدها يتجه نحو الحمام فاتحا حوض المياه مستلقي بداخله وعليه علامات الإرهاق ومن ثم يستنشق بعض الهواء ليبدأ بحبس أنفاسه ليسترخي بجسده الذى تعلوه المياه تدريجيا ليقبض يده اليسري في الأسفل ليفتحها اصبعا اصبعا مكررة عدة مرات ليخرج وجهه من حوض المياه سريعا متلفظا أنفاسه ويشهق ويزفر بسرعة لينظر يساره ليجد أحدهم يمده تجاهه و في يده منشفة والذهول ارتسم علي

وجه ليقول مندهشا

«(سحر).....،أما زلت مستيقظه »

لتضع المنشفة علي جانب الحوض وتهوي خلفه لتحتضنه من الخلف مربتة علي كتفيه بكل نعومة لتقول له بصوت انثوي ناعم

« لقد كنت انتظرك يا زوجي العزيز...،لقد برد العشاء: ليردف قائلا في تأتأة

انا اسف يا حبيبتي..،لقد نسيت ان ابلغك انني تعشيت في الخارج في مقابلة عمل».

لتقترب أنفاسها الدافئة لتهمس في اذنه قائلة:

« انا حامل»

ومشاعر الشوق والفرحة علي وجهها لتتجعد ملامح وجهه في غموض مندهشا ليلتفت نحوها بسرعة البرق وكأن الخبر نزل عليه كالصاعقة، وفاه مفتوح وعيناه التي بدا عليها انها قالت الكثير، لتعرف ان نظراته تدل علي الخيبة، وبدأ القلق والتوتر يتبعثر علي وجهها مبتلعة ريقها لتردف عيناها بعيدة عنه بوجه مكشر قائلة لماذا انت لست سعيد بهذا الخبر فيهم الهدوء لبضع ثواني، محركة رأسها نحوه لتحصل علي إجابة قائلة:

لماذا هذا الصمت.

انت تعرفين يا حبيبتي...،إن فاقد الشيء لا يعطيه...،ونحن فعلنا المستحيل من أجل انجاب طفل واحد ليشاركنا حياتنا عام ويمر مرور الكرام وفيهم من نزل مشوه ومات، وانا مازلتِ اكررها مرارا وتكرارا انا لم أعد اريد اطفالا انا أريدك فقط.

ليمسك بيده ذراعيها والأسى علي وجه:

صدقيني انا لا اضغط عليكي، ولن اقول لك مثل ما يقولون في الأفلام ان لم تنجبي سأتزوج عليك، انا لا اريد شيء سواك ودعينا نكمل باقي حياتنا سعداء بدون أن يعكر مزاجنا أحد قال له وكيف اعيش سعيدة بدون أن أكون أم فردتت عليه فيترك يدها في استياء ليضم منكبيه لصدره محاصرهم بذراعيه وجه محمرا ليقول متنهدا

لماذا كل مرة تتحدثين معي في هذا الموضوع بصيغة المفرد،أحدث نفسي واقول هي امرأة والنساء لهم مشاعر فياضة وطاغية عليهم، وانت تجرحيني بكلامك، انا اريد أن أكون أم انا اريد انا....،الا تملين ومن انا أمامك هل تشعرين بأنني زاهد في الحياة لا اريد شيئا انا..،انا اريد ان أكون أبا مثل كل الأباء،ولكن قلبي يتقطع عندما أرى أحد ابنائي يموت بسبب عامل جينات أو سبب إلاهى وانا واقف أمامه قليل الحيلة مكتف اليدين لا استطيع فعل شيء

وتأتي بكل بساطة انا اريد أن تجعليني أظهر بدور الرجل القاسي الذي لا يعرف معنى الحياة حبيبي...،انا لا أرى مبرر غير أن نحاول مرة أخرى انا لا اريد شيئا سوى ان املأ الحياة عليك واشعرك بالسعادة واجلب لك سندا يسندنا ويملأ علينا حياتنا،

قالت ذلك لينظر إليها ليجد الدموع تتغرر من عينيها ليمسح بإبهامه دموعها من تحت عينيها برفق، ليضم رأسها إلى صدره بلطف كطفلة بريئة ليقول لها بنبرة مواساة وصوت خفيف.

لا تبكى..،انتى تبكين..زوجتى حبيبتى انا لا اريد أحد فى الحياة غيرك يكفى انك سندى وتملأين عليا حياتى وبما انك مصممة يا حبيبتي فلك ما شئت سنذهب إلى المستشفى غدا لنطمئن علي طفلنا.

- لتنتفض من علي صدره فرحة والبهجة في عينيها لتقول له وهي متلهفة:

- شكرا لك يا زوجي الحنون، ليرد عليها وهو واضع سبابة اصبعه في منتصف جبينها كأنه يروض طفلة:

ولكن هذه ستكون أخر مره...اتفقنا لتهز رأسها بالموافقة ليقبلها في رأسها ليقول لها مازحا:

لقد سرقنا الكلام..،ألن ارتدي الملابس أم اننا سنقيم هنا ام ماذا؟

- لتضحك...،ليسعد بابتسامة لأنه أرض صغيرته الشقية التي لا تسمع الكلام ولو مرة واحدة من فضلك احضري إلي غيار داخليا لتومئ برأسها قائلة

- وسأحضر العشاء أيضا

- ليريح رأسه على مقدمة الحوض سارحا في خياله متذكرا أول مولود له.

flash back(سمير)

كان يعمل موظف حكومة في قسم الدمغات وفي وسط زحام عمله أتى له رجل الشاي مناديا له:

استاذ (سمير) مكالمة من زوجتك.

ليتشحب وجهه ليهب نحوه بسرعة وعلامات القلق والتوتر علي وجه المتصبب عرقا مجففه بمنديلا فهو يعلم أن زوجته في آخر شهور حملها وما هي إلا أيام علي وضع الطفل وبعدها يرفع سماعة الهاتف بدون أن ينطق بحرف فحدثته إمراة صوتها غريب ولكنه مألوف له ليقول لها:

- من انت؟..،لترد عليه بنبرة غاضبة انا حماتك...،ساخره منه..،ماذا تفعل فى وقت هكذا وزوجتك تلد ، ليرد عليها وهو يجفف عرقه وصوته متقطع:

اين انتم الأن،

نحن في مستشفى ..،فأغلق سماعة الهاتف سريعا والتقط معطفه وأخذ يجري في اروقة وسلالم المبني والجميع ينظرون اليه بنظرات غريبة، وبعدها يستوقف بسيارة أجرة أمام المشفى ليدخل متجها بسرعة نحو قسم الولادة فلمح حماته في آخر الرواق جالسة علي مقعد وهي في حالة مزرية تبكي لسبب ما ليمر بجانبها دون أن يسألها ما الذي حدث؟.،لتتسع عيناه وضربات قلبه المتسارعة، ليقترب خلف الباب لينظر من خلال الزجاج فيفتح الباب طبيب ليمسكه من ذراعيه قائلا وهو مبتلع ريقه:

زوجتي.....،كيف حالها

ليرد عليه الطبيب في حالة من الأسف:

الحمد الله هي بخير،ولكن الطفل تعيش انت.

لتقع عليه الجملة وقوع الصاعقة لتتسع حدقة عيناه والطبيب يحدثه كأنه يحدث نفسه ليمر من جانبه متخطيه ليذهب إلى زوجته ليرسم ابتسامة ثقيلة علي وجهه يقبع مكانها الحزن الشديد ليمد يده نحو جبينها ماسحا دموعها الساكنة لا تنطق بحرف محاولا مواساتها وهي لا تستطيع النظر في عينيه

flash back 2 (سمير)

يرجع إلى البيت في ساعة متأخره كالعادة وعندما وضع المفتاح في الباب سمع صوت نحيب،ففتح الباب بسرعة وأخذ يركض إلى غرفة النوم ليقف الدم في عروقه ليجد زوجته تبكي علي جنينها الذي نزل علي هيئة دماء مترامية علي السرير ليرتعب من المنظر متوجسا متسائلا فأصبح الموضوع روتينا بالنسبة له، ليتسائل في نفسه: مالذي فعلته في حياتي حتى يحدث لي هكذا لماذا يا رب؟

ليستيقظ من غفوته علي صوت زوجته انت نمت يا حبيبي العشاء جاهز ليدر وجهه لها قائلا في سكون نفسي حسنا سأخرج الأن نحن في وسط زراعي عند بيت مكون من طابقين وسط عدة بيوت متباعدة، يفتح (عمار) باب بيته بعد منتصف الليل ليلقي زوجته خلفه لتهوي اليه محتضناه بشدة ليقول لها في دهشة من أمره

لماذا انت مستيقظة حتى الأن يا (سارة)".

لترد عليه بشوق" في انتظارك يا حبيبي".

ليلمح أمامه علي تلك الطاولة طعام والمكان ضوئه خافت يشبه احمرار الشفق ليرجع للخلف حركه بسيطة ليقول متعجبا" ما هذا!"، لترد عليه بشغف

" هذا سنوية عيد زواجنا.": ليرد عليها والخيبة على وجهه:

" انا اسف، لم اتذكر ولم أحضر هدية."

والابتسامة مرتسمة علي وجهها قائلة

" لا بأس يا عزيزي فأنت تعمل طوال النهار ومنهك في العمل فهذا كثير عليك: كل ما عليك الأن أن تذهب إلى الحمام،لقد حضرت لك مياه دافئة،، ليرد عليها في خجل مستشعر مشاعرها الفائجة نحوه

" لا اعرف ماذا كنت أفعل بدونكِ وبعد ذهاب (أميرة) زوجتي إلى المستشفى": لتتغير ملامح وجهها إلى الغيرة لتقول بنبرة غاضبة " امازلت تتذكرها انساها يا حبيبي...،انساها ".

لتنزلق عيناه على الأرض حزنا ليقول وهو شارد

" وكيف انساها."

فالتقطت يداه لتأخذه معه لمحة سريعة حتي تغير الموضوع

* هيا يا عزيزي تعال لكي تستريح فأنا في جعبتي بعض المفاجأت *.

فانطوى لأمرها في طيبة وبعدها راح ليستحم وارتدي هندام البيت وجلس علي طاولة الطعام وعيناه للأسف والارتباك علي ملامحه وهي جالسة أمامه وعيناها الخضراوتان لا تنزل من عليه والخجل يترنح عليه، ليمد يده ليأكل ليفض خجله الملموس، ليقول في خاطره « كيف لامرأة كهذه تحبني كل هذا الحب وانا لا اعرف،فهي جارتي كيف لم التفت إليها كل هذه السنوات: لا لا لا....

انت تحب (أميرة) و(أميرة) تحبك مهما يكن فهذه مجرد اعجابات لا تغتر بها ولكن التعايش سينسيني كل شيء، هل المرء الذي يحب أحدهم وبعدتهم الظروف، هل سينساه ويتعايش أم سيتذكره برهة ويتعايش: لا اعرف »

سأل نفسه سؤال عاطفي وكانت الأسئلة ترتكز لنفس النقطة وكلاهما غير محبذ له ولكنه يعرف الواقع فالواقع مجرد واقع لا يأبه بماذا تريد فأنا لا شيء بالنسبة له مجرد عابر سواء تحدثت أو لا وفي اثناء ذلك في الجهة الأخرى تحدث خيالها

«لم أكن اتوقع يوما في حياتي أن الحياة ستهبك لي وانك ستكون ملك لي أنت وحدي بعيدا عن تلك التي تسمي، قلبي ينبض فرحا لا أجد طريقة اصيغها لك لأقول لك انني حامل ابنك يسري في احشائي هيا تشجعي ليفيق علي صوتها (عمار) هل تسمعني؟

ليأمأم برأسه، انا اعرف انك مجهد ولكن كنت أريد أن أخبرك بالمفاجئة التي احضرتها لك، لتأخذ نفسا عميقا لتقول بابتسامة عريضة انا حامل:

وفجأة ينحشر الطعام في حلقه،مختنق غير قادر علي استنشاق الهواء، لتقوم من مقعدها بسرعة لتلكمه لكمة علي ظهره:

ليبلع اللقمة بصعوبة، فالخبر بالنسبة له لم يكن له عاديا لينظر إليها وهي واقفة بجانبه وعيناه تفوحان منها الغضب ووجه محمر ويشهق ويزفر في هدوء كاتم ما قبل العاصفة والكوب الزجاجي كاد ان ينكسر في قبضة يده ليقول كيف!!!

لتتغير ملامحها من الفرحة والذهول إلى الغرابة والاندهاش ليتابع حديثه

« انا لم انم معك يوما واحدا»

لينظر إليها مستشيطا من الغضب لترتجف خوفا ومن ثم يقبض بيده اليمني منكب ذراعها ليصرخ في وجهها قائلا: هل

تخونيني..،اجيبيني انطقي لتسقط الدموع من عينيها المتسعتان قائلة بذهول حاد

" هل تشك في؟ "

" مع من تخونني، انطقي والا سأقتلك "،لم تنتهي الكلمة وهو يزيح بيده اليسرى الطعام من علي الطاولة بسرعة ويده الأخرى تقبض رقبتها ليرفعها لأعلى بقوة وينزل بجسدها على الطاولة بكل ما أوتي من قوة وهو يصرخ في وجهها

" مع من انطقي أيتها العاهرة.....،هل تستغفليني من وراء ظهري "

ويداها تنتصبان نحو وجه مستنجدة بأن يتركها متمتمة بصوت عالي محشرج وهي تقول

" دعني اشرح لك ستخنقني سأموت بين يديك".

ليفك الخناق ولكنه ممسك برقبتها والغضب العارم على وجهه وعرقه يتصبب على وجهها وهي تلفظ أنفاسها بصعوبة.

" هل تذكر تلك الليلة عندما جئت من زيارتك لزوجتك في المستشفى

*****

تجلس (أميرة) جلسة القرفصاء في منتصف سريرها متعودة علي ذلك منذ أن استقلت عليه وجفون عيونها سوداء ووجهها المشرق تحول إلى اللون الباهت وخصول شعرها خارجة من تحت وشاحها غير مرتبة متدلية علي جبينها ونظرات عينها متسمرة أمامها تكاد لا ترمش تدخل الممرضة عليها مقدمة لها الطعام متحايلة عليها ان تأكله حتي تأخذ الدواء بلا أي جدوي، وفي اثناء ذلك يدخل (عمار) من خلف الباب لاتتحدث معه الممرضة مبررة له انها رافضة الطعام ولا تأخذ الدواء في ميعاده،فيأم برأسه في خيبة ويشير بيده لها بأن تخرج لتتركهما مع بعضهم، فتغلق الممرضة:، فيشعر بغصه في قلبه مع اغماض عينيه في نفس لحظة انغلاق الباب ويداه ترتعشان وشعوره بتنميل في قدمه يريد التحرك ولكنه لا يستطيع التحرك شبرا واحدا ويضع يده علي قلبه الخافق بشدة عندما يراها وعينه الزابلة الحزينة تنظر نحوها بقلة الحيلة تتحرك قدماه بصعوبة كأنها تأتي هنا ولا تريد أن تعمل، ليجلس بجوارها في هدوء وعينه معكوسة في عيناها الشاخصة أمامها ليقول في نفسه " هل هذه (أميرة) التي اعرفها منذ صغري؟، هل هي لا مستحيل والصمت يعم المكان وكأنهم يحدثون بعضهم في خيالهم الباطن

(عمار) فلاش باك

اتذكر عندما كانا يرتادان الجامعة معا وكان خائفا بأن يفصح عن حبه لها وينطق تلك الكلمة التي لا يستطيع أن يوثق تلك الكلمة في قلبها كان يشعر بنبض قلبها وخجلها الدائم، كان ينظر إلى كل عين غريبة تسترق النظر إليها بغتة بنظرة دفاعية مغيرا بها عليها فكانت تستمد قوتها من غيرته عليها فترتسم علي شفتاها الحمرواتان الابتسامة الضاحكة حنانها يذكره بأمه التي ما كانت تشعره بالطمأنينه والحنان، فقرر ذلك القرار المتردد فيه دائما فنظر نظرة أخيرة إلى ذلك كان المرسال ليتفقد ما كتبه مراجعات تلك القصيدة الشعرية المسروقة فقرر الاسترجاع وبتلك الخطوة التي احترقت في الأفلام القديمة قرر ان يعطيها الكتب والمرسال في ظرف علي الواجهة وقال

" امسكي تلك الكتب سأذهب لأحضر شيئا لنأكله فلاحظت ذلك الجواب الذي شد انتباهها عنوانه"

** الجميلات هن الجميلات **

الجميلات هن الجميلات

نقش الكامنجا فى الخاصر

الجميلات هن الضعيفات

عرش بلا ذاكرة

الجميلات هن القويات

يأس يضئ ولا يحترق

الجميلات هن الأميرات

ربات وحي قلق

الجميلات هن القريبات

جارات قوس قزح

الجميلات هن البعيدات

مثل أغاني الفرح

الجميلات هن الفقيرات

كالورد في ساحة المعركة

الجميلات هن الوحيدات

مثل المواصفات في حضرة الملكة

الجميلات هن الطويلات

خلات نخل السماء

الجميلات هن القصيرات

يشربن في كأس ماء

الجميلات هن الكبيرات

مانجا مقشرة ونبيذ معتق

الجميلات هن الصغيرات

وعد جديد غدا أو براعم زنقط

الجميلات كل الجميلات

انت اذا ما اجتمعنا ليخترن لي أنبل القاتلات

* محمود درويش"

وانت احب لي من كل الجميلات، بعد إضافة سطره كتب توقيعه بصورة غير مفهومه حتي لا يفك رموزها ان لم يعجبها ما قدمها لها بينما كانت تقرأ القصيدة المسروقة وهو يراقبها من بعيد وعيناه غير صابرة علي ما سيحدث بعد ذلك وبعد انتهائها من قرأتها ابتسمت خجلا واحمر وجهها فرقص فرحا فالتقطت قلما وكتبت عليه وضعته بجانبها فيتوقف عن الرقص مذهولا ونبض قلبه والماء تدفق بقوة في جسده لا يعرف ما الذي سيحدث، فتنهد تنهيدة عميقة وتقدم نحوها في خطي ثابتة ذو ملامح وجه معتدلة، وعيناها متجلية على الأرض وشخصيتة المهزوزة تجعله يشعر بالتوتر فجلس بجانبها والصمت سيدهما نظر إلى الجواب بطرف عينه ليلمح ما كتبته فوجد خط قلمها الأسود الذي ليل الأغاني

" وانا احبك"

لم تضيف حرفا أخر فاتسعتِ حدقة عيناه فرحا وتباعدت شفتاه زهوا فنظر إليها فوجد يداها الناعمتان تتلامسان توترا وتفركهما في بعضهم ووجها الأبيض المحمر خجلا وعيناها الرمادتتين تتلألأن في وهج الشعاع الأبيض فمد يده المرتجفة ليضعها على يدها ويمسك بها فارتعش جسدها في وليد لحظتها لينظرا مرة واحدة في وجه بعض في سماحة والتفت مرة أخرى بدون أن ينطقوا بحرف فحب المشاعر أصدق من حب الكلمات وعيناه سارحة في وحي سماء عينيها تائها بأفكاره وكأن السراب الأبيض يحوطهما شعر كأنه طفل في يديها فسقطت عيناها على الأرض خجلا لتفلت يدها تارة بعد تارة فأحس انه اقتحم أنوثتها عن غير قصده فسقطت عينه على الأرض أيضا في سعادة وبهجة، لم ينطقا بحرف ولكن القلوب تراقصت حبا وعشقا يفيق من شروده وهي أمامه لا تحرك ساكنا فيبدأ بتحريك فاه كاعطائه تدريب ممهد ليخرج بعض الكلمات المثقلة علي لسانه لينطق أول كلمة بصوت متقطع " (أميرة) هل تسمعيني؟...،إن كنت تسمعيني: فاعطيني أي إشارة هزي رأسك افعلى أي شيء لا تتركيني هكذا هذه عاشر مرة أتي لك فيها هنا دون أن تنطقي بحرف

فيفقد الأمل في الحديث معها فيميل برأسه على كتفيها ويزيح بيده صينية الطعام الموضوع على الكومود ليرخي ذراعه الأيسر عليها ويميل رسغه ليعرف من الساعة ما الوقت،ليحدثه بصوت شجي مكسور مبحوح خارج من قلبه إلى قلبها المنفطر علي ابنها ومستقبلها فيغلق عينه بدرجة بسيطة وعينها شاخصة أمامه ورموشه ساكنة

" انا اعرف ان الذي حدث لك مؤلما".

ليميل برأسه يمين تارة ويسار تارة مع صوت خافت فيه بعض الوعيد:

اه لو عرفت من فعل هذا العمل الشنيع وسكب لك هذا العقار المهلوس الذي أضاعك من يدي وفطر قلبي عليك.

ليجز على أسنانه.....،سأقتله لن ارحمه، ولكن كيف أجده وكيف اعرفه كيف...

ليقبض يده ليضرب بامتعاض سطح الكومود يلوم نفسه وعيناه الثقيلتان وشفتاه التعيسة تنطق بصعوبة:

" ولكن هل تعرفي...،مبدئيا انا اسف لأني تزوجت عن غير قصد بعد الحادث بسنة فقط من أجل أن يعتني أحد بابننا (ماهر)

لترتسم ابتسامة خفيفة حزينة على وجهه هل تذكرينه؟

ليضغط علي شفتاه متنهد ليعتدل مع استدارة ظهره لها وعدول نفسه، ليطلق أخر جملة في حديثه البائس الذي لم يخرج بحذافيره بشيء يذكر وهي لا تحرك ساكنا كأنها مومياء

ولكن عندي لك خبر سار في هذه الحياة الغابرة، ابننا (ماهر) دخل المدرسة اليوم: واستقليته

بنفسي اليوم ولكنه كان شجاع دون أن يبكي مثل باقي أصدقاته، وقبلني قبلتين ثم قال لي قبلة لك وقبلة لأمي ومن ضمن أولويات مجيئي انني احمل لك قبلة من صغيرنا

ليسمع صوت تنهيدة بكاء فيستدير تجاهها فيجدها تبكي في صمت والدموع تنهمر من عينيها ليتفاجأ باحتضانها له بشدة لتدمع عينيه ليقول مندهشا

*****

* الحمد لله....،انها تعرفني وتتذكرني انا وابننا".

ليطبطب عليها ويقبل رأسها وربت بيده علي كتفها ليضمها بشدة ملامس خديها مشتما رائحة شعرها متذكرا رائحة

الذكريات وليالي الأنس الجميلة، ليهمس في اذنيها قائلا

هل تتذكرين أي شيء؟

فانتفضت سريعا بإخافة للخلف وهي تحدق لعينيه بذهول ودموعها تسقي كحل عيونها مجري اسود علي جانبي خديها لتطيل النظر في عينيه وبدأت بقول شيء غامض ولكنه لا يفهم شيئا كأنها مرعوبة من أحدهم وتحذر منه وحدقة عينيها لمعت بشكل غريب،ولكنه لا يفهم شيء غير انها تمعن النظر في عينيه بشدة حتى تاهت بخيالاتها في بؤبؤ عينه لتشاهد مواقف وسينيوريهات تتحرك مجازا في عينيه كأن خيالها يصف واقع مر ملئ بالضباب مرت به، فهي ترى امرأة تضحك بهيستريا ولكن الضباب يمحى ملامحها فتصحو من تخيل تلك الأحداث بهزة من زوجها القاطب على حاجبيه متعجبا ليقول

" (أميرة) ماذا بك؟ ".

فتستفيق من خيالها البارح في هذه المرأة التي لا تخرج من رأسها فتنظر اليه وتحدثه مستنجدة به من شيء يخيفها ولكنها غير قادرة على نطق حرف واحد وهو يطبطب عليها باشفاق لا يعرف ماذا يفعل، وهي تروي معارك طاحنة تحدث داخل رأسها ولكن الواقع هادئ باستماتة ولكن الحروف لا تجتمع فيأست لتخر مغشيا في صدر زوجها ليفزع فيحركها دون جدوى ويصفعها بلطف لكي تستيقظ ولكنها لا تبرح مكانها فينادي علي الأطباء لكي يسفعوها فتدخل الممرضة بسرعة ومعها الطبيب ليقول له

* اخرج في الحال.....،ضعي أنبوبة الأكسجين، اعطني الحقنة...".

وعيناه متسعتان ذهولا ليسحب من ذراعه اليمني ليتراجع ببطء يشعر بشيء من الهلاك غير مدرك ما يفعله القدر معه ليتسند بظهره علي حائط الغرفة من الخارج، والدموع متساقطة من عينه ليتنهد تنهيدة شاهقة من داخل قبره ليركض مسرعا في الرواق والدموع تتطاير من

عينيه غير قادر علي تحمل النظر إليها.

مع دخول الليل يستقل سيارته أمام بيته الذي يتقطن وسط الأراضي الزراعية: ليأخذ نفسا عميقا ليصعد إلى الطابق ليتحسس جيبه ليخرج المفاتيح ولكن الباب الموارب فيتسائل مقتطب حاجبيه:

* الباب موارب في ساعة كهذه لماذا".

ليدخل بحركة موازية للجزء الموارب وبحزر شديد،ليجد مائدة طعام موضوع عليها كل ما لذ وطاب، ليتسائل مرات عديدة، ليقطع حبل تساؤلاته صوت انثوي ممزوج ببعض الإثارة قادم من علي يمينه

" هل جئت يا حبيبي؟".

سؤال ليس له معني كثير من الناس يطرحوه، في تطلع إلى الصوت ليرى زوجته (سارة) مرتدية قميص نوم وردي شفاف، لينظر إلى الأرض خجلا بوجه محمر فهو لم يعتاد إلى امرأة غير زوجته السابقة، وهي تقصر عنه رقبة عينيها في عينيه، لتتحسس صدره ضاغطة علي شفتيها والآخر فاقد الشهوة ناحيتها ومحاولة لابعاد الموضوع أشار بإصبعه نحو مائدة الطعام ليقول

ماهذا؟": فتجيبه سريعا:

" هذا عشاك ياحبيبي"،ليرد عليها:

" انا لست جائع"، لتعانقه لتضع رأسها علي صدره متوسلة اليه بحنان:

" ارجوك كل من أجلي فإن لم تأكل سأحزن كثيرا".

لتسحبه من يده برفق وفاه مفتوح: لتجلسه بهدوء، لتجلس علي حجره: والابتسامة علي شفتيها طوال الوقت لتلتقط بيدها قطعة من صدر دجاج لتضعها في فمه بكل رقة، وجبينه يتصبب عرقا وهو يمضغ قطعة اللحم ويبلعها بصعوبة، ليقول:

" يبدو أن المسلسلات التركي أكلت عقلك "

لتبتسم ضاحكة خفية وهي تقلب بعض البازلاء علي الارز لتضعها في فمه والطعام ينثر من فاه من كثرتة ملتقطة منديلا مجففة به عرق جبينه

" هل هذه مؤامرة نسوية من ثمانينات القرن الماضي عندما توقع إحدى النسوة رجل في شباك فخاخها ولكني سأتماسك وأكون على العهد" قال في خاطره.

فيقاطع يدها الممسكة ببعض من اللحم ليقول لها مضطربا:

لقد شبعت"، لتضعها في فمها وتأكلها بنوع من الغرابة ملتقطة حبة عنب قائلة له

" كل هذه يا حبيبي من أجل خاطري ، مكررة لما تقول ليندهش من أسلوب معاملتها وعيناها التي لم تنزل من عينيه وصدرها الشبه عاري الذي يسترق النظر اليه بين أونة وأخرى ولكنه متماسك متصببا عرقا مبتلع الحبة بأعجوبة فتناوله الأخرى فيؤم بالرفض وتأكلها ببطء وتبقي اصبعها في فمها كشيء من الاثارة هو متحمس ولكنه رافض وامعائه تدغدغ بعضها من سماع تلك الموسيقي الكلاسيكية موسيقي مونامور فتلتقط منديل اخر وترطب به جبينه مرة أخرى فتسكب الشاي الأخضر في كوب زجاجي وعيناه حائرة بين الكوب وعينها لترفع الكوب الساخن قرب فمه لترغمه علي رشف رشفة منه في تشف منه مرة واثنتان وعينه متسعة فتتساقط بضع من قطرات الشاي الساخن عليها لتصدر صوت تألم انثوي مثير...اه..،قادر علي تحريك جيش كامل نحوها ليلتقط منها الكوب ويضعه ليقول لها مستفسرا عن حالتها بنظرة عاطفية:

" هل انت بخير؟" وهي محملة عليه، فبدأت عينه تثقل وتيقنت انه اخيرا سيقع في شباكها لتجيبه في محن

" لقد لسعني الشاي في كلتا ساقي".

فيلتقط منديل مسرعا مجففا به ساقيه وهو ينظر وفاه مفتوح، ليقول هكذا افضل لتقترب منه أكثر لتقول وفي صدري أيضا لتتسع عينيه أكثر ويبتلع ريقه، لم يستطع المقاومة وكأنه حشرة سقطت في شباك العنكبوت، لتعقد حزام الحبلين المتدلي علي جانبي قميصها علي عنقه كالزعانف لتساعده علي النهوض لتتراجع إلى الوراء وهو يسحب معها لتهتز راقصة بجسدها ولعابه يسيل من فمه غير قادر علي ضبط حركة جسده بدأ يفقد اتزانه.

.،جفنان متثاقلان، والشاي المسكوب، ورائحة العنب تتراقص علي أوتار الليل المشئوم،والقائد المنوي يجر جيشا من العبيد.

انا حقا لا استطيع.....الا اقاوم،الا اترنح مكاني.....وأفر فرارا نحو الافق البعيد.....،والقدر يخون العهد المسبوق.....،ليدخلني غرفة سوداء مظلمة كالليل.....يا للبؤس ويا للأسف.....،لقد خنت العهد

الكانش « وصايا الشيطان التائب»

لتسحبه إلى داخل الغرفة لتهوي بظهرها علي السرير لينقض عليها مثل ذئب جائع بعد سنين عجاف يجلس علي كرسي بجانب الطاولة متوترا يبحث ويتذكر ما قالته مرتبا أفكاره بسلاسة ليستوعب ما راوته تلك الليلة يبحث من بين خبايا الماضي ليعيد رؤية الصور والأحداث الشائكة، ليتذكر بالفعل من وسط تلك المعارك التي تدور في رأسه ان اخر شيء تذكره عندما شرب الشاي احس بثقل في رأسه، لينظر إليها في بلاهة من أمره ليقول لها في اسف وصوت متردد:

انا..،انا أسف لقد ظلمتك واتهمتك بالخيانة عن غير قصد، انا اعلم انك زوجتي ولك حقوق زوجية علي ولكن لا تؤاخذيني فعندما مرضت زوجتي منذ أكثر من عام وانا احس بالاعياء الشديد وعدم التركيز.....".

لتقترب منه في لهفة من أمرها وعيناها تشعران بالأسى لترد عليه

" لا بأس يا حبيبي....،فأنا بجانبك دوما وسأرعي ابنك جيدا ولكن كل ما عليك ان تهتم بنفسك وبنا ومن أجل أن تخطو تلك الخطوة عليك بنسيانها.

فوقف منتصبا بعين غاضبة يستدير ليعطيها ظهره ليقول وهو منتفس أنفاس غاضبة:

" انت تعرفين جيدا انني متزوج علي ورق لترعي ابني حتي لا يشعر بفقدان الأمومة وان لا يشعر انه أقل من أحد وتعرفين أيضا أن (أميرة) غالية عندي ولن انساها مهما طال الزمن وان مقدار حبي لها لن يتجزأ مهما طال الزمن اعرف ان كلامي قاسي عليك ومرة أخرى انا اسف فأرجوك ان كنت تحبيني فلا تفتحي الموضوع مرة أخرى والأن اخلدي إلى النوم، لكي نذهب إلى المستشفي غدا لنرى ما يخبأ لنا القدر مر بجانبها فظلت تراقبه حتى دخل إلى غرفة النوم وهي تحتبس مشاعرها فوضعت رأسها بين يديها وبكت في صمت فالمرأة أشد ما يؤرق حياتها أن تكون هناك امرأة دخيلة وأشدها ان كانت من الماضي،اما الأخر فالسعادة في الحياة مهما قدمت بمولود جديد وحب جديد فسيظل يذكر من يحب حتى وأن الأرض فالحياة الحقيقية تتوقف عندما تتوقف الرياح ولكن مع هبوب الرياح القادمة سيتغير كل شيء حتي وإن كان الشراع مثقوب

الساعة ٨:٠٠ صباحا

مع صباح اليوم التالي يدخل (سمير) زوجته غرفة التحاليل مطمئنا أن كل شيء سيكون بخير بإذن الله، وينتظر في شرفة رواق المستشفى يتحسس جيبه ليخرج علبة سجائره ينفث دخانها والشؤم يتصارع علي وجهه ليقدم صوت من خلفه منذ متي وانت تدخن يا صديقي فيلتفت ليجد (عمار) ليرد عليه وهو عاقد حاجبيه

" حضرتك من تكون فيجيبه لم تتذكرني (سمير) العضلات فيرد بلهفة وشوق (عمار) المخ" بالحضن يا صديقي ويعانقان بعض بشدة، فيقول (سمير) وهو مربت علي ذراعيه وعيناه تفيضان فرحا

" انا لم ارك منذ أن تخرجت من الجامعة يا لوقاحة الزمان يأخذ منا كل جميل: كيف حالك؟: وأين أراضيك، وأين تعمل وماذا تفعل هنا لا تقل لي أن (أميرة) صديقتنا هنا فكل ما أعلمه عنك انكما تزوجتما".

ليستند علي الحائط ليقول وهو ناظر أمامه في حزن وشفقة وابتسامات ساهرة

" ما زالت أسئلتك كثيرة يا صاحبي، ولكن انا كما تعرفني ورثت أرض أبي وازرعها اما عن (أميرة) صديقتنا طارت كما طار الدخان....،اووووشش،".

فاقترب منه بجدية وحذر وبصوت منخفض وحاجباه مثيران دهشة وتساؤل:

هل طلقتها؟

..،الأمر أكثر من ذلك بكثير.

- اذا ما الأمريا صديقي

الموضوع وما فيه ان القدر حال بيننا قي ظروف غامضة:، انت لست غريب لن اخفي عنك شيء رجعت من المزرعة في يوم من الأيام وجدتها ملقاة على الأرض اخذتها إلى المستشفي، فقال لي الطبيب ان زوجتك شربت عقار مهلوس وان حالتها ستسوء وزجت إلى مشفى للأمراض النفسية، في أحداث لا يعلمها إلا الله

- (سمير): مستشفى الأمراض النفسية التي في القاهرة

- (عمار): نعم هي هل لك معارف هناك

- نعم يا صاحبي فأنا اعمل هناك عند مجموعة من الأطباء النفسيين

فتشبث بيده والرجاء في عينه كالطفل البرئ وقال له

- هل لك ان تخدمني خدمة العمر وتخرجها من هناك وانا ارعاها بنفسي: فرد عليه بنظرة تعاطف

- تمالك يا صاحبي فالموضوع ليس بالأمر السهل،فالحالة لو وصلت هناك لن تخرج بعد أن تتعافي، فترك يده بعد محاولة فاشلة في الأمر فتبسم الأخر ابتسامة لإعادة صيغة الأمور حتي لا يتركه حزين وقال

-لكن لا تقلق...،فأنا لي موظفين أحبائي هناك يريدون مجاملتي بأي طريقة، سأوصيهم عليها لا تقلق بشأنهافالموضوع بأيدينا سأحاول علي قدر استطاعتي بأن ابتكر أي فكرة لإخراجها من هناك

- حقا ذلك

- الموضوع بأيدينا اضغط علي الصبر فاقترب منه وقال له بصوت مرتبك:

- انا اعرف اني سأتعبك معي ولكنها خدمة صغيرة: انا اسف.

اطلب يا صاحبي فنحن أخوة قبل أن نكون اصدقاء انا....،انا متعب نفسيا بعد هذا الموضوع وانا متعب نفسيا وأريد أن أذهب إلى طبيب نفسي ولكني محرج بأن يكتشف أمري وأكون أضحوكة علي ألسنة الناس فأنت تعرف انا اعيش في بيئة فلاحين وصيادين وهذا الأمر غير مألوف بالنسبة لهم فأريدك ان تأخذني إلى طبيب معتبر في سرية تامة، وهو ناظر اليه مذبهل ليرد عليه طلبك عندي يا صديقي لاكن ايبيبيبيبيه....،اعطني رقم هاتفك،فهم باخراج الهاتف المحمول بسرعة واملاه الرقم ليطرح (سمير) سؤال اندهاش

لقد سرقنا الكلام،ماذا تفعل هنا؟

اه....،نسيت ان اقص عليك بقية ما حدث بعد أن ارتادت زوجتي المستشفى تزوجت امرأة جارتنا لترعي ابني (ماهر) فأنا اذهب إلى المزرعة كثيرا ولا أريده ان يشعر بالوحدة، وفي اثناء ذلك ارتسمت علي وجهه ملامح غيرة الابوة ليقاطع حديثه قائلا

هل عندك ابن، ليجيب الآخر بلا مبالاة

نعم...،فابني الان في الصف الدراسي الأول، ومن ثم جئت لأكشف علي زوجتي،ليرد عليه بابتسامة ساخرة

يا لسخرية القدر....،وانا كذلك ليرد عليه (عمار) بابتسامة مماثلة، ليقول

ألم يكن القدر ساخرا فقط بل جمعنا في غيبة جبه بعد أن ابعدتنا الحياة عن بعض وتساعدني بعد ما كنت تساعدني في أيام الدراسة وتحميني من هؤلاء الصبية المتمردين، حقا الدنيا صغيرة: لا اعرف يا صديقي كيف ارد لك هذا الجميل

- فيربت على كتفه مطمئن ليرد عليه بابتسامة عريضة

- لاتقل هذا يا صاحبي فأنا معك في كل زمان ومكان.

- فتقاطعهم صوت ممرضة من خلفهم

- الاستاذ (سمير) موجود

نعم....،انا

زوجتك تريدك، فيقول له

وداعا ياصديقي،هل تريد شيء سأهاتفك قريبا فهم (عمار) بمعانقته وعينه تلمع فيها الدموع، فيمشط (سمير)يده على ظهره ليقول

- لا تقلق فأنا معك، فيتركه مودعا الأخر ليرفع عينه إلى السماء قائلا بعين الشكر

- الحمد والشكر لك يا الله فأنت لا تنسى أحد

يقف (سمير) خلف الطبيب يترقب معه حركة الجنين علي الشاشة فيسأله:

هل الجنين بحالة صحية جيدة؟

يبتلع ريقه منتظر الإجابة ليرد عليه الطبيب

" لا تقلقا فالجنين في أفضل حالة، كل ما عليكي ان تتغذي جيدا وتأخذي الدواء في ميعاده،فتمتم الأخر بكلمات شكر إلى الله الحمد الله فيمضي نحوها ليساندها ويهنئها بابتسامة خفيفة..،الف مبروك يا عزيزتي..،ومن ثم يستقبلها خارج الغرفة ليتحسس جيبه في حركة مصطنعة ليقول:

انتظريني هنا..،فأنا نسيت علبة السجائر بالداخل وهي مترقبة ملامح وجه الشكاكة باقتضاب حاجبيها ليدخل الغرفة في عجلة ليتهامس مع الطبيب بصوت منخفض وهي تسترق السمع من الخارج

" هل انت متأكد ان الجنين بحالة صحية جيدة" قال ذلك

نعم بالتأكيد طبعا"، رد عليه

انا خائف أن ينزل الجنين مشوه أو ميت كالعادة ": فيرد عليه مطمئنه

انا متفهم شعورك..،ولكن لا تقلق فجهاز السونار أوضح لنا كل شيء اطمئن فالأحداث التي حدثت معكم تحدث مع أشخاص كثر..،لا تقلق يا استاذ (سمير) فكل شيء سيكون بخير

*****

خلف الستائر يرتدي الطبيب القفازات ويضع جهاز الاستشعار علي بطنها ويحركه ببطء،وبعدها يخلع القفازات ليرتاد إلى مكتبه وهما جالسان أمامه مترقبان عينيه الجاحظتان في بعض الأوراق ويلملم بعضها لينتهي منها ليخلع نظارته متنهد تنهيدة خفيفة لتستعجله (سارة) المتوترة في سؤال قائلة

" خير يا دكتور..،انا حامل."، ليرد الطبيب للأسف..،انت لست حامل،هذا مجرد وهم لكن لا تقلقي سأكتب لك علي مقويات لتساعدك علي الحمل وترتادي إلي بعد اسبوع لكي اباشر حالتك الصحية، ويستحسن بأن تكثرا المعاشرة لتنظر اليه نظرة حزينة خائبة، ليهم من مجلسه ليعتقها ويطيب عليها مطمئنها..،خير ان شاء الله المرة القادمة سيستجيب الله وتحملين بطفل جميل مثلك،لا تقلق فالله معنا..،قال ذلك وهي مازالت تنظر اليه بدهشة لأنه أول مرة يقترب منها بإرادته كان يكره تلك الأفلام بأن تخرج اليه امرأة غير التي يحبها بطفل وتهنيه بذلك، كان منطوي جدا لا يعرف كيف يتصرف في تلك الأمور لا يعرف التصرف بالأمور العادية

أو الصعبة، كأنه ذلك الابله الذي خرج علي عتبة المسرح لا يعرف أي دور سيؤديه، فالحياة منعطفات في تاريخ الأفراد منعطف يغيره ومنعطف أخر يدمره ولكنه لم يكن جزء من مؤامرة ما هو مزارع لا أكثر يزرع ما يحصده، ليقول في نفسه وهو يضمها بيده علي كتفها وهما خارجان لا اعرف ما الذي أريده فالحياة تعاش مرة واحدة بمرها وحلوها فما الذي أفعله الأن انسى واعيد الحياة من جديد أم اظل بائس عديم الطعم وعديم اللون..،لا اعرف يا رباااااه

الساعه ١٢ ظهرا

أصوات ضجيج الأطباق وميزوفونيا مضغ الطعام الموحشة وكثرة الثرثرة المزوجة ببعض الألفاظ الخارجة بين المساجين وبعضهم كأنها صوت معزوفة سخيفة يسمعها (المالكي) الذي يقف خلف السياج عيناه شاخصتان يرى شيئا من الضباب لا يقدر على اتخاذ قرار الدخول إلى المطعم،فعقله مغيب وأنفاسه تدخل وتخرج بصعوبة ويداه ترتجفان والرشح يسيل من أنفه، فيتحسس جيبه ليخرج المناديل ولكنه تذكر انه في السجن فمسح بكمه، فخطر فكرة شجاعة ليتخذ خطوة واحدة إلى المطعم،ولكن قبل هذا فحص نظرة سريعة علي مكان جلوسه بين المساجين، فرأي شيئا غريبا ضباط جالسين يتناولون الطعام يتحدثون الانجليزية انوفهم حمراء وبشرتهم بيضاء وأعينهم خضراء وجميعهم يرتدون شارة الإمبراطورية البريطانية العظيمة وكؤوسهم المليئة بالنبيذ ناخبين أنفسهم في سعادة غامرة فرحا بإحتلالهم دولة أخرى وتلك العاهرات والراقصات ذوات الملامح الشرقية مستحيل يكونوا هؤلاء ضباط انجليز هل انا في العصر الفاروقي لا انا نائم واحلم بكتاب تاريخ الثانوية ما قبل الامتحان قال في نفسه

ومن بين كل هؤلاء الضباط ينادي عليه أحدهم،ويرفع له كأس نبيذه بإشارة تعالي هنا شعر بأن قدماه مثبتتان بمسامير صلبة، فنهض من مجلسه ومضى نحوه والسكر والغضب على وجه ليصرخ في اذنه بعبارات غاضبة فيرد عليه الأخر وهو ساكن مكانه.....،ماذا....،ليأتي صوت أخر مختلف

انت يا رجل..،هل هناك مشكلة؟: فيفرك عينيه، ليجد مسجون يحدثه ولا يسمع منه حرف: فيسترق نظرة أمامه من خلف السياج، فيجد المساجين في وضعهم كما هم عليه من قبل بلا وجود ضباط انجليز ولا راقصات انتابه شعور غريب بأنه فقد ادراكه بالواقع فقد سيطرته بالتحكم بالأمور أصبحت الهلاوس تتصارع في رأسه، فينظر لرجل وحلقه جاف محاول ان يبتلع ريقه ليقول له

لا..،لا ليس هناك مشكلة...،انا فقط.."، فيقاطعه الرجل الثلاثيني من عمره وشعره المخلوق وذقنه علي شكل دوقلس قائلا

" يبدو أنك جائع ليرد عليه علي الفور بعد أن استجمع كلماته:

" نعم...،انا.،انا جائع".

وجبينه يمطر عرقا بل جسده كله وعيناه حمراواتان ولسانه مثقل ليهم الرجل بمسح عرقه بمنشفه علي كتفه وبعد تفص بعينه ترتسم على وجهه ابتسامة ساخرة مصحوبة الضحكات المقهقهة بصوت عالي ليقول:

*****

" هو انت منهم..."، ليرد مندهش من اسلوبه:

من حضرتك حضرتك..،ها.،هههههههههيههه: ألم اقل لك انت منهم، يبدو انك ستتناول صنف عالى لم يدخل السوق تطحنه.،لا لا..،ليقترب متمعن فيه النظر..،انت داخل في ماذا لا تقل

لم يستطع اخراج انف هذا المتمرد من طريقه أو التحدث لابعاد الشبهه من عليه ولكن دون جدوى فاستدار ليأخذ طبق فارغ ليملؤه فوجد انعكاس صورته، هالات سوداء وشفتان ترتجفان وعينه مليئة بالقنوات الحمراء الاتساع من الرعب ليسكب الطعام المثير للاشمئزاز علي طبقه ليختفي وجهه من القصة، كان يريد التقيؤ لكن أحدهما دفعه ليجد نفسه يسير خلف أحدهم في حركة غير منتظمة:، ولا يحول عن طريقه كأنه شخص تائه، فألقي نظرة علي الجماهير العريضة التي أمامه فوجدهم ينظرون اليه بمقت شديد وكره لا مثيل له ملقون عليه اللوم كأنه الجندي الذي هرب من مواجهة للعدو في تلاحم علي بوابة الحدود وبسببه اسروا جميعا يا للهول انا لم أكن ولدت في عام النكسة أم أن جدي اذاقنا مرارة الهزيمة وتحملت عبئه علي كتفي ما هذا الغباء الذي افكر فيه...": قال في نفسه

فألقي نظرة مناوبة، فلا يجد أحد ينظر اليه ولا يعيره أي اهتمام، " وهذا الرجل المقزز الجالس بجواري يلتهم الطعام الموضوع أمامه، كأنه يلتهم أخر وجبة له في حياته، يبعثر من فمهه فجال شيء في خاطره بل جملة تتصارع في هامش شعوره

" تمالك حتي لا تفشل الخطة "

فتتسع عينيه عندما قال تلك الكلمة..،نعم الخطة...،ظلت تعاد مرارا وتكرارا فضغط علي رأسه والألم يأكل جبهته، بدا كأنه يريد أن يتذكر شيء فأغمض عينيه

نعم انها الورقة..،أي ورقة أتكون تلك الورقة التي في علبة السجائر..،أمعقول هذا انا لا ادخن..،مهلا تذكرت لم تكن علبة سجائر عادية بل كان بداخلها أقراص غريبة، ولكن أين تلك الورقة"

فتنهد تنهيدة طويلة فأحس بشيء ينغصه في قلبه، فوضع يده علي قلبه فوجد ورقة منطوية انطواء عشوائي في جيبه الذي في صدر القميص فأخرجها بسرعة ليقرأ ما فيها لأنه لا يتذكر شيء من الايام الماضية بدون إطالة..،موكلي انت تعلم أن الخروج من القضية ببراءة أمر مستحيل وان الحكم بالإعدام بات نهائيا ولكن النافذة دائما تتسع للجميع ولكن بكل عقلانية سنخرج

من الباب الأساسي ان كنت تريد تحقيق تلك الخطوة فعليك بإتباع كل ما هو مطلوب منك تناول دوائك جيدا فهذا هو الحل الأخير

ابتلع ريقه لكي يعيد ترتيب أفكاره...،ما هذا الدواء الذي وصفه لي محامي لا أعرفه...،فلمح بطرف عينيه رجل علي الناحية الأخرى شاخصا في تلك الورقة، ليهرول ذعرا من تلك النظرات السمجة، فيسأله الرجل تمردا في بلاهة من أمره

"ما هذه الورقة يا استاذ ".

بدون رد وبدون أي مقدمات، يبتلع الورقة بسرعة وبصعوبة،، لتتسع عينا الرجل ليقول زهوا:

ما الذي فعلته ايها المجنون": فيكرر السؤال: لكن دون إجابة ليقول وهو ممرر لسانه علي شفتاه ينظر باستلذاذ إلى طعامه

علي كل ان لم تبتلع لقمة واحدة من طعامك، فيجدر بك أن تعطيه لي بدلا من القائه في القمامة": فيؤم برأسه بالموافقة

فيبدل الأطباق بسرعة ب يده في الطعام بتقزز ليسأله السؤال التطفلي المعتاد والذي يكون علي كل سجين بأن يسأله حتي يعرف قدرة من يدخل جحر الفئران ما الذي اتي بك إلى هنا "، ليرد عليه بكل عفوائية

جئت لأتناول الطعام ولكن ليس لي رغبة في هذا فنظر اليه الرجل بشيء من السخرية ثم ينفجر ضاحكا تشبه إلى حد صوت الفئران ليقول الظاهر عليك انك ابن ناس ولا تفقه شيء في لغة اولاد البلد انت امك اسكلكندية: اقصد يعني ما التهمة التي جئت بها إلى هذا المكان الرائع

*****

فيلتفت حوله مندهش وهو يبتلع ريقة ليحاول ايجاد تفسير لهذا الكلام:،وبعدها بدا في صياغة افكاره وترتهبها ثم أَخَذَ نفسا عميقا فبدأ يتحدث بطريقة تراجيدية يرتل الكلام ينطق كلمة ثم يصمت ثم ينطق الأخرى ثم يصمت والرجل محدق اليه ثم رتب جملة واضحة سريعة الالقاء فقط لينتهي من مناوشات الرجل ثم رفع يده كأنه يلقي خطاب سياسي مشيرا بأصابع الاتهام إلى من القاه في الدرك الأسفل، ومن ثم قال الحكاية وما فيها انني اتهمت في سرقة ملايين الدولارات: ولكن هذا ايها...،فينظر اليه ليقرأ كلمة نزيل ليعيد الجملة مرة أخرى: ليقول...،ولكن هذا ايها النزيل ظلم وافتراء: ولكن انا لم أفعل هذا

ثم يتوقف الرجل عن مضغ الطعام، وعيناه مازالت محدقتان ليرد عليه في دهشة غاضبة معاتبه بصرامة أأنت منهم " ليجيبه وتعبير وجه لا تفهم لما كل هذا الغضب" من...،من! "..." من هؤلاء اللصوص الذين سرقوا ونهبوا خيرات البلد...،اللعنة عليك وعلي امثالك...،يا

لوقاحتك، تسرقون مال الشعب وتشربون بها المخدرات

ومن ثم ازاح طبق الطعام الذي يأكل فيه ليضعه أمامه ويبصق فيه ومن ثم يتركه وهو يسبه بكل غضب مغادرا المكان في وسط أعين مدببة كالرصاصة عليه مجموعة منهم يمقتونه بسخرية وهزأ وهو ينظر إليهم بغتة والخوف يتملكه وذلك العجوز الذي يراقب الأحداث عن بعد، ومن ثم يضع رأسه بين يديه نادي حظه التعيس وفي ظل هذا الجمهور الضاحك المخيب الأمل والمنتظرين أضحوكة أخرى ونكتة أخرى لتهون عليهم معيشتهم في هذا الجحيم الخانق المظلم السالب منهم كل امانيهم في الحياة الغير عادلة وذلك الرجل الجالس خلفهم يسترق النظر والسمع من خلف جريدته مظهره يضفي عليه بعض الرقي والتحضر ذو ملامح حادة وجامدة، وفي الجهة الأخرى يتهامس رجل ندوب وجه تحكي تاريخ مرير من الحروب الخفية التي خلف السلم، مع بعض المساجين الجالسين حوله علي منضدة الطعام يبدو من حديثه انه قائدهم والسخرية مرتسمة علي وجوههم وبعد نهاية حديثة تحولت وجوههم إلى الغضب الهاشم ليمضوا نحوه ملتفتين حوله، كأن الحديث الذي اوقفهم فيه بعض شحنات الغضب المقاومة لحركة النيوليبرالية والارستقراطية المستغلة لقوت العمال البروليتياليين الكادحين الذين يصعد علي اكتافهم رجال الأعمال الرأسمالين ولكن اشكال وجوههم تثبت العكس،

فبدا علي وجوههم انها هشمت في كل أقسام البلاد وندوبهم البارزة كسابقة تحكي تجاربهم الماضية التي لم تفي بشيء ولم يمتلكوا اموالا ومناصب وقصور فارهة بل اودعتهم في مكب نفايات لا يصلح الا للفئران الهالكة من الهروب الابدي وائنناتهم المكسورة الملونة بالسواد الذي يشبه معَيشتهم.

"يا للهول!!!...،ما هذه الكائنات التي تلتف حولي" قال في خاطره وهو يرتجف وينظر إليهم بذهول ويمض مسرعا بسؤال عفواني غير مطلي بداء الخبث:

" هل تبحثون عن شيء هنا؟".

ليضع الرجل ذقنه علي كتفه ليهمس في اذنه بصوت مسموع:

" نعم نبحث عن الكنز المفقود الذي تخفيه داخل امعاءك الناعمة " ليطلق الجميع أصوات ضحكات وصافرات استهجان:

وبشيء عفوي يبتلع ريقه ليجيبه مستفسرا:

" ممكن التوضيح..،انا لا أفهم شيء من كلامك،"،ليصفعه بيده بقوة علي مؤخرة رأسه، لينغمس وجهه في قالب الطعام ويسحبه من شعره بقسوة بطريقة غير آدمية ليمسح الطعام من علي عينه كأنه يرسم لوحة فنية ليرد عليه في هدوء غاضب

" انت ستمثل علينا دور الأحمق..،ليصرخ في وجهه..،أين المال الذي سرقته؟ "

وعندما جاء الدور ليبرر موقفه فيقاطعه من الخلف صوت رجل عجوز مبحوح ومحشرج ومخيفه لتتسع أعين الجميع ليقول

" دعه يا (جنزير) انت ورجالك فهذا خاصتي."

ولكن ايها الجد (سليمان) هذا..."،ليشير بإصبعيه اليه بمعني اتركه وشأنه، ليرفع الأخر يداه الاثنتين في استسلام وخضوع وامتثال للأمر ليتركوه ويغادروا المكان في ذهول من أمرهم،ليمسح (المالكي) بقايا الطعام من على وجهه:

لينهض من مجلسه وهو غير مصدق متزعزع في نفسه ليقدم اليه يده لمصافحته قائلا له شكرا فإذا بالأخير ذو الملامح"

الغادة لم يمد يده للمصافحة ليقول له *

هل تظن نفسك في قاعة مؤتمرات: نحن هنا في سجن، كن حذرا في حديثك مع الآخرين وان أردت العيش هنا فعليك باتباعي وان جئت لزيارتي في غرفتي إياك وان تقرع الباب مرتين وان تنعل حذائك وانت تدخل".

*****

ليمر بجانبه متخطيه غير معر له انتباه، ليستدير معه (المالكي) علي خطواته ناظرا له وهو يهرش في رأسه غير مستوعب ما يحدث معه، ليتنهد تنهيدة ممزوجة بالخوف قائلا في خاطره

" لن أستطع المواصلة أكثر من ذلك لن أستطع التحمل...،لن اقدر الصمود أمام فوهة البركان العاتية..،ارجوك يا الله ساعدني..."،فنزلت قطرة دمع من عينيه اليسرى.

فالسجون في البلاد الشرقية وخصوصا البلاد النامية تنقسم إلى قسمين مقبرة في الجحيم

الجحيم كله في المقبرة

عقله المغيب بسبب الأقراص افقده القدرة علي التعايش في بيته الجديد،فكبح أعصابه الخاوية بشدة حتي يستطيع بقاء مدته الافتراضية وسط هؤلاء القوم.

كان من البديهي ان كل شيء يسير وفق حساب مقدرات الأمور،كانت الحسابات معقدة، وتحقيق هدف العملية اشبه بالمستحيل ولكن الجدية والسرية التامة اضفي علي الخطة رونقا سحرياء كانت العملية تسير مثل عمليات المافيا العالمية فالدكتور (ثروت) سيفعل أي شيء مهما تطلب الأمر حياة الجميع، فتنفيذ الخطة الشيطانية لن ترحم أحدا حتي صاحبها.

تستوقف السيارة السوداء في مكان في الصحراء شبه خالي يلتقط زجاجة معدنية يشرب منها ليرطب جوفه فحرارة الشمس المحرقة تسير علي الأرض بلا هواد، يخرج منظار روسي

الصنع ملتقط نظرات في كل حدب وصوب من داخل سيارته بدقة عالية كأنه إحدى القناصة الامريكيين علي اسطح بغداد،ليتنهد تنهيدة صامتة،: كموظف علي وشك بداية عمل شاق، ها هو يخرج من سيارته بنظارة شبه سوداء وبذة سوداء وربطة العنق الخائقة ليلتقط من حقيبة السيارة حقيبة سوداء حاجبيه مسدلة الستار علي عينيه متفادية أشعة الشمس،يقف فجاءة في منتصف الطريق المؤدي للمبني القديم ليربط حذاءه ولكن الرباط مربوط بإحكام، ولكنه يلفي نظرات يمينه ويساره،ليتأكد اخيرا من خلو المكان الذي يتقطنه بعض الهضاب الصغيرة وأشجار النخيل،ليدخل المبني ويغلق خلفه بإحكام وهو يعد أصابع يده ليفتح السرداب المتربع علي الأرض لينزل إلى قبو المنزل الذي يتوسطه رواق كبير وطويل وبجانبيه غرف كثيرة، ليستوقف أمام احدى الغرف، ليدلف من حقيبته السوداء قناع مضاد للغازات مرتدي قفازات،ليدخل الغرفة التي بها نقوش عشوائية علي جدرانها الرمادية وفضلات بشرية تأخذ كل أركان الغرفة، ودودة سوداء تشبه ذات الأربعين قدم تسير ظهر يد بها ندوب وثقوب ابره ليلتقطها بيده الأخرى ملتهمها ذلك الشخص الذي يبدو عليه التقشف بشعر محلوق وعينان تائهتان وخائفتان لا يرتدي الا شورت قصير وجسده العاري طفحت منه الحشرات حافي القدمين إحدى عينيه بيضاوية اللون، ليقف أمامه الدكتور (ثروت)، لترتسم ابتسامة العظمة في نفسه وضوء المصباح يتميل يمينا ويسارا ليلتقط بعض الاطعمة من الحقيبة ليلقيها أمام ذلك الشاب كأنه يطعم كلب ضال،لينهم الطعام بدون أن يفتح تغليفه، دون أن يستخدم يده، ليتركه ويدخل غرفة أخرى في ذات الغرفة، وتلك الغرفة الأخرى يوجد بها فتيات شابات تعفن تحت أسقف الغبار،

مرتين جلاليب بيضاء باهتة بنصف أكمام وشعرهن الناعمة تجعدت ومظهرن يثير الاشمنزاز والشفقة، احداهن مستلقاه علي سرير عليه عدة مراتب وحفنة منهم ملتفون حولها يتساءلون ويتهامسون،وشاب أخر يشبه ما قبله ولكنه مختلف الملامح جالس في احدى زوايا الغرفة، ممسك بيده بعض من أوراق الكوتشينة، ويضع ورقة الجوكر علي عينه اليمني مبتسم ابتسامة مخيفة، وشاب أخر يضجع عاليا علي رف معلق،في كل انية وأخر يرتشف رشفة من زجاجة تشبه النبيد ولكنها فارغة وشخص أخر يجلس فوق منضدة وبعض الفتيات اليافعات يلتففن حوله يتحدثون بالإشارة كحديث الصم والبكم بون أي كلمة تقال وأخرون يشبهون بعض ولكن يختلفون في بعض التفصيلات وأجهزة تهوية، وأحدهم يصب عرقا ويرتجف مربت علي كتفيه يرتجف من شدة البرد الذي يشعر به، ليلقي الأخر بعض من الاطعمة أمامهم، أصبح المكان اشبه ببيت رعب بل بيت الرعب نفسه، فالبشاعة أصبحت عنوان المكان، فالجميع يأخذون وضعية النوع والخضوع والخوف والذهول والاستقرار النفسي يرتسم علي وجوههم كأن المكان تحول إلى مستشفى مجانين هادئة، فكل شخص هنا له قصة ولكن طواها الزمان تحت غبار أسقف المبني المهجور،فمتاهة النسيان يلعب علي خيوطها الدكتور(ثروت) بكل حرفية واحتراف،تحركاته بينهم تدل على أن الأمر ليس غريبا عليه، فهم تحولوا من بشر إلى فئران تجارب.

ويجب أن يرعي فئرانه جيدا حتي تتسنى له الفرصة الملائمة لصنع اختراع بأفضل كفاءة، فكما

يفسر علماء النفس والأسلحة البيولوجية والكيمائية لم يعد الإنسان عدوا للبيئة فحسب بل أصبح أخطر عدو لنفسه.فيرتكز علي ركبتيه ليضع ألة حادة تشبه المقص في فم امرأة، ملامح وجهها توحي بالبرود عيناها الزرقاواتان باهتتان

*****

لتلامس الأداة أسنان فكها العلوي ويضئ منظار الكشاف علي عينيها دون أن ترمش رمشة واحدة ليضع سماعته الطبية علي صدرها البارد، ويخرج نوتته ليدون عليها بعض الملاحظات: وبعدها يتحسس ذراعها الأيمن ليحقنها بعقار ما ليلامس بيده وجهها لتغمض عينيها بتثاقل بطئ وتتمدد علي الأرض بأريحية ليقول لها

" اخلدي إلى النوم يا صغيرتي"

ومن ثم يخرج إلى الممر الرئيسي ليغلق الباب خلفه وهاهم حفنة منهم يسيرون علي اصابعهم ليضعوا اذنهم علي الباب ليسمعوا تلك الأصوات أناس يصرخون بصوت عالي والدكتور (ثروت) لا يعير له انتباه سوى انه علق وقال " حمقى"

ليدخل غرفة أخرى أشبه بمختبر الشيوعيين إبان الحرب العالمية الثانية" التي كانوا يؤدون فيها بعض تجاربهم القذرة علي بعض البشر مستخدميهم كفئران تجارب فما أشبه اليوم بالبارحة يخلع القناع ويضعه علي منضدة موضوع عليها عدة ألات لمعمل كيميائي وزجاجات كيميائية" ليجلس علي كرسي مزود ببعض أدوات التحكم ويضع قناع التنفس الاصطناعي ليستنشق نفسا عميقا ويجفف بمنديله جبينه المتعرق: وأمامه شخص جالس علي كرسي غريب مثل كرسي الإعدام الأمريكي مغلقه عيناه وقميصه السماوي عليه شارة مكتوب عليه اسمه كموظف يعمل في شركة ماء وعلي وجهه بعض الأسلاك ملصوقة عليه ورأسه مغلف بألة مثل قبعة مصفف الشعر ليلتقط جهاز التحكم ويضغط على أحد الأزرة: ليصعق الرجل بالكهرباء ليهتز جسده بقشعريرة انتابته فيفيق من نومه وجفنان عيناه متثاقلان وحلقه جاف يظهر عليه التعب والاعياء الشديد فيضغط علي الزر مرة أخرى وأصابع الباردة لا تترنح لتصيب التيارات الكهربائية الرجل مرة أخرى لم يكن علاج التخليج الكهربائى أو الصدمات الكهربائية .electroconvunsibe theraby.ecd

لم يكن كذلك بل تجربه اختراع ما ، فكان ينظر بعد كل صعقه إلى شاشات الطبيه المتوسطه التى أمامه متابعا تلك الخطوط المتعرجة ليدون عليها ملاحظاته المشؤومة المثيرة للجنون ان كان علاجا فلم التخفي واختطاف واستدراج ضحاياه في مكان كهذا ومعاملاتهم بتلك الطريقة الوحشية قال في خاطره كأنه يتحذلق علي مقولة أحدهم قال له في الماضي يهز رأسه ليتابع عمله ليضغط على الزر مرة أخرى ولكن هذه المرة دون توقف، ينظر للأجهزة جبينه متعرق بشدة ينظرإلى ساعته بين الفنية والأخرى والرجل مازال يصعق بالكهرباء وتتغير الخطوط المتمايلة كالأمواج إلى خط مستقيم لتتغير ملامح وجه مجزا علي أسنانه قائلا " هيا..." فيترك الزر ويلقي بالسماعة التي علي أذنه ومدونته ليقول بحماس علو صوته....،احمق...،احمق،

ليضع يده علي جبينه في محاولة خائبة من أمره،فيقاطع شجنه وغرغرة دموع عينيه صوت ضوء أخضر من جهاز أخر فيثب من مجلسه، ليحملق في الشاشة التي تصدر انبعاثات لأمواج كهرومغناطيسية،ليرى تشوهات لأمواج وخطوط،ليقول في بهجة ونرجسية

" نعم...،نعم لقد وصلت إلى بعض خلايا مخه من بين مليارات الخلايا استطعت اقتحامها وبالتحديد ذاكرته هذا ما اردته".

فينظر اليه وعيناه متسعتان ليقول له:

" شكرا ايها الحثالة..،فعندما ادخل إلى الحمام لأفرغ مثانتي اتذكر ذلك الوجع ألمتني واسعدتني"

فيقبل جبينه بحركات جنونية، ويلتفت حوله ليبحث عن شيء على الأرض بهرولة ليلتقط نوتته ليدون عليها ملاحظاته،ليرجع للخلف ليأخذ وضع مجلسه متنهدا لتتصارع أفكاره، ليطرح من بينهم سؤال يحيره:

لم يعد أمامي سوى التجربة على أرض الواقع، ولكن كيف ذلك من الإنسان الطبيعي المغفل الذي سيقبل بهذه التجربة.

اريد ملامسة الواقع دون أن أحدث أي خلل في الخطة يذكر..،فكر يا (ثروت) فكر

فنظر بطرف عينه إلى الجثة الهامة فيخفض جفن عينه اليسرى ومن ثم يشير بسبابة اصبعه اليمني إلى الجثة الجالسة علي الكرسي الكهربائي ثم يقف قائلا:

" ساتخلص من تلك الجثة أولا ومن ثم سأعيد التفكير مليا فالمستقبل الزاهر ينتظرني "

وتبسم ابتسامة مبالغ فيها ليحمل الجثة علي كتفه ويدخل غرفة من احدى الغرف ويلقي بها في حوض بلاستيكي فارغ تسع الجثة جيدا ومن ثم يرتدي قناع واقي وقفازات ليتجه نحو طاولة كبيرة ليأخذ وعاء مغلق فيحس بخفة وزنه ليجده فارغ، فيدنو إلى الأسفل ليفتح باب غير مغلق بقفل فيخرج برميلين ذو سعة متوسطة، مكتوب عليهم تحذير أحدهم هيدروكسيد الصوديوم والآخر حمض الهيدروكلوريك برميلين قادران علي إخفاء انسان من علي وجه البسيطة، ليسكبهم عليه ورائحة الآخرة تتصاعد ويحيطه الكثير من الأحواض البلاستيكية المتبقي فيها بعض البقايا البشرية كالشعر والأسنان وغيرها من البقايا التي صدأت.

هنا في البيت الريفي يطرق (سمير) الباب فيفتح طفل تملآن عيناه المرح فيدنو اليه بابتسامة مصطنعة: ليقول:

" أبيك هنا يا حبيبي...."

فيغدو صوت من الداخل..،" من الذي علي الباب يا (ماهر) فيدير ظهره ويركض نحوها ليرد

عليها:

« لاا اعرف يا ماما (سارة) فهو يريد أبي،»

بينما يسجل (عمار) بعض الحسابات في دفاتره فيسمع الحوار ثم يعتدل في مكانه ويعدل هندامه، ليقول في بهجة ملموسة:

« ادخل عمك (سمير) يا (ماهر) »

فيركض نحو الباب..،تفضل يا عمي..،تلبس الخمار في خفة لتخفي بقايا شعرها فيدخل ويستهل:

« يا ساتر..،» وعيناه مترامتين على الأرض فتستقبله في الصالة وهي تشير اليه بسبابة اصبعها نحو غرفة المعيشة هو في الداخل بانتظارك، فيدخل عليه فيجده مرتبك ليعانقه الأخر بحفاوة ليجلس علي الاريكة كل منهما على حذا متقابلان فينظر (سمير) في عينه ليقول له

- ماذا تحب أن تشرب؟

لاتحضر شيء

لايجب أن تشرب،،احضري عصير ليمون فهو يحبه

و (سارة) تنظر اليه نظرات غريبه، علامات الاستفهام علي وجهها تقول انها تعرفه، فتغفو من تكهناتها علي صوت زوجها

(سارة) هل انت متعبة؟، لترد بذهول

« لا..،انا بخير انا فقط..،هناك صداع خفيف في رأسي.» ليجيبها

« لو كنت متعبه ادخلي واستريحي»، لتومئ برأسها لا وتذهب إلى المطبخ ثم ليعاود بابتسامة شارحة لصديقه فيصطنع الأخر ابتسامة سريعة، ليقترب منه في توجس معطي الأمر أهمية كبيرة، ليلاحظ الأخر الارتباك في وضعية جلوسه وحديثه الهامس:

« قل لي...،ماذا فعلت؟

ليجاريه صديقه ملتفت حوله ليتأكد ان لا أحد يراقبهم فيقترب منه ليقول ساخرا:

« نحن لا نعمل في شباك الموساد الاسرائيلي »، فتتجمد ملامح الاخر ليرد عليه غاضبا:

« لا تقلل من شأني والذي اريد ان أفعله، من فضلك..،وإلا..»، ليقاطعه:

« وإلا ماذا؟؟..،انا امزح معك يا رجل، لا تأخذ الموضوع علي قلبك،المهم لقد وجدت...»..،اخفض

صوتك.

" حسنا..،لقد وجدت طبيبا رائعا واتفقت معه من الأخر هو من أفضل الأطباء النفسيين."

ليضع يده علي كتفه مطمئنه ليقول:

" لا تقلق يا صديقي..،فالله معنا، ليرد (عمار):

" هل انت واثق؟"، شان

" الا واثق كل شيء مرتب وفي سرية تامة "

متى الموعد اذا

اليوم ان شئت

- حسنا هيا بنا دقيقة واحدة سأغير ملابسي

لتدخل (سارة) مقدمة العصير قائلة بخجل..،تفضل..،ليرفع عينيه بابتسامة شكر وهو يأخذ منها العصير لتتقابل عيناهما ببعض، وفجأة تتسع عيناهما مرة واحدة: وهو يحدق في ملامح وجهها وهي تبادله نفس علامات الاستفهام: كأنهم يعرفان بعض،لتأتي أصوات أقدام (عمار) ليغير (سمير) النظرات الصامتة مبتسم ابتسامة مصطنعة متشكرا على العصير لتدير ظهرها له وهي شاردة ليدخل الأخر وهو غير فاهم ما يجري ليسأله:

- هل هناك شيء وعندما! انتهي من رشف رشفة من العصير مبتلعها بصعوبة ليرد عليه بابتسامة كالتي قبلها:

- حسنا..،لحظة سأحضر المحفظة.

ليتنهد بأريحية بعد أن حافظ علي لون وجهه، مساعده في ذلك الاصطناع الذي اتعب هيكل وجه:، فالاصطناع في عصرنا أصبح غذاء رئيسي نتغذي عليه، لكي نهرب من أمور صعبة وبلهاء غالقين أبوابها خلفنا حتي لا نسمع صريرها وهي تفتح بوارب حتي لا تنفجر عقولنا علي كل كبيرة وصغيرة.

يرتاد إلى غرفته ليفتح الكومود ليلتقط محفظته لتدخل (سارة) خلفه تسأله إلى أين ينوي الذهاب ليجيبها وهو يبتسم والانكار يفضح وجه:

" بارك لي...،فأنا عقدت صفقة علف من نوع ٠٢٠ بفوائد قليلة فالسمك جانع ومل من أكل السبلة بقايا براز الطيور وانا ذاهب لإمضاء العقد".

لتتغير ملامح وجهها من فضول إلى شك وقلق غير ظاهر لتقول في خاطرها:

« مستحيل...،هذا الشخص لا يبدو عليه وكيل أو سمسار أو صانع صفقات انا متأكدة انني رأيته قبل ذلك ولكن أين ليقاطع شرودها صوت زوجها الذي ردد الجملة أكثر من مرة:

« هل تريدين يا عزيزتي شيء من الخارج".

« لا..،اريد سلامتك".

فتسير خلفه لتغلق الباب والشك يتغلغل في قلبها لتطرح أسئلة ليس لها جواب

« ما علاقة هذا الرجل بزوجي وماذا يريد منه..،استر علي يا رب فأنا خائفة ان يكون ذلك الشيء الذي في بالي وينفضح أمري...".

لتنزل قطرة دمع من عينيها وتمسحها برفق لتشتم رائحة طعام لتقول مرة واحدة الأرز وتهرول إلى المطبخ لتقول مضجرة:

« لقد شاط الأرز..،يا لنحسي الذي لا يفارقني ".

انا الأن في حالة شرود رهيب،لا انسى ولا اتذكر لا اعرف ان اوصف حالتي، كل شيء باهت أمامي العالم سوداوي لا اعرف ولا أفقه شيئا كأني عشت قرونا داخل كهف وحيدة وخرجت مكبلة بالأصفاد الحديدية لأري عالم لا اعرف فيه اسماءه المجردة، وخلاف ذلك ما تلك المرأة الكبيرة التي تضئ بمصابيحها وما تلك الكائنات الغريبة التي تحلق فوقي،لا لا..،لا تكن غبيا ولكن ذهني يعود اليه بعض العبارات مخيلتي بدأت تتذكر انني كنت اعيش علي هذه الأرض البائدة، هذه الأرض التي يكره الجميع فيهم بعضهم،ولكني لا اعرف ان كان اليوم ليلا أم نهارا ولكني اري الأشياء بوضوح،ولكن هناك أشياء فقدت ملامحها دعك من كل هذا الان لما هؤلاء البشر ملامحهم جامدة، ولماذا يرغموني علي صعود تلك الشاحنة الزرقاء المغلقة جوانبها كأنهم يعبئون فيها فئران ويخشون هروبها الأن أنا جالس في درجة حرارة لا بأس بها هنا علي تلك المقاعد الحديدية يجلس معي أناس لا اعرفهم، الجميع صامت واضعين اياديهم علي خدهم وكأن الحياة اثقلتهم هموم لا حصر لها والتعاسة تأكل وجوههم،

فلولا تعثرات الطريق وتزعزع ذلك الصندوق الأسود،لتحول الجميع إلى أصنام خاوية علي مقاعدها وفجأة تتوقف.

لتسود الوجوه خارجين في طابور عرض كيهود أشفنتور متجهين إلى محرقة هتلر ولكن علي ما اتذكر انتهي عصر النازية منذ أكثر من نصف قرن ولكن ما كل هذا الحشود من البشر وما تلك الألات التي تنبعث منها كل تلك الأضواء، التي تؤذي عيني المتجمدة الشارد المتسعة التي لا ترمش: سحقا.....،لماذا يدخلوني في قفص لوحدي بمعزل عن الجميع

ولماذا كل هذا الحضور هل جاءوا ليشاهدوا عرضي اللعين علي خشبة المسرح كأبطال السينما يااااه..،السينما التي كنت ارتادها مع جدي في الصغر الحمد الله ذاكرتي لم تخني ولكن لحظة:، أين مخرج الفيلم ولماذا لم يعطيني السيناريو لأقوم بالدور أمام هذا الجمهور،ولكن مهلا في وسط هذا الجمهور أناس يلوحون بيدهم لي وكأنهم يعرفوني جيدا سيدتان واحدة شابة جميلة والآخرى شابها الكبر تبكي بحرقة ورجل معهم: وينادونني باسم (المالكي)..،هل حقا اسمي (المالكي)، ولماذا هم تعساء؟..،هل سأصلب كالمسيح؟...،أم ستقطع ارجلي من خلاف كسحرة فرعون، دعك منهم، يوجد في الناحية الأخرى يدخل رجل صوته جهوري لينطق بأعلي صوته..،محكمة..،لقد اربك خلايا جسدي العصبية وبالأحرى يدخل ثلاث رجال متجمدين الملامح، ليجلسا علي المنصة، صمت الجميع فجأة لدرجة لم تعد هناك تمتمات وتهامس وضجيج في القاعة أيعقل ان يؤثر شخص علي هؤلاء الجموع،انا أشعر بالقلق،: نبضات قلبي غير منتظمة، أشعر بتراقص أمعائي ويداي ترتجفان وقدماي غير قادرتان علي حملي،يا إلهي..،انا عرفهم جيدا هؤلاء الثلاثة الذي يظهر عليهم الشيب والوقار، لا يعرفون الرحمة وبالذات ذلك الجالس منتصفهم يسمي....،||||أأه....،لقد تذكرت القاضي،نعم هو بعينه دائما ما كنت أراه مع جدي في صالات السينماء كان يظهر بحاجبه الاشعر ويطرق بمطرقته كثيرا ودائما ما كان يحكم بتأجيل القضية او الحكم بالإعدام..،اه..،اه.،ماذا إعدام يا للمصيبة لا لا تمزحون معي ارجوكم: فهذا الشيء لن يحكم علي بشيء فأنا غير قادر علي إيذاء بعوضة:، وفي اثناء ذلك الهراء انا افتقد إلى معاني وأشياء كثيرة والسؤال المهم الذي لم أسأله بنفسي...،من انا؟...،وما الذي أفعله هنا..،ولماذا كل هذا الحشود المتعطش.

سأخمن كل تلك الوقائع حسي يقول لي انا صاحب منصب رفيع وارتكبت جريمة كفضح أسرار الدولة مثلا ياربااااهلا أتذكر شيئا لماذا شفت القاضي تتحرك وانا لا اسمع صوتا ام ان اذني عليها عازل.

ولكن انا متأكد ان شفتاه تتحرك وفي وسط هذا الحشد يقف رجلا مرتديا زيا اسود وشفتاه تتحرك أيضا ويشير إلي بسبابة اصبعه، يبدو أنه متعاطف معي وفي الجهة الأخرى رجلا ذا شارة حمراء وشفتاه تتحرك بغلظة ويشير إلي كأنني قتلت أمه، ومن جهة ينظر إلى القاضي ومن شفتاه تطالبني بالتحدث معه لأدافع عن نفسي ولكني لا أعرف ماذا أقول أو بالأحرى ما الذي أفعله هنا ما تهمتي إذا.....،يبدو انني أسأله ولكني متأكد ان الصوت لم يصله اتحدث معه ولكن بدون أن تخرج كلمة واحدة كأني في فضاء منعزل عن الأخرين آأأه ضجيج في رأسي واختناق مميت في صدري وظاهري يثبت العكس، لا اعرف لماذا يصوب القاضي التهم الموضوع أمامه نحوي والصمت يقتل كل اوردة جسدي المتصلة ببعضها لا اعرف ما الذي أريده اريد الصراخ بكل ما أمتلك من قوة، اريد الصراخ فحسب،ولكن لا استطيع، في اثناء ذلك يمضي الرجل ذا الزي الأسود ليتهامس مع القاضي لحظة لقد عادت إلي مسامعي فجأة وفمي مفتوح كالأحمق وعيناي مازالت متسعة وشاردة ٠

يا للهول.....،انها لحظة النطق بالحكم ليقول القاضي:

" يعرض المتهم علي الأطباء النفسيين، وتؤجل القضية إلى يوم.....،رفعت الجلسة تبغ الحشيش المحترق المتصاعد في الهواء باللون الرمادي الأبيض،ينفث من الدكتور (ثروت) انفاسا الحشيش الملفوف كعادته في يوم عطلة العيادة،وجفنان عيناه متثاقلان وعيناه المغماة باللون الأحمر المصفر الداكن،ويصب كأسا من نبيذ المستورد،ويرتشف رشفة من الكأس الكاوي الذي يحرق امعاء صدره،وعيناه الأمية التي لم تنزل من علي مؤخرة الخادمة المنطوية في تنظيف المكتب،برداء العباءة ذات الفلكور الفلاحي الملتصقة على جسدها القادمة من إحدى القرى لتكسب قوت يومها في تنظيف العيادة كل يوم عطلة، يهز رأسه كحركة استفاقة ويهرش بيده علي جانب رقبته، ليغمض عينيه ويفتحها شاعرا بالملل، فنادى عليها

" (نادية)....." فتلتفت نحوه بسرعة كجواري سرايا السلطان لترد عليه والفقر يشبعها ذلا

" نعم نظفته..."؛ فيؤم لها برأسه الغير متزنة فيمسك كأسه ليرشف منه رشفة سريعة؛ ثم يبعده عن فمه قرابة السنتيمترات، ويعيد النظر إليها بشهوة خبيثة، ثم يلقي نظرة علي الكأس الذي بيده ليدعه ليفلت من يده عن قصد ليصطدم بالأرض لينكسر كمحاولة لاستدراجها نحوه، وعندما سمعت صوت انكسار الزجاج تغيرت ملامح وجهها الخمرية وتتسع عيناها الملونتان لتهرول نحوه بسرعة لتقول له:

هل حدث لك مكروه يا دكتور فيرد عليها كنوع من الاستضعاف الماكر:

يداي ارتجفت مرة واحدة ولم تقدر على حمل الكأس ليمسك بمعصم يده اليمني، لمحاولة إيقاف الرجفة المصطنعة: لترد عليه بتعاطف بالغ

*****

هل احضر لك شيئا من الأدوية يا دكتور؟ ليرد عليها وهو متقمص دور التمثيل العائد إلى طبيعته:

" لا...،لقد أصبحت بخير نظفي فقط هذا الزجاج المكسور".

فتنكب علي الزجاج لتلملمه مديرة له ظهرها فينظر إلى مؤخرتها بشهوة مفرطة، وينفث نفسا من سيجارته الملغمة،

فيسيل لعابه من علي جانب فمه، ليطفأ سيجارته الباقي نصفها بغلظ ويعتدل بمقعده نحوها ليصبح حصار الذئب المفترس المكشر عن انيابه المسال لعابه علي الحمل الضانع الصغير الذي يفيح من بين ثناياه رائحة اللحم المقدد الشهي،ليهم بوضع يديه علي مؤخرتها ليضغط عليها بقوة، فتلتفت نحوه بسرعة كالذي يسرق منه شيء ثمين، فهي لا تمتلك في الحياة الا شرفها فالفقراء ان سلبت منهم حياتهم فلا تسلب منهم كرامتهم فهذا هو قانونهم فى الحياه عكس الأثرياء الفاحشين فلا يوجد عندهم مبادئ المقام الأول هو المال مثل الشهرة فتجد بعض

المشاهير يشعرون أنفسهم بأي وضعية مثيرة للسخرية والانتقاد الدائم ان كانت مخلة بالدين والعادات وثقافة المجتمع وليس العموم فلكل قاعدة استثناءات، فالمستثنى مثل بضره الخير التى تنجلى كنخله ضاحكه خرجت من بين ثنايا اشواك الصبار تتسع عينيها فى ذهول صدمة فينهض من مجلسه ليقترب منها وعيناه تتلون بلون الشر فينقض عليها ليربت بيده خلف ظهرها ليضمها اليه ويأكلها بفمه من رقبتها لتقاومه وتفلت نفسها منه تبعده عنها لتقول وصوتها يرتجف

" دكتور...،يبدو عليك انك سكرت"ليرد عليها ساخرا:

" زجاجة من النبيذ أوشكت علي الانتهاء، أيعقل ان تكون الزجاجة هي التي سكرت".

فيمد بذراعيه نحوها مشيرا إليها بأن تأتي اليه ليقول وهو يترنح والشهوة تسري في عروقه:

" تعالي هنا...،أيتها الفتاة فأنت مثل الشيكولاه التي تذوب في الفم ".

لتضع يدها علي صدرها وهي متوجسة:، لتتوسل اليه:

" ارجوك يا دكتور لا تقترب مني فأنا فتاة مسكينة لا أمتلك إلا شرفي".

ليرد عليها بسخرية ممزوجة بابتسامة شريرة:

" وهل أبدو لك ذلك الشخص اللعين: الذي لا يملك أي شرف أو مَبدأ ان كنت كذلك فتعالي لنقسم الدنيا نصفين:

وتقاسميني شرفك،لنصبح متعادلين حتي استطيع امتلاك ذلك المبدأ الغريب ".

فيتدلي نحوها ببطء، وهي ترتعد بخطوات مماثلة للخلف،وهم يلتفون حول المكتب،،ثم يسرع خطواته فجأة: لتتعثر لينقض عليها محاصرها في ركن الغرفة كحصار افعي لفأر صغير يخفق قلبه رعبا والدموع تقف في عينيها وتنهيداتها المسرعة وصوت خفقان صدرها الذي يعلو ويهبط وأنفاسها المتسارعة، ومن ثم تهدد بإخراج أخر اسلحتها:

ان لمستني، فسأصرخ وسأفضحك أمام الناس".

فتتحول ملامح وجه إلى غضب مكشرا عن أنيابه ليجز على أسنانه ليشير بإصبعه نحو وجه ليقول بنرجسية ستفضحينني انا..،انا الدكتور (ثروت) علي آخر الزمن تفد تفضحني فلاحة سخيفة جاهلة حمقاء ستفضحيني انا ليكشف بقوة الخمار من علي شعرها مثل تيار اليمين المتطرف المعادي للمرأة المسلمة في الغرب ويمسك شعرها بغلظة ليدفعها بقوة بعرض الحائط ليلتصق خدها ومن ثم ليقول في أذنها بصوت همس مسموع:

" لا بأس فأنت لا تعرفيني قولي لي أيتها الغبية البائسة، العمل خادمة في التنظيف سيوفر لك

مستقبلا باهر ويوفر قوت ومصاريف علاج والديك الغير قادرين عن العمل وأخوتك الأطفال البؤساء ولا سيما أخيك الأكبر العاطل عن العمل، الجالس في القهوة ليلا ونهارا الذي يلعب بأوراق حظه البخسة التي تساعده في توفير مشروبات حقيرة وبضعة من السجائر الملفوفة زهيدة الثمن وذلك الأحمق التافه الذي يليه سرق ذهب أمه وسافر إلى ليبيا مع بروج الحرب الطاحنة التي هناك هل تأملون بعودته وتصدقون خرافاث زائفة لقد مات....وكلما قال كلام انسابت دموعها:.،قولي لي ما ذنب جمالك القاتم تحت وطأة الخراب المتوقع بالفقر القاتل لجوامحك، وشهادتك في مجال التكنولوجيا التي فشلت الدولة في استغلاله، ومن ثم تقولين خرافة حمقاء الشرف وما شابه والجوع يقتل أسرتك المسكينة...،فيشمها ويستنشقها كالنحلة التي تسرق الرحيل من بين ثنايا ازهر الورود الجميلة...،هيا يا صغيرتي لم يعد هناك متسع للتفكير ارفعي عباءتك وأرني أين تخبئن ايقونتك القمرية المرصعة بلؤلؤ الألماس المخفية في قاعه العميق ".

فتسيل دموعها وتجهش بالبكاء لتتنهد وهي تقول:

" الشرف غالي يا دكتور ارجوك اتركني وشأني ودعني اذهب لحال سبيلي"

ليؤمأ برأسه في خيبة من أمره ليرد عليها بهدوء متزن:

" لك ما تشائين..،ولكن انتظري".

ليتركها مفك الحصار عنها ليذهب ليجلس علي مقعد مكتبه، وتمضي هي الأخرى نحو الباب مؤمنة خروجها ململمة ملابسها المهلهلة، ليقول لها في حزم وجدية:

" قلت انتظري أيتها الفتاة...".

لتتوقف وتستدير نحوه بدون كلمة:، ليفتح درج مكتبه، مخرجا حفنة من المال الأخضر الأمريكي ويبدأ برص المال علي سطح المكتب من فنة المنة دولار ليلتقط بيده زجاجة النبيذ مرتشف رشفة مسرعة، ليرفع رأسه نحوها بميلان علي كتفه الأيسر ليقول بنفس نبرة مروجين الأفلام الإباحية وعرض أموال لتجذبهم لبيع أنفسهم مقابل المال " هل ستخرجين دون أن تأخذي ذلك المال لتساعدي والدتك علي عمل العملية..،لتتسع عينيها العاجزة..،لا تتفاجئ فأنا اعلم أي شيء يسير خارج تلك الغرفة الصغيرة حتي وإن لم يكن يخصني،ام ان شرفك له قرار أخر ام ستقفي مترنحة غير قادرة علي مساعدة والدتك المسكينة التي تموت أمامك: ألم يحذرك الطبيب بأن تقوم هذه العملية في أقرب وقت قبل أن يفتك بها المرض الخبيث، ألم تتسألي ان المال لا يوجد في جعبة شرفك اللعين،دعك من هذا الهراء..،ولكن اجيبيني ماذا سيكون رد فعلك عندما ترين أمك العزيزة تموت أمامك وكانت لديك الفرصة لمساعدتها ام انك ستكونين تلك الفتاة الشريرة التي توجد في تلك القرية الفقيرة البائسة المليئة بالخرافات والجهل والمرض وخيبة الأمل،صدقيني حتي ربك الذي تعبدينه لن يساعدك في شيء سؤال أخير وأريد الاختيار سأنبش قبر شرفك مقابل مساعدتك ام ستحفرين قبر أمك لتسقط رأسها

بين يديها باكية بحرقة علي الظروف القاتلة التي وضعتها بين اختيارين أصعب من بعض ليرد عليها باصطناع ومكر ودهاء

" هل تبكين يا عزيزتي؟ ".

لينهض من مجلسه ليقترب ويمسك بيده ذراعها من الخلف ليتسند ذقنه علي كتفها فيتيقن حينها من ردة فعلها المرونة بعدم المقاومة انه حاصر ظبيه المذعور الواقع في الفخ المشروك بإحكام، ليرد عليها وهو يصطنع ارضائها

" لا لايا صغيرتي....،لا تبكين،أريدك قوية، لا تجعلي بعض من مواقف الحياة تهزمك وتيأسك بهذه الطريقة".

فحك بأنفه وخده وجهها ورقبتها فتأكد من قبول عرضه الشيطاني فتهامس في أذنيها قائلا مضاجعة وحيدة وستنقذ أسرتك من الضياع.

ليمسح دموعها برفق، وعينيه تشعان شرارة ليسايرها ببطء حتي وصل أمام منتصف المكتب،فهم بتقبيلها بشراهة من جانب رقبتها ليدفعها من ظهرها ليجعلها تركع، ليلامس صدرها سطح المكتب وعيناها تنظران إلى المال الموضوع أمامها بخزي وعار بينما الأخر يفك حزام بنطاله والعرق ينسال من رأسه الصلعاء ليبصق في يده مستعدا لشن الحرب علي الأبرياء، فهذا تطبيقا لمبدأ الدولار مقابل الجنس..،الجنس مقابل الحياة

*****

ابصق في مؤخرتها***** اصفعها بقوه ا لأسمع صوت العضمه

قبله من مهبلها الشرشقى ***** أقلبها على ظهرها لأرتشف

وسط عانتها المكسوة ***** بزهر الياسمين

كانت وردة مزهرة فقطفتها ******* لم تكن عاهرة

فذبلت فأحرقتها شهوتي كسجائر النيكوتين

حقا انا لعيين ***حقا انا لعين

« وصايا الشيطان التائب»

« الكانش»

كان لابد من القضاء علي بذرة الخير بأي وسيلة من وسائل الشر الشيطانية، وها هو الأن يرتخي بعد فعلته، لوث الجميع

كما هو ملوث، كقصة المرأة الطاهرة من بين عاهرات القرية، دخل الجنود إحدى القرى التي كانوا رجالها غائبون بسبب

الحرب فراحوا ليضاجعوا نسائها بالقوة والغصب ولكن النساء استأنسوا بسبب غيبة رجالهم الطويلة ولم يقترفوا عناء

المقاومة إلا امرأة واحدة بينهم قطعت رأس الجندي الذي كان ينوي مضاجعتها فذهبت إلى نساء القرية واخبرتهم انها ليست عاهرة مثلهن وتباهت بذلك فاشعلت نار الحقد بين قلوبهن.،فماذا ستفعل نساء القرية لكى تداري فضيحتهن أَمَام رجالهم الذين سيعودون من الحرب ففكروا فكرة خبيثة وقطعوا رأسها نستنتج ان الملوث يلوث جميع من حوله حتي لا يشعر بالنقص فالشيطان لم يكن شيطانا إلا إذا شيطن جميع من حوله.

يجلس وحيدا في عيادته ورسمة العظمة كل اوردة جسده، ومن ثم يبدأ في إبدا ضحكات غير متصلة ببعضها ليقهقه عاليا داخل دخان الغرفة المكتومة، ليتحرك من مكانه في حركة غير منتظمة كالسكارى وربطة العنق المزعزعة من مكانها ليمد ذراعه ملتقطا زجاجة النبيذ المعتقة ليقترب قرب الحائط المعلق عليه العديد من الشهادات، ليقف أمام صورة والده محدثا إياه بنبرة العظمة والكبرياء *

" لم يعد إلا القليل يا أبي....،الذي غاب انتظاره...،ليصرخ بصوت عالي....،لم يعد إلا القليل هل تسمعني؟

*****

الداخل مفقود والخارج مولود

سأغير مصير العالم من الأسوأ إلى الألعن في ذروة هذا الكون منذ نشأته إلى نهايته، سأغمس ابتكاري في عقولهم كالسرطان المميت، سأجعل الانتقام سيدهم، والقتل هو الحاكم بينهم سأقضي علي ظاهرة نفاق الشفق الأحمر ووتر الليل الأسود سأكشف غطاء السماء البلوري، ليكون كل شيء علي حقيقته حتي اجعلهم لا يطيقون أرواح أنفسهم.

وسأجعل رجال الساسة الحمقي يجنون أنهار النعيم علي دماء جلدات الحمير وأنير غطاء بصائرهم لأقلب الطاولة بما حملت لأكشف عوراتهم وأهوي بملكهم الملوث إلى سراب ماء في صحراء قاحلة وسيحترق العالم ويجن جنون لا مثيل له في صيف تلموز وفي ربيع الزهور المغلقة وفي شتاء بائس وسأقضي علي بذرة الخير وسأحصد الشر سيد هذا العالم القبيح لأركل مؤخرة الكرة البيضاوية في دوامة سوداوية في رحلة لانهائية من الشقاء فهنا في (قاعة اللاموتي) اقنن قوانين الظلام الشاغر لأمسك بفراشتي الناعمة لأختم نهايتكم باللون الرمادي الأسود.

" وصايا الشيطان التائب»

« الكانش»

هنا في مستشفي الأمراض النفسية ب (العباسية) يدخل المالكي من بوابة المستشفى محاوطه عاملان مرتديان الزي الأبيض من كلا الجانبين جسده هامد وفاتر وحدقة عيناه متسعتان وفاه مفتوح بضعة سنتمترات شاردة ملامحه لا يلتفت لأخيه والمحامي كأنه لا يعرفهما ليسيرا خلفه وأخيه متعجب من منظر أخيه البائس وبعض المرضي في الحديقة يغلب عليهم بعض علامات المرض المخيف منتبهون إلى زائرهم الجديد والسرية والاستهزاء والحركات الغريبة مضفية ذلك اللون من يدخل لا يخرج وعلامات التعجب والذهول بدت علي وجه اخو (المالكي)، وأحد المرضي الجالسين علي كرسي وفي يده جريدة يقرأها ليخفضها ببطء، لتصل حذافير الجريدة حد جفون عينه، ليقول بصوت مسموع

" مرحب بالزائر الجديد...،أمل أن يعرف أخبار العالم الخارجي: فتلك الجريدة الحمقاء لا تحمل في طياتها إلا بعض التراهات: فقطتي لا تظهر بين حوادث الاختفاء، أمل أن يعرف أين اختفت قطتي"

ليرفعها مرة أخري مكتملا القراءة، ومن تلك الزاوية الأخرى في إحدى غرف المستشفى المطلة علي الحديقة، مكتب مدير المستشفى يقف شابا اربعيني ابيض البشرة ذو شعر أشقر وعيون زرقاء مرتدي بزة سوداء منمقة يبدو عليه الثراء من سيجاره الكوبي الفاخر مرتسما علي وجهه تكشيرة صفراء غير مبشرة بالتفاؤل وواقف خلفه الدكتور (عوض) الاقرع الشائب شعره من الأطراف،مرتديا نظارة الطبية المقعرة الكلاسيكية المتصلة بسلسلة متدلية خلف أسفل رقبته ذو الحاجب الاشعر الكثيف بغزارة وعينيه الصغيرتان كحبة العدس تتابع خطوات (المالكي)

خطوة بخطوة محتفظا بابتسامته الصفراء ليحدثه الشخص الأجنبي بلكنة أمريكية مثل ضباط الجيش الأمريكي في غزو العراق أقتل ذلك الحقير حتي لا تنكشف الخطة فأنا عندما أراه علي قيد الحياة أشعر بالاحتراق داخل قلبي أطلق الأحدب ضحكة مكتومة محشرجة ليرجع للخلف رافعا يده اليمني محرك اصبع سبابته بإشارة " لا" ليرتاد مقعدمكتبه ويحدثه بالإنجليزية لغته لا يا(ماك) لفد ظننت بي ظن سيء للغاية فأنا الدكتور (عوض) لست بمجرم أو قاتل مرضي..،فقاطعه الأخر بدون أن يلتفت إليه وهو ينفث سيجاره

" إذا من تكون..،بائع عطر"

والاشمئزاز علي وجهه ليبتسم الأخر قائلا:

أتسخر مني لا يهم فأنت ضيفي ولكنك تسرعت في السخرية مني انا ابتاع المرضى إلى المعامل السرية خارجا وداخلا ليجرب الأطباء عليهم عقاقيرهم السوداء منها أخدم أعزائي وأخدم العلم وأريح المريض من الحياة فالحياة صعبة جدا يا (ماك)

فيلتفت نحوه الأجنبي واضع يده اليسرى في جيبه والسيجارة في يده الأخرى والاشمئزاز علي وجه كالارستقراطيين ليقول غاضبا مجزا على أسنانه

" ماذا ستفعل الأن بحق الجحيم؟ ".

فينهض من مجلسه مطمئنا ليضع يده علي كتفه:

لا تقلق..،فأنا ماهر في تلك اللعبة سأجعله يؤدي دوره المعتوه في مسرحية البؤساء سأجعله يموت بالبطيء سنودعهةبمنديلنا الأبيض ونحن واقفين علي أحد الموانئ القديمة وقاربه المحترق يتجه بعيدا إلى ما وراء البحار دقق النظر في كل كلمة يقولها فتعجب منه ليرد عليه وهو يتوق لمعرفة ما الذي سيفعله كيف؟ ليجيبه علي سؤاله مخفيا الإجابة إلى قبر عمك وتقرأ عليه سورة الفاتحة...،فصفع نفسه بكف يده علي جبينه ليقول..،لقد نسيت انك كريستيان أتلو عليه بعض الصلوات وأزرف دمعة من عينيك وأرجو أن تكون صادقة وضع زهورا علي قبره وقل له أرقد بسلام يا عمي لترتسم ابتسامة هدوء واطمئنان علي وجه الأجنبي ليؤم برأسه بالموافقة علي كلامه.

ومن ثم يتحرك (المالكي) بحركات سير غريبة تشبه المشي المتحجر بينما يدخل الطبيب مكتبه وخلفه المحامي وأخو المالكي يجفف المحامي عرقه بمنديله ليهم بسؤال الطبيب بينما الأخر مترقب إجابته عليه

" أخبرني يا دكتور..،ما هي التطورات الصحية في حالة أ (المالكي) الآن؟".

ليرد الطبيب بعد النظر في الأوراق التي أمامه ليتنهد قائلا:

" حتي أكون واضحا معك حالته لا تطمئن إطلاقا..".

ليضع النظارة من علي عينيه بعدما لملم الأوراق التي أمامه، ليبدأ في سؤالهم بجدية تامة:

" هل كان المريض يتعاطي بعد دخوله السجن أم قبله ".

لينظران إلى بعض في توتر وارتباك من لهجة السؤال ، ليهم المحامي بالإجابة قاطع حيرة الأخر بجوابه وهو يجفف عرقه

" لا..،هو كان يتعاطي المخدرات منذ فترة ليست ببعيدة".

لينظر الطبيب بلمح بصره إلى الشخص المرتبك ليطرح سؤالا أخر:

" ماذا كان يتعاطي؟....".

المحامي: " ارجو التوضيح سيدي..،فأنا لا أفهم".

الطبيب: " سؤالي واضح ما نوع المخدرات التي كان يتعاطاها".

المحامي: " علي ما اعتقد الحشيش ليبتسم.،فأنت كما تعرف المساجين لا يحبون ان يعدوا أصابعهم علي ايديهم".

ليدقق الطبيب في عينه قائلا:

" امممممممم...،ولكن التقارير التي أمامي تقول عكس ذلك،فالتقارير الموثقة من المحكمة ومن مصلحة السجون تقول ان المريض كان يتعاطي حبوبا مخدره تحرض علي الهلوسة وأمور أخرى،".

ليعتدل المحامي في مجلسه كأن شيء أضاق مضجعه مجففا عرقه ليرد عليه:

" ما الذي تنوي ان تقوله أو توضحه علي العموم،".

الطبيب:" أعني ان هذا ليس بالأمر الشاذ فبعض المتهمين في قضايا شائكة يتعاطون تلك التي تسمي العقاقير المهلوسة التي تساعد بالتعجيل من الهروب من قبضة العدالة.".

فيتنحنح المحامي في وضعية جلسته ليرد عليه مستشيطا من تكهنات الطبيب التي بدأت انها تصيب

" هل هذا اتهام؟ ".

ليرد الطبيب بثبات انفعالي:

« أنا فقط اقول ان الحالة التي أمامي أسرفت في تناول العقارات المهلوسة مما غير وضعية حالته من إنسان طبيعي إلى إنسان مريض بالفصام المختلق لتدخل أخو (المالكي) في الحديث بصوته الذي تحشرج وشفتاه المرتجفتان تقول « وما هذا الفصام يا دكتور ماذا سيفعل هذا المرض يعني فيجيبه الطبيب بعد أن تنهد « (catatonic schizophrenia) في الحقيقة...،هذا الفصام يسمي بالفصام الجامودي بمعني ان الأشخاص الذين يصابون بهذا المرض يعانون أعراض غريبة مثل تنفيذ حركات غريبة في الوجه أو الميل أو البقاء في أماكنهم دون أي محاولة في الحركة وقد يضطرون إلى إيذاء أنفسهم وأضف إلى هذا ان العقارات المهلوسة التي كان يتعاطها مثل مواد داخلة مثل الكيتامين (katamine) له خواص محرضة إلى فقدان الذاكرة المؤقت(amnesia) وعقار ((phencyclidine)

(Pcp)كان هذا العقار يستخدم في الطب البيطري كمهدئ للحيوانات الشرسة ويسبب أثار مثل بارانويا وتصلب في العضلات وقلق وتوتر وغثيان وغيبوبة أو لا قدر الله ميول انتحارية وخلافا عن عقار (lsd)الذي يحرض إلى الهلوسة ونحن الآن في صدد إخراج السموم من جسده وعند سماعه تلك المعزوفة أيقن ان هناك شيئا بغيضا ينتظر أخاه علي المحك لتبدأ ملامحه تأخذ اللون الوردي وفمه مفتوح وعيناه متسعتان إلى حد الذهول ليغير وضعية نظراته من الطبيب إلى المحامي مبتلع ريقه ليحس بغصة في قلبه ليقول« اااااه..،».

لينهض المحامي من مجلسه والقلق علي وجهه ليحدثه:

(ابراهيم)..،ماذا بك؟، هل انت بخير؟".

فيرد وعينيه غاضبتان:

« لقد أحسست بغصة في قلبي أشعر بأن أخي ينتظره مستقبل أسود.».

ليرد عليه المحامي والآخر يراقب بعين ثابتة:

« هل تريد بعض الماء؟،»: ليصرخ في وجهه قائلا:

لا اريد شيء..،فسر لي ما الذي يقوله ذلك المعتوه،».

لينظر المحامي بابتسامة حرج إلى الطبيب معتذرا اليه ويهدأ من روع الأخر:

« اهدأ يا سيدي..،سيحل كل شيء بإذن الله ».

ليمسك في ثوب بزة المحامي والخوف على وجهه:

« وما هو هذا الحل..،أترى كل شيء خرج عن السياق».

ليهدأه المحامي وتلك الابتسامات الصفراء الموجه إلى الطبيب ليقوم الطبيب قائلا بحزم:

« انا أقدر ظروفكم وظروف المريض وعلي كل حال سيتلقي المريض علاجه علي أكمل وجه ورعاية جيدة وسأبلغكم عن حالته أول بأولويتركهما متجهما مما سمعه من أخو (المالكي) المتوتر ويمضي خارج المكتب لينظر (ابراهيم) إلى المحامي في خيبة وواضع رأسه بين يديه ليقول في خيبة أمل لقد كنت تعرف من البداية ان الوضع سيتفاقم فوق طاقته وان الأمور لن تسير كما خطط لها،

انا أقدر شعورك ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة لخروج أخاك من السجن، ولكن لا تقلق سننتظر قليلا حتي يفيق أخوك من تلك السموم وبعدها سنفعل ما خطط له وقت الغروب يسير (عمار) بسيارته وسط مزارع الأسماك الجو هادئ ومياه الأحواض تضفي لونا هادئا بلمعان ضي الشمس الأحمر ليستقل بسيارته أمام البيت في مزرعته السمكية والحزن يخيم علي وجهه ومن ثم ينزل لينادي علي عم عقاب ليفتح الباب لتنبعث منه أدخنة الطعام ليست قبلة استقبال حار كعادته

أهلا يا سيدي..،كيف حالك تفضل يا بني فأنت جئت في وقت من ذهب حماتك تحبك فأنا اصطدت طائرين (واك) تعال لنأكل فالطعام جاهز

ليرد عليه رافض أي شيء فنفسيته غير قادرة علي استقبال شيء

« لا لا اريد ان أكل اريد كوب ماء حتي اتناول الدواء».

ليهم مسرعا محضرا كوب الماء، ليتناوب الآخر مبتلع حبتين ليتسائل عم (عقاب):

« لماذا أتيت في وقت متأخر كهذا يبني هل ستبيت هنا،» ليؤمأ الاخر بنعم ليرد عليه:

« ولكن كيف أن تترك زوجتك العروس يبني».

لتتصوب ملامحه ويصوب عينه الملقاة على الأرض نحوه:

« وهل عندك مانع في أن أبيت في مزرعتي.».

لترتسم ملامح الحزن علي وجه الأخر ليأخذ كوب المياه وعيناه ملقتان علي الأرض ليشعر (عمار) بأنه قسي عليه ليذهب خلفه ليضع يده علي كتفه ليطبطب عليه مصالحه:

أنا أسف يا عم (عقاب)،لأني ضايقتك وتحدثت معك بطريقة غير لائقة فأنا متعب قليلا

لترجع البسمة اليه كالأطفال: ليرد عليه بطيبة أجدادنا

لا يا ولدي فأنت مثل أبنائي ليدعه ليقول

« سوف أتجول حول الأرض.

أأتي معك شكرا يا عم عقاب فانا أريد التجوال وحدي ليسير بخطي غير واثقة ليضع يده في جيب بنطاله ليسير بين ثكنات الأشجار ويلقي نظرة علي تلك الشجرة ويلقي نظرة إلى السماء وعلي يساره ينظر إلى الأحواض السمكية ومن ثم ارهقه التعب،فعيناه الحمرواتان لم تذق طعم النوم منذ مدة فاستلقي على الأرض ليتسند بردغيه علي جسر يفصل بين حوضين ٠ وينظر هائما في السماء المرصعة بالنجوم ليقول في خاطره والهواء يعاكس شعره

" ما العمل يا الله؟: لقد طال الغياب وبعدت المسافات وتحطمت الصخور وذهب الصيف وعاد الشتاء: وأحزانا في بركة قاعها كقاع المحيط ولم تأتي زوجتي إلي حتى الآن، قل لي.،هل نسيتني؟، هل تذكرني من الأساس؟،هل تشعر بوجعي؟؟، من بين كل تلك النجوم ومن كل هؤلاء البشر أم أنني في قاع النسيان لماذا تفعل كل هذا بي يا ربي لماذا تؤذيني؟ وانا لم أؤذ حشرة قط في حياتي لماذا عودت قلوبنا علي أناس أعزاء بل أرواح منشطرة من روح واحد ومن ثم تأخذهم منا فجأة.،لماذا؟ كنت أؤمن ان الحياة لا تقف علي أحد ولكنها وقفت علي أحد معين محبب لقلبي وقفت بشكل فظيع ودروب الحياة وقفت ولم يعد لي الشغف في مجاراتها ولا البحث في مشتقاتها لم يعد لي إلا الماضي الذي أعيش علي رائحته وأثار ذكرياته فلم يعد الحاضر حاضري ولا المستقبل مستقبلي لم يعد لي شيء غير مرآة صلبة ووجهي التعيس بداخلها والموت لم يعد صديقي فهو يأبي بأن يصطدم بنا ولو صدفة

ومن ثم تسقط دمعة من عينيه ليخرج صرخة طغي عليها التعب ليبكي بكاء شديدا كالأطفال الذين سلبوا منهم الكبار أغلي ما يملكونه من ألعابهم ليعودوا إلى النوم متشائمين ليرخي بظهره إلى الخلف وسط الأعشاب الخضراء ليستلقي على الأرض ونحيبه متقطع ليقول بصوت شجن ويأس

" أرجوك يا الله الطف بي ولا تنساني فمن غيرك أعلم بي".

ليمسح دموعه بيده لتساقط الأمطار حتي يعرف دموعه جيدا فلا شيء أسوأ من أن تتساقط دموع الإنسان مع قطرات المطر حتي يشك ان كان هو حزينا ام ان كانت الدنيا ليقول في خاطره لن أنساك يا عزيزتي مهما طال بي الزمن سأنتظرك إلى أبد الدهر ولن تغفل عيناي لحظة عنك سأنتظرك أتعرفين

سأغني لك قصيدة قبل النوم فأنا أعرف أنك تحبين ذلك يا صغيرتي وتلي القصيدة بشرود يغني جملة وينتظر ثواني وعلي هذا المنوال قرأ القصيدة المهداة لصاحبتها فكانت بعنوانها:

بكوب الشراب المرصع بالا ذا ورد

** انتظرها **

علي بركة الماء حول المساء وزهر الكولونيا

** انتظرها **

بصبر الحصان المعدي بمنحدرات الجبال

** انتظرها **

بذوق الأمير الرفيع البديع

** انتظرها **

بسبع وسائد محشوة في السحاب الخفيف

** انتظرها **

بنار البخور النسائي ملء المكان

** انتظرها **

برائحة العندل الذكري حول ظهور الخيل

** انتظرها **

ولا تتعجل فإن أقبلت قبل موعدها

** فانتظرها **

وإن أقبلت قبل موعدها

** فانتظرها **

ولا تجفل الطير فوق جدائلها

** فانتظرها **

لتجلس مرتاحا كالحديقة في أدج زينتها

** فانتظرها **

لكي تتنفس هذا الهواء الغريب علي قلبها

** فانتظرها **

لترفع عن ساقها ثوبها غيمة..غيمة

** فانتظرها **

وخذها إلى شرفة لترى قمرا في الحديث

وانتظرها..

وقدم الماء قبل النبيذ ولا تتطلع إلى تؤامي حجلا هائمين علي صدرها

** وانتظرها

ومس علي مهل يدها عندما تضع الكأس فوق الرخام كأنك تحمل عنها الندى

وانتظرهاا

تحدث إليها كما يتحدث إلى ناي إلى وتر خائن في الكمان كأنكما تشاهدان علي ما بعد غد

و انتظرها **

ولمح لها يدها خاتما..خاتما وانتظرها إلى أن يقول لك الليل لم يبقي غيركما في الوجود وخذها برفقا إلى موتك المشتهي

*وانتظرها *

" محمود درويش"

رغم أنه من فئة الصيادين التي لا تخلو حياتهم من تعب ومشقة الحياة إلا أن طباعه واكتساب ثقافة هادئة أصبح كائن مختلف عنهم يحب ولا يئسي من أحب علي عكس عادات بيئته ومن ثم غط في النوم بعد أن هدأت الأمطار لتصبح قطرات الماء ندى يتصبب علي وجهه نام حزينا لم يؤمن بذلك النصيب الذي يفرق بين حبيبين لم يؤمن بأن الحياة ككعكة كبيرة محشوة بدمع الملح وان الله قسمها علينا بالتساوي كل منا قطعته فلا يهم ان كانت كبيرة ام صغيرة فأي شيء يوجد في الدنيا فهو لا شيء فهي علي جناح بعوضة تناقض في إيمائه ولكنه يعرف ربه ولكن الماضي يعود بدروبه ذلك الشبح الذي لن يترك مرأتنا وحيدة في ظلام الليل

*****

في بيت أنيق يغلب عليه الطابع الأوروبي والتحف والمنحوتات الفرنسية القديمة تتواجد في كل أركان البيت ولوحات فنية ذات عمق إنساني فريد تتصدع بعض جدران البيت والمفروشات الثمينة وفي تلك الغرفة الكبيرة الخالية ذات البلاط الأسود اللامع يجلس الدكتور (ثروت) علي

كرسي يعزف البيانو منسجما في معزوفة ل (بيت هوفن) (القدر يقرع علي الباب)

يعزف بطلاقة والهدوء يسري في عروقه مغمض عينيه يتحسسها بروحه كأنه نائم علي سطح نهر جاري وسط غابة والوحش علي الحافة والنهار يحمله بدون تصادم دموي يعكر رائحة النهر الذي يطفو بين السحاب وكأس النبيذ الهيني موضوع أمامه علي أخر رشفة وأصابعه تتحرك علي المفاتيح بمهارة والألوان الباهتة تعطي راحة نفسية ممزوجا بخوف فريد ومن ثم يقطع ذلك الهدوء الباهت صوت طرقات علي الباب لتتوقف الأوتار متوقفة يداه كأن التيارالكهربائي انقطع عنها ليفتح عينه اليمني بهدوء كأنه يراقب حركة يراقب حركة الغبار المنبعثة من ثقب في الجدار يبدو أن هذه المعزوفة ملهمة قال بعد أن فتح عينه الأخرى ليتجه نحو الباب وهو مرتدي زي الروب الأسود ليفتح الباب ليدخل (سمير) وهو في حالة مزاجية متعكرة دون أن ينطق بكلمة لينظر الاخر أمام مدخل البيت ليتأكد ان لا أحد يوجد هناء ليجلس (سمير) أمام بار ملئ بكل أنواع الخمور ليخرج من جيبه علبة سجائره لينفث دخانها في ضيق صدر والتوتر يجعله يحرك رقبته يمينا ويسارا ليجلس أمامه الدكتور ليقول له في ابتسامة مصطنعة

« أهلا بصائد المرضى»

« أسكت يا أخي الواحد لم يكن يعرف ان يشعل سيجارة أو يشعل النيران في نفسه» رد عليه

ليضحك (ثروت) ساخرا ليقول

انت بتقرأ لتشيخوف كثيرا لا عليك يا رجل خذ هذا الكأس وستجد كل شيء جميل في هذه اللحظة فالحياة وليدة لحظتها يا صديقي...،ويصب كاأسا له...،لا تجعلها تتراكم عليك..،ويصب كأسا له..،فالماضي مثل العاهرة التي تتذمر لأنها لم تأخذ أجرتها انسى يا صديقي

ليرد عليه وهو يسرق في الشراب

وكيف أنسى الحياة أصبحت أصعب مما أتخيل كل قرش أدخره يضيع سدى كالذي يسرق طعام ويخزنه في مكان ما فيأتي فأر أحمق يسرقه قطعة..،قطعة ويفر هاربا إلى جحره لتتجعد ملامح جبين الدكتور ليسأله ما الذي حدث؟

ليرتشف رشفة من كأسه وبدأ يزأم ومشاعره متأججة وأشتكي كأنه يشتكي لصديق عمره وليس رب عمله لم يحدث شيئا إطلاقا غير أن زوجتي تأخذ الكثير من حقن الكلكسيكان لتثبيت الحمل لأن الجنين في حالة حرجة والمال بدأ في النفاذ ليضع يده علي خده مندب حظه بينما الدكتور ينصت إليه وفاه مفتوح وهو في حالة تأرجح فكري ليتنهد ومن ثم يقول

لا بأس يا عزيزي...،فالخطة علي وشك الانتهاء وسنجني بعدها ملايين الدولارات وستحل كل مشاكل حياتك ليرد عليه وهو مضجر

ومتي ستنهي هذا الاختراع من أجل أن تنقذنا من عثرات الواقع الرخم ليرد عليه بثقة وهو ممسك بكأسه مخفي نصف وجهه النهاية مختومة وسترسم ابتسامتها البهية على يدك فإن أنجزت المهمة الأخيرة فستمطر السماء علينا أطنان من الذهب وستفتح عين من الأرض لتخرج ثروات قارون وأنهار فرعون

فيتزعزع من مكانه وهو مبتلع ريقه ليرد عليه وهو مندهش

ماذا تقول؟ كيف وأنا أجلب لك المرضى بشكل متكرر حتى بدأت أصابع الاتهام تتبع رائحتي هل كل هؤلاء المرضي لم يفوا بالغرض

أنا أفهم قصدك جيدا ولكن المؤلف غير من موضع القصة يعني الخطة تغيرت فالخطة في السابق كنت تصطاد الفئران وأنا أضعهم في القفص لكي أجرب عليهم تجاربي المذهلة أما الان فأنا اريد فئران حرة أجرب عليهم تجاربي طواعية غير مكروهين وبعدها أدس السم في عروقهم لتنتصر استنتاجاتي المسبقة ليتحول المفعول إلى نجاح مطلق..،صوت ضحكة انجليزية أرستقراطية قال له

ليفتح الأخر فاه ويهز رأسه بعدم الفهم ليرتشف رشفة من الكأس ليرد عليه ببلاهة

لم أفهم شيء

فيشير اليه بإصبع سبابته متنهدا كالمعلم الذي يأس من تلميذه الأحمق ليقول وعينه متسعة

سأشرح الأمر بطريقة مبسطة انت كنت في البداية تجلب لي رأس المهرجين لإعلان بداية الحرب وشنها بكل قوة كانت خطة مماثلة كالتي ذكرت لكتاب (فن الحرب) ل (سن تزو) عندما يمرن القائد جنوده فتكون حركة الجنود غير منتظمة بسبب وجود مهرجين بين الصفوف فيأمر القائد بقطع إحدى رؤوس الجنود المهرجين فينتشر الرعب بينهم ويمتثلوا لأوامره بكل دقة ليكونوا في حالة انضباط ممنهجة ومن ثم يطلقون لخوض الحرب مع أعدائهم بكل شراسة وهنا ستنتهي المرحلة الأولى لأننا لو أكملنا فيها فستقع المشكلات وستنكشف الخطة كما تنكشف الغمامة ليبزغ نور الشمس

ليقاطع (سمير) وهو يبتلع رشفة كأسه بصعوبة والخوف علي وجهه ليقول:

* «لماذا؟؟؟؟.....

شر هزيمة وفشلوا في جلب النصر سيضطر أحد الجنود لعقد هدنة مع أعدائه لأنهم لو اخضعوا للاستسلام وانهزم وهنا سيتحول فاصل النهاية إلى نقطتان النقطة الأولى سيتحول الجندي إلى عدو مرئي لجيشه ووطنه هذا لو كان إنسان عاديا بدون فكر اما الثانية فستكون الأصعب والأشد وطأة علينا وهو ان يكون جاسوسا في الداخل وحينها سيعادل جيشا كاملا هذا لو انتبهت الشرطة وفتشت خلفنا وأرسلت لنا مجنونا من علي طريقك بدون أن تدري

وتنطلي عليك الخدعة فحينها سننتهي جميعا وتنتهي خطتنا المجيدة،هل تعرف أن التاريخ يعيد نفسه حتي في بعض تفاصيل حياتنا الصغيرة ففي الحرب العالمية الثانية عندما أيقن الديك الفرنسي ان كلب البلدوج الانجليزي فشل في مساعدته بل وعجز كل العجز انحني لأعدائه النازيين.....،ليربت علي كتفيه بكل قوة وهو يحملق في عينيه....،لا تخف يا صديقي فأنا خلفك في كل شيء لا تنحني أبدا اما بالنسبة لأعبائك المالية فأنا سأتحملها كما تحملتني

ليهرش (سمير) رأسه غير مصدق ما يقوله مستغرب من لهجة حديثه ليقول وهو يهز رأسه ماذا تريد أن تقول يا (ثروت)؟...،ما الوتر الذي تريد أن تلعب عليه؟..،ما المرحلة التالية التي تهيأ لها كل هذه الخطط حتي شككتني في نفسي فيتنهد الدكتور وهو يحرك أحد قطع الشطرنج ليقول اسمع يا صديقي، انا لا أحب المقدمات ولكن الأمر أكبر مما تتخيل،فيجب ان أدلي الستار حتي أزيح الغمام من علي عينك (سمير) انظر لي جيدا..،هل تعرف الوهم؟ دعك من الوهم الذي درسته في الدراسة انظر انا شخص معقد وأريد أن ألعب علي خطوط الوهم مثل ما فعل القادة الانجليز الاستعماريين مع العرب ليستولوا علي أملاك وجميع اراضي الدولة العثمانية فأوهموا جندهم الوهمي للعرب (الشريف حسين) بأنه سيكون خليفة المسلمين وان يمتلك شبه الجزيرة العربية بأكملها وبعد أن ساعدهم في تخطيطهم الشيطاني ووقع العرب في شر غباء أفكارهم ضاع كل شيء وأخذ الجندي الوهمي في مؤخرته...،ليقترب من عين (سمير) عينا بعينا..،اريد ذلك الجندي الابله لأوهمه بأنه البطل الذي سيحرر جميع البلاد من الظلم الذي وقع عليها وانه سيجلب الخير لبلاده ومن ثم أودعه جريحا قتيلا في ساحة المعركة بعد أن يودع لي النصر فالنصر دائما يكتب للملوك وليس الجنود ليقهقه ضاحكا بتفاخره، بينما يلتقط بجندي من علي رقعة الشطرنج ، ليتابع حديثه باحتقار والاخر يحملق فيه وهو مذبهل هل تري ذلك الجندي الحقير؟،هذا الجندي يجعل الملك عرضة للخطر بعد أن كشف الرقعات فإذا تحرك خطوة للأمام فسيضطر الوزير بالتضحية وقتل الفيل فينقض عليه الحصان ومن ثم يتقدم الجندي فيتراجع الملك ليحتمي بأسوار القلعة ليضحي الفيل بأنيابه هادما أسوار القلعة بعد أن انتحر فيها ليتقدم الجندي ويقفز الحصان فيتراجع الملك ليدس الجندي الخنجر في صدر الملك كش ملك

اممممممم..،لقد فهمت اللعبة اقناع المريض أو الحالة المناسبة لأقوم بوهمها بأنها مريضة والخلاص في يدك و توهمهم انت الأخر انك تعالجه لتجرب ابتكارك،و بعدها تنجح الخطة أليس كذلك أومأ الآخربرأسة و لكنما هي معايير الشخص الذي تريده قال (سمير)

ليضع يده علي فمه لتتغير ملامحه ليشير اليه بإصبعين ليقول وهو غير واثق

في الحقيقة ليس شخصا واحدايبتلع ريقهبل شخصين أعزاء علي بعض وتربطهم علاقةحتي ينطبق عليهم قانون المراسلات ليقاطعه (سمير) متجهما ليقف قائلا بنبرة غاضبة قانون ماذا..،هل جننت؟..،ما الذي تقوله؟....،هل جننت؟..،هذا الكلام في الأحلام يا حبيبي انا ما زلت حتي الآن لا أصدق ما تقوله أجاريك في الحديث حتي زدت الطين بلة نعم لقد نسيت انت من الأسياد الذي لا يعرف شيئا عن أبناء الشوارع، يا أخي أنا أجلب لك المرضى بصعوبة شديدة

حتى بدأت اشتم أنباء ان الشرطة بدأت بشم أخبار عن حوادث خطف حقا لا أصدق ما تقوله

فوقف الدكتور (ثروت) ليهدأ من روعه بابتسامات صفراء قائلا

ذلك صديقي اهدأ من فضلك اسمعني حتي النهاية وان لم تعجبك صفقتي فرفضها يا أخي فأنت (سمير) نسيت انت تقدم لي المساعدة فقط اجلس اجلس يا اخي

فيجلس (سمير) ووجه مكشر،ليصب له الدكتور كأسا ويتابع حديثه

ماذا كنا نقول؟..،امممممممم..،تذكرت، بعد دس العقار في عروقهم سيحدث ما يسمي تواصل لاوعي عن طريق إشارات من عقلهم الباطني مهما كانت المسافة بينهما، بمعني اذا جربنا المفعول علي شخصان لهما صلة ببعض وبالتأكيد لهما ماضي مع بعض سيلعب هذا العقار علي العقل الباطني وهو ما يسمي باللاوعي وهم نائمون سيتداخلون في أحلام بعض وبالتالي سيرجعون إلى الماضي نعم الماضي وتسمي هذه العملية ب flash backs و سيظل يرجعون وسيمر تاريخ حياتهم أمام أعينهم وفي ظل التداخل سيكتشفون أمور غريبة وأسرار دفينة عن بعضهم، وبعدها سيستيقظون من أحلامهم ليعودوا إلى ادراجهم من اللاوعي إلى الوعي إلى الواقع الواعي لكل شيء سينصدمون في البداية، ولكن قبل أن أدخل في الشرح،هذا هو الأهم سيعرف هذا العقار بألة الزمن الرجوع إلى الماضيback to the past وبما أن النظريات العلمية والمنطقية تنفي تماما ان من رابع المستحيلات الرجوع إلى الماضي، ان تعرف ان بعض النظريات أكدت السفر إلى المستقبل ولكن لا يوجد الرجوع إلى الماضي الا في أفلام هوليوود وبهذا يا صديقي كسرت الحدود وقتلت المستحيل وارجاع الإنسان إلى الماضي ولكن ليس عن طريق ألة زمن بل عن طريق العقول وسيكون هذا طفرة في تاريخ العلم كله فعن طريق العقول سأصنع الوهم والتخيلات واجعل من البشر بأن يقرؤا ما في عقول غيرهم قراءة الفكر ومعرفة الذي مضي وما جري من أحداث خفية كلها أشياء استعصت عن العقل البشري والعلم فحينها سيعرفون ما اخفي ومن سرق ومن قتل وحينها ستتوالي الأرباح بملايين الدولارات ليرتشف رشفة من كأسه والبهجة في عيئيه والأخر يحدق في كل كلمة يقولها ليبتلع رشفته بزخم ليسأل مستفسرا ولكن السؤال الذي يطرح نفسه وغير مفهوم في ذاك الوقت افترضنا ان الشخص رأي ما في عقول الآخرين من أحداث كما تقول،كيف سيعرف ان هذه حقيقة، كيف سيدرك ذلك؟.،ولما لا يظن ان هذا من وحي خياله وانت تعرف تمام المعرفة ان أغلب الأشخاص عندما يفيقون من حلمهم اللاوعي لا يتذكرون ما حدث ولو تذكروا كيف سيعرفون انها حقيقة وان هذه الأحداث وقعت في الماضي ولم يكشفها أحد قالها (سمير) وملامح وجهه المستفسرة بدأت باقتناع بان تحب الموضوع وتتعمق فيه.

فرد الدكتور وعروق وجهه تحولت إلى خيوط صيد أوقعت الفريسة في شباكها:

قلت سؤال..،ولكنها أسئلة في محل وضعها، بعد ما رأي الشخص ما رأي، سيشعر بالتوجس والارتباك والخوف و هزوز الثقة في نفسه،وأخطر شعور يشعر به الإنسان هو الخوف من أشياء مجهولة كخوفه من الأساطير الذي نسجها من وحي خياله وصدقها وبذلك لن يستسلم

سيفعل أي شيء حتي يزيل قلقه وخوفه سيضطر لحياكة خيوط توصله بمعرفة الحقيقة في البداية سيظن انها هلاووس رأها في حلمه ولكنه لن ينظر اليها بهذا المنطق سيجد ان ذلك ما هو إلا فك رموز قديمة ومجهولة عفا عليها الزمن فتأتي فكرة في باله فكرة تراود كل بشري وهو معرفة الحقيقة التي تؤرقه سيجعل من نفسه متحريا يتقصي الحقائق وعلى مدى ما قدمه من موجز ما حدث سيكشف الوقائع التي ستجيب علي أسئلته فتأتيه الحقيقة من بين ألاف الوجوه المتعددة التي مرت عليه سيرى العلثمة والقلق والتوتر في أعينهم مما يزيده إصرارا علي المتابعة ليصل بعدها إلى النتيجة النهائية ألا وهي معرفة الحقيقة فالحقيقة هي الغموض،ستكون الضربة مؤلمة لأنه عرف مالم يكن يعرفه وفي موجز النهاية نكون قد انتهينا بتمام المهمة بنجاح ضحكة طفيفة سيقف العالم كله في طوابير ليشتروا عقاري سيكون بالنسبة لهم خبزهم الضائع مع العلم سيكون ذلك العقار طفرة كبيرة في عالم العدالة من الظالم ومن المظلوم ولكن لا يهمني بمن سيستخدمه من الجهات أظن ما رأيك في بعد نهاية تراجيديتي تلك،ما رأيك في؟

ضحيت بالقليل لأساعد الكثير

" برافوو يا دك.،برافو" قال (سمير) في سعادة معبرة.

ليرد عليه الدكتور (ثروت) في استياء مبالغ ولكني لست سعيد

(سمير) لماذا!

الدكتور (ثروت):

" لأن من بين معايير تجربة العقار ان يكون إحدى الشخصيتين مصابا بالفصامschizophrenia وفجأة جدران أصمت وضجيج العالم الخارجي قد توقف واتسعت عيناه يشكل غريب والدكتور يتحدث ويشرح نظريته وReturn عندما سمع تلك الكلمة رجع بذاكرته إلى الوراء بل سلسال ذاكرته الكروي لف عكس المدار ليتذكر أحداث في الماضي فالشخص عند سماعه لكلمة معينة يستذكر أشياء لا إرادي..،إلخ

(سمير)(flashbacks١)

ينفث الدخان الرمادي الأبيض في الهواء والشؤم يتصارع على وجه مستندا علي شرفة المشفى ليأتي صوت من خلفه.

" منذ متى وانت تدخن يا صديقي." قال (عمار).

ومن ثم ليستدير ليجد شخصا ذو ملامح مألوفة له ليرد عليه بغرابة

" من أنت يا سيد؟" فيجيبه ببشاشة

" لم تتذكرني..،(سمير) العضلات...."، لينتفض فرحا قائلا

" الملخ بالحضن يا صديقي(عمار)

ليعانقا بعض عناقا حار ليقول (سمير) والبهجة في عينيه الحزينة:

" أنا لم أرك منذ أن تخرجنا من الجامعة يا لوقاحة هذا الزمن اللعين يأخذ منا.....،إلخ

" ما الأمر ياصديقي، ما الذي حدث لصديقتنا (أميرة)" قال (سمير) في حيرة من أمره ليرد (عمار) والحزن ممتلئ قلبه

" الأمريا صديقي..،أن القدر حال بيننا في ظروف غامضة لا يعلمها إلا الله فزوجتي مرضت بسبب عقار مهلوس وبعد أن شخصها الأطباء قالوا انها مصابة بمرض فصامي وأمراض ذهنية وبعدها زج بها في مستشفي أمراض نفسية و عقلية

ليجيبه (سمير) علي الفور

مستشفي الأمراض التي في القاهرة ربنا يصبرك علي ما ابتلاك

" يارب..،نعم هي هل لك علاقات هناك " قال عمار.

(سمير)

" نعم أنا أعمل لدى أطباء نفسيين هناك ولكن لماذا

فتشبث (عمار) بيديه والرجاء في عينيه ليقول

هل لك ان تسدي لي معروفا وتعيد لي زوجتي وانا أرعاها بنفسي فأنا أشعر بها فهي تخاف من الوحدة تمالك يا رجل..،فالحالة لو وصلت هناك بإذن من المحكمة فلن ترجع الا بعد أن

تتعافي قال (سمير) ليتحرك الاخري يده في محاولة فاشلة ليبتسم (سمير) ابتسامة بلهاء ليغير من لهجة حديثه البائس إلى بصيص من الأمل ليقول

لا تقلق يا صديقي...فأنا لي بعض الموظفين الذين يتمنون خدمتي.....إلخ

تهامس معه بصوت منخفض فأعطى للأخر نظرة أهمية للموضوع ليقول

" هل لي بخدمة صغيرة يا صديقي فأنا أعرف أني سأتعبك معي" قال (عمار)

" تفضل يا رجل فنحن أخوة قبل أن نكون أصدقاء فيقترب منه بصوت منخفض

بما إننا أخوة سأتمنك على سر مهما حدث لا تفصح به انا متعب ليس بالتعب العادي متعب نفسيا وأريدك ان تأخذني إلى أحد الأطباء النفسيين المهارين الذين تعرفهم ليومأ برأسه بالموافقة

flashback2 (سمير)

نحن هنا في عيادة طبية تأخذ جدرانها اللون الأبيض الباهت ففي غرفة الاستقبال يجلس المرضى منتظرين ادوارهم ما بين الجالس المتزعزع والمتوتر وعينات كثيرة وكل الوجوه توحي بأنهم منتظرين يوم الحساب ومن ثم يدخل (عمار)

وهو يتشبث بيد (سمير) كالطفل الذي سيدخل عيادة الأسنان الذي سيقتلع الطبيب أسنانه كلها والآخر يطمئنه بالأقاويل المعهودة " لا تخف..لا تقلق..اطمئن انا بجانبك".

لتنطق موظفة الاستقبال اسمه فجأة لترتعش اوصاله بدأت ملامحه بالشحوب ونهض وهو يتحامل علي صديقه كالذاهب إلى منصة الإعدام فثقافة الطب النفسي والأمراض النفسية في عالمنا الشرقي تؤخذ بريبة عندما يوضع أحد منا ويمزح وسذاجة مع الآخرين وان من يختاره قدره عرضة للمرض النفسي يتملكه الخوف وهو والذي يحيطون به ليس من المرض بل من أحاديث الناس و(عمار) من بيئة صيادين ومزارعين فتكون الصورة بالنسبة بالمفزعة ليست قبله ما الطبيب بابتسامة شرحة الصدر وبعد التشخيص ليتنهد الطبيب قائلا

انت تعلم أن البدايات صعبة ولكن النهاية دائما تكون لا بأس بها

ليرد (سمير) بتقطب

أ /(عمار) انت مصاب باكتئاب حاد علي إثر فقدك لشخص عزيز لك مثل زوجتك شخص طواه الماضي في طياته وانت غير قادر علي نسيانه وبدء حياتك من جديد مما سبب لك نوع طفيف من فصام المطاردة أو فصام بارنويدي ولكن لا تقلق هذا النوع من المرض يكون الأشخاص غارقين في الأوهام ويشعرون Paranoid schizophreia بأنهم مطاردون من قبل أشخاص ولكن طريقة تفكيرهم ومشاعرهم وكلامهم عادية جدا قال الطبيب عيناه شاخصتان في الأرض وبؤبؤ عينه بازغ بقوة مازال سارح في خياله ليقطع خياله شخص يهزه بقوة

" (سمير)..،(سمير) " ليستفيق من خياله ليعود إلى أرض الواقع ليقول في بلاهة كالمستيقظ من نومه ماذا ماذا؟....،ليجد أمامه الدكتور (ثروت) ثم يتنهد تنهيدة قوية ليحقن أعضاء جسده ببعض الأكسجين ليقلع زفير الذكريات من صدره ليهز رأسه ليفيق ليضع يده علي جيبه ومن ثم ليسأله الدكتور (ثروت)

انت معي ام دماغك ذهبت بعيدا، اه..،انا اعرف انك تهت في نظريتي ودهشة ابتكاري أقدر عقلك ولكن الشرح الطائل جعلك تتوهم بعض الأشياء المخفية لا تخف يا صديقي فأنا لن أجربه عليك صوت ضحكاته

ليقول (سمير) وبدأ عليه السكر لا..،لا لم تكن نظريتك...،فيصب لكأسه بعض النبيذ ومن ثم يرتشف رشفة طويلة الأمد لتحرق مرارة جوفه..،بل كان صديقي وزوجته المصابون بمرض

الفصام.،صوت زغطة

لتثير تلك الجملة انتباه الدكتور (ثروت) ليعدل وضعية جلسته لينزل ساق عن ساق ليتحرك كأسه ويضع يده علي فمه وأذناه صاغيتان ليلوح الاخر بيده عشوائي

"انسي..،انسي لا تشغل بالك كأني لم أقل شيء

فينتفض نحوه بسرعة كانتفاضة سيارة سباق فنوعية هؤلاء البشر يقتنصون الفرصة ولو علي محض كلمة قيلت عن طريق المصادفة فيربت على كتفيه متشبث به ليترجاه في حديثه قائلا

أنسي ماذا.،لم يعد هناك متسع من الوقت للنسيان الكواكب تسير والحياة لا تنتظر أحد تكلم ارجوك أظهر ما في جعبتك ليرد عليه ورأسه تتأرجح ارجوك..،لا تضغط على

ليترك ذراعه بسرعة ليلتقط زجاجة من النبيذ ليصب له كأسا أخر والثاني غير قادر علي شرب المزيد ليسقيه الدكتور رغما عن أنفه ليزيل مفعول عقله ويحوله إلى إنسان غير مدرك بما يحدث حوله وعاد الكرة ليمتنع (سمير) عن الشرب والثمالة عليه ليتحدث كلمة ثم يتوقف ثم يتحدث والدكتور منصت وعيناه تمتلآن شرا صديقي من الطفولة أخبرني ان زوجته....،صوت زغطة...،مريضة بالفصام وتتلقي العلاج في أحد المستشفيات النفسية...،صوت زغطة...،واخبرني أيضا انه مريض وبعد فحوصات الطبيب اثبت انه أيضا عنده الفصام.،صوت زغطة..،فقل لي يا ذاك الشيء الاخر هل تريد مني أن ابيع صديق عمري من أجل اختراعك التافه

ليرد عليه وهو كاتم غيظه ومجزا علي أسنانه قائلا بشيء من السخرية

يا لهذا الضمير الوقح الذي ينغص قلوبنا في أوقات عصية، نعم ستبيعه يا صديقي

ليقاطعه (سمير) ولقد وصل أكبر مرحلة في الثمالة ليقول

أبيعه لك انت..،صوت زغطة

ليأخذ الكأس من يده ويصب اليه أخر ليجيبه في ابتسامة صفراء

لا ليس من اجلي بل من اجلك انت الا تحلم يا صديقي بالاستلقاء علي شواطئ احدى الجزر وتلتف حولك نساء ذوات الشعر الأشقر دعك من هذا طفلك الوحيد من سيرعاه ومن سيعالجه ومن ومن وهو يحتاج الكثير من النقود وهو مازال في بطن أمه قل لي هل تحلم بذلك أم

ليرد عليه:" نعم..،أحلم..،صوت زغطة.،ولكن كيف دلني علي الطريق

ها هو الطريق أمامك لا يحتاج منك سوي أقتناص الفرصة ووضع لمستك الحنونة وبعدها ستنال كل شيء اشرب يا صديقي فلن نأخذ منها شيء قال الدكتور و اذ بالأخر يرتشف رشفة

من كأسه ليقول

ولكن انت قلت لي أن الجندي دائما حقير والتضحية به أمر مباح..،صوت زغطة..،وصديقي ليس حقير انه انسان طيب

فيرد عليه وهو يلتف خلفه كالثعبان البرتقالي مدلكا كتفيه

عزيزي (سمير)..،قوانين اللعبة تتغير دائما فعندما يظهر الجندي براعته في الحرب،لا يجدر ابدا التضحية به لأنه سيلقي إعجاب الكثيرين وبالتالي سترتفع رتبته ليترقي ويصبح ذو شأن كبير وعندك مثال علي هذا (محمد علي باشا)

عندما كان جندي عاديا في الفرق الالبانية وبعدما برع في الحرب ولي والي علي مصر الحبيبة" الا تقرأ التاريخ يا صديقي وهذا ما سنفعل بصديقك الطيب صدقني يا صديقي اقسم لك بشرفي

ليحدق (سمير) في عينه غير مصدق أنه اقتنع بتلك الفكرة

يستقل (عمار) بسيارته أمام احدى القهاوي الشعبية في القاهرة ليسير بين الأشخاص الجالسين يبحث عن أحدهم وفي ركن القهوة شخص يجلس يقرأ الجريدة وهو يرتشف رشفة من فنجان القهوة ليلمح (عمار) وهو شارد بين جموع الناس لينادي عليه ليشعر الثاني صوت قادم من خلفه لتتغير ملامح وجهه الحزينة إلى فرحة لرؤية صديقه ،فيتعانقا بحراره،

كيف حالك يا صديقي؟ قال له.

" لا يهم أنا بل أنت كيف حالك؟ وكيف حال العلاج معك؟ قال (سمير)

والله يا (سمير) يا أخي لا أكذب عليك الأفكار السوداء تنتابني بين عشية وضحاها،قال (عمار) ببؤس يملأ قلبه.

لتتغير أوضاع جسد الأخر ليطوي الصحيفة ويلقيها علي الطاولة بشكل من الضيق وحاجبه مقتطب،ليضغط علي شفتاه ويؤمأ برأسه بخذلان شديد ليريح ظهره بامتداد ليتكلم وهو يلوح بيديه والثاني يتابع التغيرات التي طرأت عليه بتعجب احساسي من البداية كان يقول لي ذلك،والله كنت أعرف والله،بيني وبينك يا صاحبي انا لم أستريح لذلك الطبيب لترتسم ابتسامة استفهام علي وجه (عمار)

" ولماذا جعلتني أتعالج عنده من البداية"

كانت غلطة ولن تتكرر ولكن لا بأس نحن فيها يا صديقي فما زال الموضوع بأيدينا..،ليقترب منه ليحدثه بصوت منخفض...،أنا أعرف لك طبيب عشرة علي عشرة قادم من بلاد أوروبا

وأمريكا متشرب أصول الطب النفسي علي بكرة أبيه ومعه شهادات دولية ويعالج مرضاه بأحدث الطرق الحديثة من الأخر خواجة.،خواجة.

ليرد عليه (عمار) بدون تيبس ونية صافية

الذي تراه صحيح افعله ولكن دعك من هذا فأنا جئت إليك لأمر أخر ما من أخبار عن زوجتي؟.،هل وصيت عليها؟

لتتغير فجأة ملامح وجهه إلى اللون الأصفر الباهت لتتسع عينه من صدمة سؤال ليس في محله في وقت عصيب كهذا فهو قرر ان يضحي بجنده الحقير ولم يعد يعرف متى سيرتقي برتبته الزائفة صارت جوامحه فقرر ان يشبعها بلذة الانتصار علي حساب صديقه فكيف له ان يتذكر معروف تمناه منه صديقه ولكنه ليس مثل الدكتور يريد أن يضحي بكل شيء من أجل شيء،هو يريد أن يضحي بجزء صغير حتي لا ينتابه عذاب الضميرأراد أن يجرحه جرحا صغير ويتركه يضمدها فيما بعد،فلو رأى شاه لن يذبحها وقطعها كلها بل سيقطع جزءا صغيرا ليسد جوعه ويتركها ويرحل ولكن في النهاية ستموت الشاه علي إثر جراحها ليتنهد ويخرج زفير الكذب الممر بطعم خيانة العهد وهو يبتلع ريقه اه..،نعم هي بخير أوصيت عليها من قبل بعض أصدقائي الأطباء وقالوا على مدى الأيام ستتحسن حالتها بشكل كبير خلال الأعوام القادمة لا تقلق يا صاحبي فكل شيء بحوزتنا ليتنهد قائلا

الحمد الله يارب.،ما أروع ان يكون لك صديق تستئمنه علي حياتك ولا يشعرك بالخذلان

فتنهد هو الأخر ليقول في خاطره

ليتني كنت هذا الصديق.،سامحني فالحياة صعبة

هنا في مكتب الدكتور (عوض) في المستشفى يدق الباب..،تفضل..،يدخل الدكتور (ثروت) مرتديا بزة كحلية من الطراز الرفيع بنظارة سوداء ليصافح الدكتور بحرارة وابتسامات صفراء متبادلة

كيف حالك يا دكتور (عوض)؟

كيف حالك يا بني؟

" انا بخير"

الدكتور (عوض)

" ما هذه الأناقة كلها.،صوت ضحكة محشرجة خافتة.،لا تقل لي أنك جئت لتدعوني إلى حفل زفافك".

الدكتور (ثروت)

" لا زواج ماذا! ابصق من فمك يا دكتور انا رجل اهتم بالوقت ولا أريد أن أضيعه في زواج وتفاهات".

الدكتور (عوض)

" لابد أن منطق الخواجات غيرك تماما".

الدكتور (ثروت)

" ليس تماما هم أناس متقدمون ولكنهم حمقي علي حد سواء فهم يهتمون بالشكليات فقط لا أكثر المهم انني أريدك في موضوع مهم ".

الدكتور (عوض)

" بل أنا الذي أريدك في موضوع أهم ولكن قبل كل شيء ماذا تود أن تشرب؟".

الدكتور (ثروت)

" قهوة سادة.،يا سيدي.".

الدكتور (عوض)

اووووه...،ذوقك رفيع جدا يا بني فأنت تشبه الخالق الناطق أباك كان يتمتع بحس رفيع رحمه الله عليه كان عالما جليا كان أكبر خطأ اقترفه في حياته انه كان متمسكا بمبادئ أودعته في خانة اليك المبادئ والأخلاق بندان ان تمسكت بهما ستضعك الدنيا في زورق ملئ بالحطب المحترق وتحتها آلاف الأسماك الجائعة كان عنيدا.،الله يرحمه.،انت تعرف يا(ثروت) يبني انك تشبهني كثيرا عندما كنت شابا يافعا مثلك بصراحة اختلاف واضح جدا بينك وبين أبيك انت تنجرف مع التيار ولكن بالوضعية التي تريحك فالذي لا ينجرف معه ويقف ضده كالذي يقف ضد طوفان (نوح) بدون أن أطيل عليك يبني فأنا أعرف أن عندك مشاغل كثيرة قصره هناك شاب ضايق أحد الرجال البيض الهامين ومن أعز أصدقائي وكنت أريدك تجاملني في هذه المهمة،وهو عندي الأن في المستشفى يجب أن تقتله من أجل أن نرضي هؤلاء البيض الحمقي فأنت تعلم عندما يغضب هؤلاء تسود المعيشة فوق الجميع وهذه هي مهمتك

فترتسم ابتسامة تذمر علي وجهه ليقول

= وهل قال لك أحد يا سيدي،أني قاتل مأجور

ضحكات قصيرة المدي من ذا الحاجبان الاشعثان ليوضح كلامه:

=انت فهمتني خطأ يبني كل ما في الحكاية ان توقع عليه توقيعك وتجرب عليه تجربة من تجاربك الشائكة وتضغط عليه انشاء الله تصعقه حتي الموت أو تقتله بالبطيء لا يهمني المهم ان تقبض روحه

" ان كان علي هذا الحد فطلبك مجاب" قال له وهو يحك أنفه.

" ميعاد التسليم سيكون في أقرب وقت ويجب ان تكون علي أهبة الاستعداد " قال الدكتور (عوض) بملامح جاده.

ليتنهد الأخر تنهيدة عميقة ليرد عليه وهو حائر في أمره

" ولكن يا سيدي.،سيكون هناك غلط في الموجز".

الدكتور (عوض) ماذا تعني يبني؟ ليرد عليه وهو متأجج في وضعية جلوسه

لا أعرف أن أشرح لك الموضوع ان جئت إليك من أجل مريضة هنا في المشفي ولكنك فاجأتني مما سيتوجب عليك التضحية ببطاقتين في أن واحد وهنا يا سيدي ستكمن المشكلة ليتنحنح باصق في منديله ليقول:

وهل من المانع ان تؤجل طلبك قليلا

ليضع يده علي حرف المكتب ليبرر مطلبه بشغف

أنا أمس الحاجة لذلك الطلب وهذه المريضة بالذات أهم شيء في عملي

ليرد عليه الدكتور (عوض) بغضب واقتطاب

أشياء ماذا.،وهل لك علاقة بتلك المريضة ليصدم من الرد ليجيب وهو يبتلع ريقه

لا.،لا أعرفها ولكن وردت لي معلومات أنها مريضة بمرض معين بالفصام واحتاجها لكي أدرس عليها بعض النظريات،

ليقاطعه وهذا الشخص مصاب أيضا بالفصام

ليتخبط في نفسه ليقول:

شيء جميل يا سيدي.،ولكنها مصابة بنوع فريد من الفصام نوع أريده في تجاربي

ليقف الدكتور (عوض) متضايقا من الأمر ليقول في شيء من الوحدة

أنت بعنادك هذا تعرضني إلى مشكلات قد تضطرني إلى إضاعة تاريخي

ليقف هو الأخر بابتسامة واثقة

« لا تقلق يا سيدي.،دع الموضوع علي سأبتكر مكيدة تبعد عنك كل المشكلات ».

« وكيف هذا » قال له.

«دع كل هذا على تلميذك النجيب يا سيدي، وتأكد أنك في مأمن تام»،

لينظر إليه بثقة أضعفت محاولات عناد الدكتور (عوض) ضد طلبه كنظرة ضابط المخابرات الفطن الذي لا تفوته شعره ليقتنع الشيخ العجوز ويبدله نظرة ثقة الملك لوزيره، فهو يعي تمامًا من يقف أمامه، سيحيك وزيره تلك الوقائع بمهارة ودقة لا مثيل لها حتى لا يجلب للملك مشكلات شعبه الخائقة التافه،

لم يكن هذا الصباح عاديًا كعادته، بل كانت رياح الخريف تأخذ شكلًا موازيًا، وتسقط أوراق الأشجار المتهالكة» وضجيج القاهرة الذي يغزو شوارعها، وعوادم السيارات تصحبها الرياح إلى أجل قريب هنا في حي المهندسين» يصطحب (سمير) صديقه (عمار) إلى أجل غير مسمى إلى عيادة الدكتور (ثروت)،تخلو العيادة من أي مرضي، فأول مشترٍ يأخذ بضاعته طازجة: لتستقبلهما فتاة غرفة الاستقبال التي بدا عليها التوتر، عندما رأت (سمير) بابتسامة باهتة تدخلهما إلى غرفة الطبيب والدكتور معطيهم ظهره يقرأ إحدي الصحف باللغة الإنجليزية ليتنحنح (سمير) ليستدير الدكتور ليقف شامخًا في ابتسامة مغطاة وجه ليقول:

ليتهامس معه صديقه مترجيًا إياه:

تفضلا.،

فيجلسا و(سمير) يلقي الابتسامات في خجل وعينا (عمار) ترتمي على مطفأة السجائر المكتظة بأعقاب السجائر

المحترقة، وعينا الدكتور لم تنزل من على عينيه ليتيقن أنه مشتت في النظر إلى كمية السجائر المحروق فلفت انتباهه لمحاولة تغيير الموضوع:

"هل جئتما معًا لشكوة شيء في حياتكما."،

ليبادر (سمير) بالإجابة كأنه أول مرة يراه:

"في الحقيقة، لا يا دكتور، صديقي هو الذي جاء لك وهذه هي نتائج الفحوصات السابقة التي تشخص حالته»،

ليأخذ الدكتور الأوراق ملقٍ عليها نظرة سريعة ليقول بثقة ممتلئة بالطمأنينة:

«أنا لا أحتاج إلى تلك الفحوصات: لا يهمني ما يراه وما يقوله غيري، نحن أبناء اليوم مع العلم أستاذ (عمار) لا تنشغل بما حدث معك جراء معاملة من أحد الزملاء إن كان عاملك كحالة أو مريض أو ما شابه، أنت هنا صديق، قضينا مع بعض جزء من الوقت للنقاش ومعالجة أمور حياتنا نعم حياتنا، فنحن مجرد أصدقاء ألمسألة ليست بالشكل الذي تنظر إليه أو ما ينظر إليه غيرك»،

ليرد عليه (عمار) وقد انشرح إليه صدره:

«أنا لا أعرف ماذا أقول لك يا دكتور، فأنت بصراحة فاجأتني بكلامك هذا شكرًا لك»،

«لا شكر بيننا أنسيت نحن أصدقاء نساعد بعض دون أي مقابل: والآن قل بماذا تشعر..." ليقاطعه (سمير) في عجلة:

«أستأذن أنا لأترككما على راحتكم»،

«لا تذهب وتتركني إلى أين أنت ذاهب" ليحدثه بصوت مسموع:

* باب العمارة، أرى أن الدكتور يحتاج إلى بعض الخصوصية في عمله لا تقلق سأنتظرك على القهوة المطلة على،

وهما يبغتان بعض بنظرات بين الفينة والأخرى،ليتنهد عمار ليقوم الدكتور من مجلسه ليقف أمامه،

«أستأذن (عمار) لماذا أنت قلق لهذه الدرجة،ليضع يده على كتفه،أرجوك لا تقلق هيا بنا، تعال معي سأجعلك تستريح الآن من جو التوتر هذا."

ليشير إليه بيده نحو الأريكة" ليستلقي عليها ونبضات قلبه المتسارعة: كأن هناك شيء مجهول يجهله، فالبداية لا تبرز عن خطواتها، بل تكشفها في منتصف الطريق، حينها تصدم نفوسنا بأشياء مستعصية أذاقها لنا الماضي ليفاجئنا بها المستقبل في شيء من السخرية: ليجلس الدكتور بجواره وهو يفرز جسده بنظرات لينظر إليه والابتسامة على شفتيه ليقول له:

«قبل كل شيء، هل تمانع أن أناديك يا صاحبي»،

لينتفض من على الأريكة ليقول في دهشة مبالغة:

لماذا؟."،

ليحدق الدكتور إليه بغرابة ليقول له:

"هل ما زلت متوترًا؟"،

(عمار): "لا، ليس صحيحًا، ولكن هذه الكلمة يقولها لي صديقي (سمير)"،

فيقف الدكتور (ثروت) بعرض ابتسامته ليدلك كتفيه ليقول:

"اعتبرني صديقك (سمير)، صدقني لم أقصد شيئًا أنا فقط أريد أن أرفع الحواجز لأزيد من رفع روحك المعنوية، ارتاح،

يا صديقي، فهذه المهنة تعتمد على المصداقية والتواصل الروحي والفكري لتنبعث الراحة النفسية في نفسك، لكي نستطيع التغلب على الأمراض الخبيثة التي تنتابك"،

أراحه بكلامه، فاسترخى بكينونته" أحس (عمار) تجاهه بالراحة النفسية، وكان هذا المخل الذي يريده الدكتور لينصب فخاخه دون أن يشعر بالتخوين من ناحيته، وكانت هذه البداية" ليؤمئ برأسه بابتسامة مريحة على وجه الصافي ليردعليه:

"شكرًا يا دكتور، أقصد يا صديقي"،

ليتبادلوا أصوات الضحكات،

"الآن ادخل في الموضوع يا صديقي: اسحب نفسًا عميقًا،صوت شهيق،صوت زفير،لا أريد ذلك النفس التقليدي قبل أن تخرج ذلك النفس، تأكد أنه يُخرِج سموم أفكارك ومشاغل حياتك ومتاعبها،صوت شهيق، صوت زفير، هيا هيا أريدك،

إنسان صافيًا من شوائب الحياة، اغمض عينيك، وتمتع بخروج تلك المشكلات قل لي الآن بماذا تشعر؟ ما الذي يجول في خاطرك؟"،

ليتنهد قائلًا والأسى على وجهه:

"أشعر في الفترة الأخيرة بأن الحياة دست كل سمومها في، وجعلتني أشعر بالألم والمرض والفقدان والحزن وأن الموت شارف على حياتي"،

ليبتسم ليرد عليه:

"ما كل كمية هذا التشاؤم: أشعر بأن (شابنهور) جالس أمامي على رسلك يا صديقي شيء بشيء سأسألك عدة أسئلة وتجاوبني بكل وضوح،ما أول شيء تخافه"؟،

فأجابه مسرعًا:

"الخذلان يا دكتور، فالحياة خذلتني كثيرًا وأول شيء خذلتني فيه فراق أمي الله يرحمها، ولم

تهدأ بعدها، بل أخذت مني أعز رفيقة وأنقى شيء في هذا الكون ألا وهي زوجتي"،

ليرد عليه وهو يدون في نوتته:

"هل كنت تحبها إلى هذه الدرجة؟"،

"أحبها هذه قليلة" أحبها أكثر من نفسي"،

"وأين هي الآن"،

"هي الآن بين أيادي الرحمن متعلقة ما بين الوجع وفراق طفلها الوحيد وزوجها، وتتلقى العلاج الآن في أحد المستشفيات النفسية

الدكتور: "وطبعًا أنت الآن عازب وعاكف على تربية طفلك"

(عمار):" في الحقيقة، لا، لقد أرغمتني الحياة بعد فراقها من الزواج بامرأة صالحة تخدمني وتعتني بطفلي لأني في وضع لا يُحسَد عليه" وبيني وبينك قبلت بالزواج بها خفت بأن يؤثر وضعي النفسي في مراعاة طفلي، وأشعر بالخيانة في ذاك الوقت"،

الدكتور: "بالعكس أنت رجل سوي وطبيعي تحملت وتخطيت كل المراحل الصعبة التي واجهتك وفعلت ما فيه المصلحة، إن لم يكن لك، فهو لطفلك،أعرف أنك تشعر بشعور آخر لأن لا أحد في مكانك، ولكنك محق، نحن بشر نشعر ونحس،

لسنا دجاجًا، ولن أقول لك انساها كما ينسى الدجاج بعضها، بمجرد أن يستل أحد المزارعين سكينًا، ويقطع رأسأحدها يهرولون، وبعدها بثوانٍ، ينسون ويكملون اللهو واللعب،نحن نشعر بالألم، ويجب تقدير مشاعرنا واحترامها تجاه بعض،

ولكن اترك نفسك لنفسك وهلة، وفكر في الأمر مليًا أنت تنظر إلى الكون تجده فارغًا، ولكن بالعكس يا صديقي، فهو ملأ كفايته، بمعنى لقد كنت صبورًا بقدر كفايتك وهزمت الصعاب ومن الواضح أمامي أنك رجل قوٍ، هذه واقعية دعنا لا نتجاهلها، دعك من تلك الفحوصات التي تقول إنك مُطارَد بأحداث حدثت في الماضي، وأنك مصاب بفصام المطاردة،

بالعكس، أنت لست مصابًا، أنت رجل صادق في مشاعرك النبيلة، لم تكن أنانيًا للحظة كل ما حدث أن الحياة سلكت معك منعطفًا غير شريفاء هل تعرف أنا أحسدك جدًا؟ ولو كنت امرأة، لحسدتك أكثر لأن زوجتك محظوظة تذكرها صباحًا ومساءً وفي كل وقت تقريبًا"،

ليقاطعه قائلًا: "هذه هي المشكلة أني أتذكرها بشكل هيستيري، أحيانًا أشعر بأني أتحدث معها"،

"لا يوجد شيء اسمه مشكلة إلا ولها حل،انتظر أنت ابن حلال ولن أتواءى في تقديم العلاج

المناسب لك»، قال الدكتور بثقة كبيرة لينهض (عمار) على ساعديه قائلًا:

«كيف ذلك؟.»،

لينهض الدكتور مسرعًا ليفتح درج المكتب ليلتفط منه عقارًا غريبًا ليعطيه إياه قائلًا:

«هل ترى ذلك العقار؟ إنه عقار حديث فريد من نوعه أثبت فعاليته في بلاد الغرب، ولا أحد يعرف من هنا هذا الدواء: سيشفيك من كل أمراضك النفسية، وسيساعد في تقلصها رويدًا رويدًا، ولكنه يحتاج إلى الصبر، ولكن هناك ملحوظة بعد أنتتناوله دون كل ما حدث وما سيحدث لك، طبعًا كي نعرف إلى ماذا وصلت ونطمئن على صحتك،

بدا كل شيء يوحي بانخراط (عمار) في أفكار الدكتور العظيمة وإنسانيته، بعد أن دخل في أفكاره، واندس في مشاعره:

أحبه (عمار) ليشكره على مجهوده وطريقة معاملته الحسنة ليتبادلا العناق والابتسامات، وبعد أن غادر المريض، جلس الدكتور (ثروت) على مقعد مكتبه في أنفة وعظمة يجريان في عروقه مشعلًا سيجارة متنهدًا ليقول في خاطره:

«كل شيء ينقصنا يجب إشباعه بكل الطرق والوسائل حتى وإن كانت غير مشروعة لينظر إلى صورة والده،هذا المنطق تفتقده كثيرًا يا والدي، مر الكثير، ولم يعد غير القليل» وسأحقق نصرًا ستفتخر كثيرًا به قبرك يا أبي ضحكة أنفه»،

في حي سكني متوسط الرقي هنا في غرفة النوم في ساعة متأخرة من الليل» يغط أخو (المالكي) في نوم عميق، وفجأة يرن هاتفه المحمول، ولا يعطيه اهتمامًا، والهاتف لا يتوقف عن الرنين ليستيقظ وجفنا عينيه متثاقلان ليلتقط هاتفه ليضعه على أذنه دون أن يرى الطالب:

«ألووووو من معي.»،

«أنا فاعل خير، أنت لك أخ يتعالج في مستشفى الأمراض النفسية ليفرك عينيه مندهشًا ليرى الرقم مجهولًا، بعد أن اتهمته المحكمة بإدانة جريمة قتل وسرقة أموال خاصة ومن ثم أودعته المحكمة في المشفى، بعد أن سقطت أهليته» دون أن أطيل عليك، إن كنت تريد أخاك، فتعالَ فورًا إلى المستشفى لتأخذه قبل أن يُقتَل» فإن تركته، فسيصوروه الأمريكان قتيلًا، تعالَ فورًا...»،

العرق يتصبب من على جبينه والذعر يملأ قلبه ليقول مرتجفًا:

«من معي؟ وكيف تعرف كل هذا الكلام؟.»،

فيغلق الخطم ليساوره الشكوك والقلق والارتباك ليقول في نفسه:

«من يفعل الخير في هذا الزمان»،

ليركض نحو دولابه مرتديًا هندامه بسرعة" وبعدها يستقل بسيارته أمام البوابة الرئيسة لمستشفى الأمراض النفسية:

لينزل مسرعًا وهو يبتلع ريقه ليجد الباب الجانبي للعمال مواربًا، لينادي،فلا أحد يجيب والخوف يتملكه ليلقي نظرة على مرمى بصره ليجد شخصًا مُلقى على الأرض، ليركض نحوه مسرعًا وهو يلتفت حوله لينادي عليه فلا يجيبه،

فيقترب منه ليدق بيده على ظهره والفزع يتملكه ليسأله:

"ما الذي حل بك؟ وما الذي تفعله هنا؟ وأين الجميع."،

فلا يجيب ليمد يده المرتجفة ليقلبه على ظهره ليصرخ في فزع وعينه متسعة من رؤية أخيه:

"أخي، ماذا فعلوا بك يا أخي، أجبني يا أخي، ماذا فعلوا بك ولاد الكلب"،

لتساقط دموعه عليه ليقول في حسرة على أخيه:

"هيا بنا يا أخي لنخرج من هذا المكان الموبوء"،

فيجعله يتحامل عليه و (المالكي) مستيقظ وعيناه شاخصتان لا ينطق بحرف، ليضعه في السيارة في المقعد الأمامي ٠

وهو يلتفت حوله بحذر شديد ليقلع بالسيارة لتتبعه سيارة سوداء خلفه، ودائمًا هو يقود سيارته على طريق صحراوي،

فتندفع السيارة السوداء التي تسير خلفه لتصبح بموازاة سيارته لتراوغه فيفقد الآخر اتزانه للتحرك بانعواج،فينزل زجاج

سيارته على نفس السرعة ليلوح له بيده قائلًا بغضب:

"هل أنت سكران؟ يا هذا."،

لتظل المراوغة دون احتكاك لتنزل السيارة المجهولة زجاجها، ليبدو الشخص الذي فيها (سمير) ليصوب تجاهه بندقية قنص أمريكية لتخدير الحيوانات البرية" ليضغط على الزناد لتخرج حقنة مخدرة، لتصيب كتفه الماثل ناحيته ليشعر بتنميل في جسده ودوخة وتثاقل رأسه لتنقلب عيناه فيغمى عليه ليفقد السيطرة على قيادة المقود لتنتهي تصادم السيارة بالرصيف الخرساني الجانبي، لينزلا من السيارة المجهولة (سمير) والدكتور (ثروت) بملابس سود وقفازات ليحقن الدكتور (المالكي) ويفتح (سمير) الباب الخلفي للسيارة وبعد أن حمله الدكتور بصعوبة:، ليهم بمساعدته الآخر ليضعاه في الحقيبة وفيها شخص آخر تبدو أنها امرأة (أميرة) زوجة (عمار)، ليزيحها (سمير) قليلًا والندم على وجه ليقول بصوت مسموع والدكتور

يستعجله وهو يركب السيارة:

«لم أكن أعلم أنه سيأتي الوقت الذي سأضع فيه محرمًا قُرب حرم صديقي»،

ويغلق الحقيبة لينطلقا بالسيارة،

هنا في مزرعة (عمار) السمكية قُرب غروب الشمس حيث تتماشى الرياح بين ثنايا عشب البوص والامواج تسايرها الرياح لتتلاطم على الجسور، تحديدًا في غرفة المعيشة حيث بابور الغاز مشتعل وعليه قطع الفحم والفوارغ البلاستيكية،

وكومود خشبي قديم موضوع عليه تلفاز من حقبة بداية الألفينيات وحصير مفترش على الأرض والعم (عقاب) يتناول الطعام مع (عمار) وهو يتحدث معه وهو ليس منتبه لحديثه يأكل سمك (البليمي) مخرج شوكة من فمه وذهنه شارد،

«كانوا يريدون أن يطهروا قناة الصرف التي بينا وبين (الدسووقة) ولكنني منعتهم، وأخرجت الحفار من هناك يظنون أنهم سيغلبوننا، ويصنعون لأنفسهم ملكية المصرف، لم تعرف وأعينهم مليئة بالحقد كأنهم كانوا يريدون قتلي ويفرحون لي فحرة ويضعوني فيها يااااااه كانت أيامًا يا بني، كان أبوك مقدادًا ونعم رجال هذه البحيرة كان يمنع أي مخلوق يمس بها.»،قال عم (عقاب) وهو يتناول الطعام لم يلفت الكلام انتباهه: لم يهمه من يمس أرضه ومن يأخذ صرفه، كانت كلمات الدكتور (ثروت) تنتاب عقله بين الحين والآخر،

«قبل أن تتناول ذلك العقار، يجب أن تكون في خلوة بعيدًا عن أعين البشر، وخذ نفسًا عميقًا، وفكر بالأشياء التي تحزنك،

وتؤرقك وبعدها ستستيقظ خالي الذهن وخاليًا من التفكير الزائد والأمراض النفسية التي تباغتك، أووووه، هذا ليس زهايمر،

إنه الهدوء في عصر نهيق الحمير، انتظر حتى تستطيع مساعدتي، أرجوك لا تنسَ دون كل ما سترا‌ه وما تشعر به حتى نستطيع أن نصل إلى النتيجة المطلوبة ليضع يده على كتفه وشدقيه متفائلًا،اتبع التعليمات.»،

ليقطع خيط ذهنه الشارد يد خشنة تهز كتفه:

«ولدي، هل ات معي؟.»،

ومن ثم ليستفيق ليفرك عينيه الذابلتين ليقول متأتأ:

«كنت أريد طلبًا منك يا عم (عقاب).»،

«اطلب يا ولدي، فأنا في مقام والدك» رد عليه،

ممكن أن تذهب إلى بيتك،خذ إجازة اليوم لتريح نفسك من تعب اليوم، فأنت أنهكت كثيرًا، وتعال في صباح الغد» قال له

«ولكن يا ولدي أنا لست متعبًا، فأنا اعتدت ذلك، قهقه محشرجة،لا تقلق، العجوز شاخ، ولكن ما زال ثابتًا»،رد عليه ليرد عليه الآخر بلهجة من الجدية:

«أرجوك يا عم (عقاب) اسمع الكلام، خذ أجازة وتعال غدا » ،

يرد عليه وحاجباه مثيران للدهشة:

« ولكن يا بني ،أنت لا تحب أن تبيت بمفردك منذ أن كنت صغيرا ».

يرد عليه بصوت عالٍ وعينيه متسعتين:

« أسمعت ما قلته لك ؟ ".

ترتمي عيناه في حزن ليقول:

« حسنا يابني، لك ما شئت.».

يقوم ويعبئ حقيبته البلاستيكية، وبعدها يخرج و(عمار) يتابع حركات خطاه وهو جالس مكانه وبعد دقائق معدودة يركض إلى باحة البيت ليصعد السلم ، ليتأكد أن العجوز قد رحل، وهو سائر بين أعشاب الحطب الصغيرة : ومن ثم ينزل ليبحث في سيارته عن شيء ما ، يخرج حقيبة صغيرة ومن ثم يدخل ويوصد الباب خلفه ويدلف من الحقيبة عقار غريب غير مدون عليه اسمه ويداه ترتجفان» فيلف حبلًا حول ذراعه الأيسر، يمسك الحقنه ليفرغ فيها العقار ذا السائل الأخضر الغامق، ومن ثم يحقن نفسه لتبدأ عيناه في التقلب وشينا فشينا ينساب جسده ويتراخى ،ويزيح عشوائيا بيده الفخار (القولة) لتنكسر وتفرغ المياه التي في حصيلتها ، يضغط على رأسه بيديه كأنها على وشك الانفجار .،يصرخ عإلىا، ويسقط على الأرض مغمى عليه.

بعد منتصف الليل

من الصفحة (١)إلى صفحة (٧) باختصار تام

وفي تلك الأحداث الشائكة التي يخوضها (عمار) في عقله اللاواعي بعد أن حقن نفسه بالعقار تدور أحداث أخرى في زوايا أخرى من نفس الليلة.

في تلك الغرفة المظلمة جزئيا يجلس (المالكي) متربعًا مكبلا بالأغلال والأصفاد الحديدية : مرتديًا بلوفرًا رماديًا ذا أكمام طويلة ومتسعة ، وجفني عينيه معبئان بالحبر الأسود يغط في النوم يظهر عليه الشحوب وقلة الوزن وفي الناحية الموازية له يجلس الدكتور (ثروت) على كرسي يستند بصدره على ظهر الكرسي والملل يكاد يقتله ، يناوب النظر في ساعته بين الحين

والآخر،فقرر أن يكسر مله بحرق سيجارة أخرى ، ليرفع فنجان القهوة ويرتشف منه فلا يجد فيمد إصبعه ليلعق دمقة من البن ، ويلقي بالفنجان على الأرض بتملق ليحدث صوت انكسار، فيستيقظ (المالكي) منفزعا ويتثاءب ، فيحرك يديه ، ينظر إليها فيجدها مكبلة، فيزداد شعوره بالرعب أكثر ..يحملق بعينيه الخائفة،ويقاطع نظراته الحارة كلام الآخر:

ما كل هذا الكسل يا رجل؟ لدرجة أنني كنت سأنام بجانبك لأونسك في وحدتك.

"ينتفض جسده " عندما رآه أمامه في غرفة ضوؤها ضعيف ..يحدثه والذعر على لسانه المتثاقل:

"من أنت؟...مستحيل ، لقد تذكرتك" أنت الذي خطفتني من سيارة أخ..أخي ، ما الذي فعلته بأخي..يصرخ في وجهه.

يرد عليه ساخرا:

"أوووووه...ولماذا يقولون أنك فاقد للذاكرة؟" يا للعار...الصدق أصبح من الرذائل حتى صحة الناس: أصبحوا يختلقون الأوهام...لإيهامهم أنهم مرضى".

وفي أثناء ذلك يُخرِجُ سيجارة ليعزم عليه ، يصرخ (المالكي) في وجهه مكررا سؤاله:

"لماذا خطفتني من أخي، أيها الأحمق؟".

يعقد الآخر حاجبيه مستنكرا ، ويقول:

"مبدئيا أحب أن أعرفك بنفسي أنا اسمي الدكتور (ثروت) المتواضع المحترم..يضغط على تلك الكلمة وهو يقولها..."المحترم" ، ثانيا إجابة على سؤالك ، أخوك خرج عن القانون وحاول تهريبك من العدالة، وأنا منعته لا أكثر،".

صوت ضحكات متقطعة ممتزجة بصوت كحكحة صدرية وخروج مقاطع الكلمات محشرجة:

«وها أنا الآن في حوزة العدالة أم حوزة بنطالك العفن - بصوتٍ عالٍ - أين أنا أيها المجنون؟، لقد عرفتكم أنتم رجال المخابرات العامة» أجبني..،هل أنت منهم؟ ».

يرد عليه بكل برود وبدون إثارة أي تجاعيد،منفث الدخان الرمادي الأبيض ببطء في الفراغ المكنون:

«أنت هنا من أجل أن أوافق على إمضاء تأشيرتك الأولى والأخيرة: حتى تسبقنا إلى هناك إلى تلك الأرض التي لا يعاني فيها أحد ، بدون أن أطيل عليك يا عزيزي..،هل تعرف ذلك الشخص..،وأخرج له صورة (عمار)..."

يرد عليه وهو يشعر بالخوف:

« ماذا تريد مني؟.».

يصرخ الآخر في وجهه قائلا:

«هل تعرف ذلك الشخص؟ ».

رد عليه: « لا..،لا أعرفه.».

يبتسم ببرود، ويقول:

« لا تخف يا رجل انا أُعَرّفُكَ عليه ليس إلا..،هيا الآن احفظ شكله جيدا، فهو سبيل خلاصك،سبيل نجاتك الوحيد ، احفظ شكله جيدا يا عزيزي.».

كانت تلك الطريقة تدعى « سأراه في منامي لاحقا » ، فعندما ترى شيئا أو تفكر في شيء قبل النوم يأتي لك في أحلامك صاغرا، يومئ برأسه بالنفي، يقول وهو ينظر في الصورة بتمعن شديد ، وأثار رؤيته مشوشة:

« أنا لا أفهم شيئًا ».

ينهض الدكتور من مكانه ..،يقترب منه قائلا:

« لا يهم ستعرف بعد قليل».

يحقنه بحقنة مخدرة مباغتة في رقبته، يفقد (المالكي) الوعي، وبعدها يشمر عن ذراعه الأيسر، ليغرز العقار ذا السائل الأخضر الغامق، ومن ثم يجفف مكانه بقطعة من القطن، ويحزم أغراضه ويخرج ثم يتوقف عند عتبة الباب ، ويومئ برأسه وينظرإليه بطرف عينيه قائلا في

خاطره:

«غدا سنلتقي يا أصدقاء ..،أحلاما سعيدة».

يغلق عليه الباب ..،يسبب له رعاشا في جسده ..،تتقلب عيناه ، ويبدأ في تحريك يديه بطرق غريبة ، ثم يتوقف عن تلك الحركات ، ويبدأ بالتمتمة وكأنه يتحدث مع أحدهم.

أثار التلوث الطيني على ظهره ...خطوات متسارعة بخطى عرجاء ..،متعكز على عصاه ..،وبدون مقدمات يظهر سرب من الأفاعي تزحف على بطونها خلفه ، ويسمع بأذنه أصوات فحيحهم فترتعد فرائسه ويتعثر ويسير..،يتعثر ويسير بخطى زاحفة بطيئة ، ولا يزال تنتابه فكرة الولوج إلى الإسطبل ، لأنه لن ينقذه من هذا الكابوس المزدحم إلا حصانه السريع، فيردد قائلًا في نفسه:

« ها أنا أقترب لم يعد إلا القليل» نصف المسافة فقط ...الهمني الصبر يا أله».

بدا وكأنه يلهث واللعاب يسيل من فمه ، يخطف نظرة سريعة خلفه ، ليجد سرب الأفاعي قد توقف فجأة عن الزحف! ومما أثاردهشته ، ضيق أفق عينيه ،فوجدها تتفرق وتنزل من جانبي الجسر لتعود إلى جحورها ...،لم يبالِ للأمر،ولكن قلبه هدأ واطمئن بعض الشيء ..،يتقدم في وجههته ، يحمي وجهه بذراعه من شدة الرياح المعاكسة..،يصطدم فجأة بجسم غريب ..،تتوقف دقات قلبه بل انتزع قلبه من مكانه من هول ذلك الجسم الغريب.

« ما ذلك الشيء المألوف لي ، أنا أعرف تلك الملابس جيدا»، تساءل في نفسه ، يصرخ مرتعدا يقول في توجس وجسده يرتعد: « نعم...،إنها الفزاعة التي صنعتها بنفسي لإخافة الطيور، ولكن أنا لم أضعها هنا! ، مكانها يقبع على الجسر في وسط الأرض، إذا ما الذي تفعله تلك الفزاعة المعتوهة هنا ».

تقع تمتماته أمام تلك الأنفاس الحارة الخارجة من قناع الفزاعة ، مما أثار فزعه واتخاذه عدة خطوات بطيئة للخلف ، وعيناه شاخصتان بحدة ..،ترتعد أطرافه ، والفزاعة واقفة على قدمي إنسي ، وذراعين ممدودتين بزاوية قائمة عند كل من المرفقين متدليتين ، ويده إلىمنى مرتدية قفازا ، والقناع يُظهِرُ ضيَّ عينين خضراوتين ، وشعرًا بنيًا متوسط الطول ، وبعضًا من خصلات الشعر الناعمة متدلية على القناع في ملبس أسود مليء بالثقوب وكثرة الخيوط المحاكة ، وفمًا ظاهرًا من القناع لونه بني قاتم محاك بخيوط عريضة سوداء، فعندما نظر إلى ذلك القناع الخشبي الذي صنعه بيديه عندما كان شابا صغيرا ، ورؤية إنسان يرتدي فزاعته أدرك للحظة، أنه في أحد أفلام الرعب التي يكرهها.

« يبدو أنني انتهيت.»، قال في نفسه.

وفي لحظة قرر عدم الاستسلام ، وارتد بخطوات بسيطة للوراء ليتعثر ويسقط على الارض،

وبصوت مبحوح متقطعة أوصاله:

« من أنت؟...،وما الذي تريده مني؟ ».

ترد عليه الفزاعة المتمثلة في (المالكي) بصوت غريب فيه فحيح على غير العادة:

« أنا الحقيقة...،أنا طريقك المنير..،في ضباب الظلام الدامس....».

ترتسم على وجهه(عمار)الدهشة والاستنكار بعد أن أحس بالكلام مع حديثه .،يتمتم بكلمات الآخر:

« أنت الحقيقة..،أنت طريقي المنير..،أنا لا أفهمك،هل تعرفنى؟..،وأين نحن؟...ولماذا يريدون قتلي ، وأنا لم أؤذِ أحدًا قط في حياتي..،أرجوك أجبني..،أرجوك،».

« مهلك با عزيزي...،ستعرف كل شيء في أوانه ،: أنا أعرفك جيدا فقصتك محيرة جدا، ولكن مترابطة معي في نقطة واحدة»، رد عليه.

ينظر إليه وهو يرمقه بنظرات استفسار قائلا:

« قصتي أنا محيرة ومترابطة معك..،كيف؟!!..،أنا..،أنا لا أعرفك، أرجوك وضح ولماذا أنت على تلك الهيئة؟» لا بأس أنا أحمد الله أني وجدت شخصًا يعرفني ما مجريات الأمور العجيبة تلك ».

مع إمالة وجهه على الأرض مجفل يده في التراب كالساعة الرملية: فبدأ بالتقدم وذراعاه مربوطتان بعصا معلقة خلف ظهره، وبدأ بالتمايل يمينا ويسارا مع ظهور ابتسامة من القناع غير مفهومة.

يبتلع ريقه ويرجع بظهره للخلف ، يوجهه إليه كلاما متقطعا محشرجا في بلعومه:

« أرجوك لا تقتلني...».

« إجابة على سؤالك: ما الذي فعل بي هكذا..،الاشرار يا (عمار) الذين سيقضون على زوجتك.».

ينصدم من كلامه الذي نزل عليه كالصاعقة، تصلبت عيناه، بعد أن استوعب الرد بطيئا ويرد عليه ساخرا:

« أنا لي زوجة؟ أنت حقا تمزح، أنا لا أعرف إلا اسمي الذي نطقته لتو، ولا أعرف أين أنا أهذه مزرعتي؟، أم انا في مزرعة وحوش ما بعد منتصف الليل؟..،تشخص عيناه فجأة..،لحظة كيف عرفت اسمي؟».

انتظر رجل الفزاعة الاستماع لحديثه وأكمل ما قال بدون أن يعير كلامه انتباهًا:

« أما عن أين نحن..،نحن في قاعة اللاموتى يا صديقي..،».

أصبح مخمليا عند سماع كلمات انبثقت من عقله الباطني ولكنه لا يعي ذلك.

« قاقاقاقا قاعة ماذا؟..،تعثرت مخارج حروفه ، يضحك بسخرية حزينة..،هل أنت مجنون؟..،لا يهم ما الذي أفعله هنا بحق الله.»

يرد رجل الفزاعة بتملق مع الرجوع للخلف بخطوات انسيابية وأصوات الغربان تنشر السماء:

انت هنا لترجع إلى الماضي،وتعرف ما فاتك من أحداث فاصلة في حياتك وما طياه النسيان». «

: فيلتقط (عمار) عصاه ليتعكز عليها ويقف ويقول

أنا لا أفهم شيئًا (ماض - نسيان)، حقا أنت غريب». «

: يستمر رجل الفزاعة بالولوج إلى الوراء مصدرا وجهه له يرد عليه

كلنا غرباء يا عزيزي فمن منا لم يأخذ واجب ضيافته ورحل ليأخذه في مكان آخر فمن أخذه هنا خسر ومن لم يأخذه هنا «ربح».

بدأ الضباب يغزو المكان فجأة وصدى الصوت يتردد.

(عمار» :(إلى أين أنت ذاهب.».

رجل الفزاعة (المالكي): « سأراك قريبا.».

يلتهمه الضباب والظلام، ويختفي تدريجيا و(عمار) يركض نحوه متعكزا بخطوات متعرجة يتحسس الضباب ويلوح بيديه بلا جدوى ، يصرخ بصوت مبحوح متقطع مستنجدا به:

« أرجوك لا تذهب وتتركني وحيدا أنا تائه..،أرجوك لا تتركني ».

ينكب على ركبتيه وتنهال الدموع من عينيه كطفل تركته أمه ما بين أزقة مزامير المولد الصاخبة، ويتركه غارقا في تساؤلات عديدة جالت في خاطره:

« من هي زوجتي؟ ومن هذا الشخص الغريب؟..،ومن هؤلاء الأشرار؟.....،».

حل الظلام والدكتور (ثروت) يسير في رواق المبنى القديم الذي يشبه المغارة الذي يجرب فيه تجاربه السريرية على المرضى النفسيين، بخطى سير واثقة وعلى وجهه الأرق وجفون عينيه السوداء التي لم تذق طعم النوم، فبعد أن حقن العقار لـ (المالكي)

اتجه بعد ذلك إلى إحدى الغرف التي تتقطن الرواق الكبيرليفتح الباب ويضئ مصباح العمود

المعلق بتمايل إضاءة شبة خافتة "تقبع امرأة في ركن الغرفة" بوجهه أبيض محمر باهت والهالات السوداء التي حول عينيها الرماديتين، يجلس على ذلك الكرسي الخشبي، ويفتح حقيبته السوداء.،يخرج حقنة يفرغ فيها نفس السائل ...يجهزها ضاغطًا عليها لتخرج تلك القطرات تتبع عيناها مصدرها..تنظر إليها في النهاية برعب صامت غير موصوف وهي ترتعد تربت على ركبتيها وعيناها تقول:

" أعرف تلك الحقن..،حقن الموت".

يقترب منها .،يلامس بيده إلمني وجنتيها .،ويقول لها مبتسما وهي شبه متجمدة:

" مرحبا بزوجة بطل قصتنا هيايا عزيزتي تماسكي لتأخذي دواء ما قبل النوم".

ليمر كم جلبابها الأبيض بذراعها الأيسر المحمر بعناية، ويلتقط الحقنة في فمه .،يخرج من بنطاله صورة فيها زوجهها ،يقول لها:

والصوت يعترضه جسم الحقنة:

" هل تعرفين ذلك الشخص؟.".

تتسع حدقة عينيها وبداخلهما الرعب وشفتيها القاحلتين كالصحراء،لم تند فيهما قطرة ندى واحدة ترتعدا ، تقول عيناها:

* انقذني يا(عمار).".

يطبق الصورة بغلظة يده ، وبعدها يفرغ السائل في ذراعها فتتهاوى عيناها ولا تعرف بأي اتجاه تقلع لتسقط على جانبها الأيمن، وتتدلى خصلات شعرها على جبينها الشاحب ، وترتسم ابتسامة خبيثة على وجههه وهو يرتب خصلات شعرها قائلا:

" أبلغيه سلامي..،".

" يبدو أنها أسماك القرش،ما هذا الهراء،أنا لا أربي تلك الأسماك المتوحشة"،قال (عمار) في خاطره والرعب في عينيه.

يتدلى على ظهره رافضا أن يرى شيئا رفض واقعه رفض كينونة خياله المنبثقة من عقله الباطني يتنهد قائلا بصوت مسموع:

" متى سيكمل القدر هذه المعزوفة السخيفة لأنتهي من كل هذا الشر المحدق بي يا رباه أنقذني،فأنا مشوش..،".

تندلق دمعة من عينيه، يسمع فجأة أصواتًا قادمة نحوه تهز مرافأ أذنيه .،ينظر بطرف عينيه

أفقيا ببعض من الميل:.

« نعم إنه هو شيء لا يصدقه العقل ذلك الرجل الضخم المعتوه ثانية» إنه لا يموت آثار ندبة الفأس في جبهته: لقد مللت كل هذا الهراء، سأومن بقدري وأنتظر الموت حتى أعرف ما سيحل.....».

لم يكمل حديث نسج خياله حتى تخطاه بنظره ليقع نظره على تلك المرأة البيضاء كالثلج ذات الجلباب الأبيض الفضفاض مرفرف كالشراع الذي يسير على ظهر حوت ضخم في وسط المحيط معدي في جسامة الأمواج العاتية» وعيناها تفيضان دمعا كمجرى نهر جارٍ في وديان متعرجة» تشتكي ولكن لا تتفوه بحرف،كأنها تريد أن تطلب شيئًا لكن الرجل الضخم يستل فأسه على الطريقة الاستإلنية السوفيتية « اقضي على أعدائك حتى لا تسمع نحيبهم أبد الدهر» ، عادت الروح الشغوفة فجأة إلى الحياة بطريقة أخرى أراد بعض الأنفاس المشحوذة لكي يقترب منها فغرابة الموقف تنسدل من خلف ستارها ٠ هل التقينا من قبل؟ ، ولكن الفأس يصوب تجاه رقبته ليمنع صراع نفسه في البقاء.

يجلس الدكتور (ثروت) في تلك الغرفة الملكية ذات النوافذ الكبيرة على كرسي خشبي وأمامه مكتب يهلكه القدم: ينفث دخان من سيجارته.

يخرج ذلك الفأر من شقاق الحائط المتسع كالمعتاد ليرتاد إلى صاحبه ، يطعمه طعامه، وبصرير صوته كأنه يناديه يصعد عليه ، بداية من أقدامه حتى يقف على كتفيه: ليلفت الفأر انتباهه بعدما صحا من غفوته وساعة الحائط تشير إلى ما بعد منتصف الليل ، ينظر إليه بجفني عينيه اللذين يزنان رطلا من الحبر الأسود فيدغدغه من خده ، فلامسه بيده قائلا:

« أهلا يا صديقي لقد تأخرت كثيرا على العشاء.».

يفرغ له علبة التونة على سطح المكتب،ينكب الفأر عليها ناهما إياها ويفتح زجاجة مياه ويفرغ بعض قطرات المياه في غطاء متسع قطره لعشر ملليمتر ليخرج ذلك العقار ذو السائل الأخضر ويسكب قطرة واحدة فيه ، ليرتشف منها الفأر، وينتفض بعدها كأن أحدهم ركله في صدره ، وينتابه الصرع ويقفز من على سطح المكتب ليتصادم في الجدران ..أصبح مركز الرؤية عنده منعدم تماما يركض في كل مكان كالمجنون» وأصوات ضحكات عإلة هيستيرية من الدكتور يقول وهو يشاهد بشاعة المنظر باستمتاع:

« يجن جنونك من بضع قطرات فقط فما بالك وهم يشعرون بهلوسات،،وعقلهم الباطني يضمر عليهم بقسوة ليروا الجنون بأم أعينهم التي تأكلها الدود، سامحني ياصديقي على خيانتك فأنا أشتاق لتلك اللذة، لذة الاستنجاد بي ولا أبرح مكاني ساق على ساق كل ما عليَّ فعله هو مشاهدة الجنون لا أكثر وهذا درس يعلمك لا تثق بأحد أبدا «، قال بنرجسية سادية مستمتعًا بعذاب الأخرين.

والفار يصرخ بأنينه المنهار في الجنون: يتوقف نبض قلبه ويصبح جثة هامدة.

يستيقظ (عمار) من نومه مفزوعا ممسكًا برقبته بعد أن أحيكت خيوط فجر الشمس.

" بسم الله الرحمن الرحيم..،ما الذي تفعله هنا يابني، ولماذا أنت نائم فوق سطح البيت "، قال العم (عقاب):.

" عم (عقاب) أنا أنا...."، قال وعيناه متسعتان غير مصدق أنه كان يحلم

" اهدأ يابني..،هل أنت بخير؟،رد عليه مطمئنه بوجهه شاحب وتفكير شارد بنفس شعور أحد الجنود بعد انتهائه من حرب لم تضع أوزارها من انتصر ومن انتكس.

في إحدى أروقة المستشفى، تحمل عربة نقل، زوجة (سمير) وعلى فمها أجهزة التنفس الاصطناعي وبعض المحاليل المعلقة والأطباء والممرضات يسيرون بها و(سمير) ملتقط يدها وهي غائبة عن الوعي بعد أن اشتد ألم الحمل عليها يجرون العربة ، ومن تمتماتهم الحالة مذرية، تدخل غرفة الجراحة ويداه ترتعشان .،بعض أناملة، ويتمتم بكلمات أدعية وبعض التلاوات القرآنية ، وبعد عدة دقائق يسمع صوت نحيب طفل مولود خرج لتوه للعالم الخارجي يصرخ ويعافر فيها " تخرج الممرضات مسرعات بعد أن تهامسن .،يسألهن فلا تجيب إحداهن: حتى بعد أن خرج الطبيب وجهه لا يبشر بالخير ، يمسك بمعصميه وقلبه منقبض":

يقول:

" خيرا يا دكتور ما الذي يحدث بالداخل؟..،هل الطفل بخير؟".

فيجيبه الطبيب وهو في عجلة من أمره:

" للأسف الطفل مصاب بتشوهات خلقية،".

يرتعد ذعرا من مصارحة الطبيب له وتتسع حدقتا عينيه ..،يصرخ في وجهه رافضًا أن يفلت يده:

!!!..،ووالدته الغبية كانت تأخذ أدوية لتثبيته والحفاظ عليه

يومئ الطبيب رأسه بالنفي وعينه ملقاة على الأرض بسبب سلوكه الغير مهذب:

" العلم يتقدم واكتشف الكثير،نحن نفعل ما بمقدورنا أن نفعله: أنا آسف لأبلغك أن الطفل خرج من بطن أمه كسيحا".

فيتركه ويذهب ليتفقد توازن جسده ليرتطم بالحائط وعيناه مصدومتان مما سمعه وشفتاه ترتعشان" وأطرافه تتبلد وتظهر عروقه محمرة لم تعد قدماه بمقدورهما حمله: فهو لم يرد أن يصل إلى تلك المرحلة التي كان يحمل عبئها تفكيره مشوش كان يتمنى بأن يرجع به الزمن ولا يوافق على إلحاح زوجته بأن تحمل مرة أخرى ولكن حلم الأمومة لا يعرف الخيبة" وها هو القدر يحمله خيبة الأمر ويطعمه لذة الخذلان .،ينهال جسده بشكل ثابت ..،يجلس جلسة القرفصاء ..،تتصلب مفاصل قدميه .،يفلتها ..،يضع رأسه بين يديه يندب حظه بل قدره الذي أعطاه الله إليه .،ينقم عليه.

في نفس الصباح في مدينة القاهرة يقود (عمار) سيارته بسرعة جنونية، ممسكًا بيده إلمنى هاتفه المحمول يتصل بصديقه (سمير) ولكن بعد محاولات عديدة لا يوجد رد، وجبينه يتصبب عرقا من غضبه المذعور بأعصاب متهالكة ، يقول بعصبية:

رد.....،رد."" فلا توجد استجابة ، يرسل رسالة صوتية مفادها:

" (سمير) ان كنت تسمعني فأرجوك رد علي في أسرع وقت، لأن زوجتي خطفت من المشفى البارحة ، بعد أن تصلك الرسالة اتصل بي فورا".

يلقي الهاتف على المقعد الجانبي ، ومن ثم يستوقف سيارته أمام المستشفى المحاطة بسيارات الشرطة ، وبعض أفرادها يمنعون الصحفيين القائمين على تغطية الحدث، يدخل (عمار) بعد أن عرف الشرطي هويته .،يركض إلى حجرة الاستقبال ، يتحدث مع الممرضة وهو يلتقط أنفاسه يقول:

" هل حقا ما سمعته صحيح: أين زوجتي الآن؟.".

ترد عليه الممرضة بعد أن استوقفت لملمة الأوراق التي في يديها:

"اهدأ يا سيدي فا...".

يصرخ في وجهها مقاطعها:

" أهدأ..،أين زوجتي الآن؟: أقول لك.".

يقطع حديثه بعد أن التفت له الجميع صوت ضابط شرطة من خلفه:

" من أنت يا أستاذ؟" ومن سمح لك بالدخول إلى هنا؟"، يرد عليه وهو يبتلع ريقه:

" أنا زوج السيدة التي خطفت البارحة"، فيلين استقطاب وجهه الشرطي ويرد عليه بمواساته:

" لا تقلق..،فلقد أمسكنا بالخاطف،كل ما نريده منك أن تذهب معنا إلى مركز الشرطة :، لاستجوابك في بعض الأمور،".

" يعني هل وجدتم زوجتي؟."، قالها بعصبية متزمتة.

" ستعرف كل شيء هناك."،رد عليه وهويشده من ذراعه.

في حجرة وكيل النيابة يجلس المحامي و(ابراهيم) أخو (المالكي) وعلامات القلق على وجهه الشاحب المتصبب عرقا في كل أجزائه .

(وكيل النيابة) بوجهه كاشر قائلا:

" ما هي أقوالك في التهم المنسوبة إلك؟..،خطف مريضين من مستشفى (العباسية) بعد منتصف الليل من تاريخ الأمس".

يرد عليه ملوحا بيده المذعورة:

" صدقني يا سيدي أنا لم أخطف أحدا كل ما في الأمر أن مكالمة وردتني البارحة من شخص مجهول،قال لي بالحرف الواحد:

إن أخوك في حالة مذرية والخطر يحوم حوله، في البداية لم أصدقه ولكن انتابني الذعر والخوف على أخي فأنت تعرف ليس لي أحد غيره في هذه الدنيا ، فسارعت بارتداء ملابسي مهرولا واستوقفت سيارتي عند الباب الرئيسي للمشفى استأذنت فلم أجد حارس البوابة" لأتفاجأ بعد بضع خطوات بوجود أخي مستلقٍ على الارض انتابني الرعب أكثر فلم أعد أعرف ماذا أفعل حينها؟ ناديت كثيرا فلم يجبني أحد فخطرت لي فكرة لا إرادية بآن أحمل أخي وأعالجه في مستشفى آخر،وفي وسط الطريق حدث ما لم أتوقعه ، اعترضتني عصابة مكونة من شخصين ملثمين يطلقان عليَّ مخدر وبعد أن أفقت لم أجد أخي بقربي لأجد سيارات الشرطة تحاوطني،لأمثل أمامك وتتهمني بخطف مريضين من بينهم أخي والمصيبة الأكبر أن أخي اختفى تماما ولم أعثر له على أثر...،".

(وكيل النيابة):" رواية غريبة ولكنها ليست مقنعة...،ماذا تقصد؟..،أقصد هل معك دليل على كلامك؟، هل معك شهود؟،".

" لايا سيدي..،لكن والله العظيم كل ما قلته لك حدث حقيقة "

" امممممممم اه،يتنهد..،ما قولك في أن إدارة المستشفى رفعت عليك ثلاث قضايا ٠ الأولى: اقتحام المشفى ، والثانية: سرقة حالتين ، و الثالثة: أنك متهم بخطف مرضاها الذين سبق خطفهم في الآونة الأخيرة: ما ردك؟،" وعيناه الحادتان مصوبتان تجاهه.

يومئ برأسه مصدوما بالنفي والاستنكار التي تطرأ عليه لم يعد قادرًا على تحريك فكيه: والمحامي يجفف عرق جبينه تَدَخَّل قائلا:

" سيادة النائب هذا اتهام خطير وفي بالغ الخطورة، فموكلي كما قال لك أن نواياه سليمة ولم يكن على استعداد من خطف أحد فكل ما رأه أوجب عليه أخذ أخيه، لأنه لم يجد فيها رعاية

سليمة: بغض النظر إنه ليس له سجل في الشرطة، وهذا مسند أمامك".

بملامح مقتضبة" يملي كلماته على الباش كاتب:

" بعد الاطلاع على أقوال المتهم يحفظ المحضر لحين استكمال الأدلة" مع حبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق مع مراعاة يخرج يديه مكبلتين في يدي العسكري و(عمار) يسير وسط نخبة من أفراد الشرطة،، وعيناه تتلامسان مع بعضهما في ذهول شديد ..،يدخل أمام النائب ..." تفضل بالجلوس..،قال له ليهم بسؤاله:

أين زوجتي؟"...

فيجيبه بعد برهة بعد أن جس نبض عيناه القلقة:

" نحن نحقق في ذلك": يرد عليه باستهزاء:

" نحن نحقق في ذلك، يعني زوجتي ليست هنا ، يعني كلامهم صحيح خطفت بالفعل أنا لا أصدق ما يدور حولي..،يعلو صوته...

..،أنا سأحملكم المس...،".

يقاطعه بلهجة حادة:

" أ (عمار) قلت لك مسبقا نحن نحقق في ذلك فلا داعِ لهذه الفوضى وبما أنك زوج المخطوفة فإنك تعد من أوائل المشتبه بهم في القضية،"

يرد عليه بنبرة حادة غير مصدق ما يسمعه:

" هل تمزح معي؟..،كيف لك أن توجهه لي تهمة خطيرة كهذه،إلس من المفترض أن تدلني على مكان زوجتي بدلا من أن تجلس مكانك وتبدأ في توجيه الاتهامات،".

فيعتدل ببرود ..،يتراخي بظهره على المسند ليلامسه بكلتا يديه وهي منبسطة، يرد عليه بهدوء:

" هذا ما سأعرفه منك الآن".

يسير في إحدى الأروقة المؤدية إلى إحدى الزنازين الشبه مظلمة المتصدعة جدرانها ويديه مكبلتان بالأصفاد ورجل الشرطة يسير خلفه يمقته بنظراته الحادة ممسكًا بكتفه بصرامة وحزم والأسى والحزن في عينيه وتفكيره شارد.

" يحبس على ذمة التحقيق ويجدد حبسه في عدم توافر الأدلة وشهود العيان.....".

هكذا سمع بأذنيه مالم يكن يتوقعه، أنه سيجرم في حق زوجته في يوم من الأيام، يقف برهة متحسسًا ساقه إلسرى،يتذكر موقفًا ، لم يعرف متى حدث.

(عمار) (flashback)

بعد منتصف الليل في المزرعة، خلف الاسطبل وأعشاب البوص الطويلة يسمع صوت أنين رجل يئن من شدة الألم الضارم على وجهه، يهرع نحوه بشيء من العفوية لنجدته فتتعثر قدمه اليسري في تلك المصيدة الدائرية المسننة كأسنان القرش ويصرخ هو الآخر من شدة الألم.

ينغصه بيده وهو يتحسس قدمه، ليعرف هل هي بخير أم أن تهيؤات هي التي تسببت في ذلك.

« أنت الرجل، انهض كفاك تزمتا»،قالها العسكري وهو ينهره،ينظر إليه بعينيه التائهتين، يتسنده الاخر بغلظة ولا يعيره اهتمام حتى وصلا إلى الزنزانة الانفرادية المركزية: وعيناه تتفقدان الغرفة المظلمة التي يختلسها شعاع ضوء باهت ، يقطع شروده صوت الباب الحديدي المدوي،بعد أن ألقي به الاخر .،يستدير خلفه ليظفر بالشباك الحديدي أيضا تهالكت شفتاه، فهو لم يعرف ماذا يقول،فحريته سلبت منه مؤقتا من أجل شيء لا يعرف سببه، فيضيق فؤاده وتدمع عيناه ويركع على ركبتيه مستندا على باب الظلام.

*****

« لقد أخذ العاطل بالباطل، لقد حبس (عمار) على ذمة التحقيق بتهمة خطف زوجته»،بعد سماعه تلك المكالمة وهو مسترخٍ في مكتب عيادته،: ينزل الهاتف من على أذنيه في صدمة وذهول مبالغان والخدمة الشابةً تنظف وتراقب تغير نبرات وجهه في صمت،ينهض من على مقعده وفجأة يفقد صوابه ..،يقذف بهاتفه في الحائط ناعتا حظه التعيس،وفي أثناء ذلك ترتجف

أطراف جسدها مما شاهدته في صمت،يدير إليها ظهره ويقول وهو يجمح غضبه:

« أخرجي أنت الآن.»: ترد عليه كأنها لم تر شيئا:

« أتريد أن أعمل لك شيء.»، يدير وجهه إليها صارخا:

« لا أريد غباء قلت اخرجي الآن.».

تهرول خارجة وتغلق الباب بحكمة ، يسرع متجها نحو صورة أبيه .،يحدثه بهيستريا ساخرة:

« ماذا أفعل الآن يا أبي؟..،لقد فعلت بكل شتى الطرق من مجهود مبذول لأعمل على حلم مشروعك البغيض،من خطف ، لتعذيب ،لقتل كل الأساليب الملتوية فعلتها، ها أنا الآن تسخر مني الظروف التي لا أومن بها بتاتا،لا تنظر لي باستهزاء..،يرفع سبابته إلى الصورة بكل مقت..،يبدو أنني ورثت حظك التافه حظك الأحمق،الذي لا يجيد لا تقل لي..،صوت

ضحكات..أن أحيد عن هذا الطريق، وأن أكون مثل بقية البلهاء،أساعد المرضى العاجزين ، لا يا والدي، أقسم لك لو اجتمعت آلهة إلىونان القديمة على منعي فلن تستطيع أن تعيق طريقي، وعليك تذكر ذلك جيدا،".

هنا ترتب (منال) هندامها المتواضع بعد أن شبكت خمارها بالشبك الوردي لتأخذ حقيبتها وتخرج من باب الغرفة مراقبة طفلها الكسيح، بهدوء وتوارب الباب خلفها، تخرج إلى الصالة تقبل زوجها (سمير) من جبينه، فهو في حالة استياء مذرية ينفث بقسوة دخان سيجارته ، منظره مهلهل ، ملابسه رثة لا يكاد يغيرها، لم يعد يهتم بمنظره، متنامي شعر ذقنه بصورة بشعة ،أصيب بحالة اكتئاب حاد،مما جعله يتقاعس عن العمل وخروج زوجته مكانه بشهامة إلى سوق العمل،تقاطع ذهنه الشارد:

" هل تريد شيئا يا عزيزي من الخارج؟.".

يومئ برأسه بالنفي تتنهد محبطة يائسة ، تقول والابتسامة على وجهها المتفائل:

" اهتم بنفسك وإذا صحا الطفل..،تستفزه كلمة الطفل فيغمض عينيه..،زجاجة الرضاعة بجانب سريره كن لطيفا ريثما أعود من العمل،لن أتآخر".

وبعد عدة دقائق يسمع (سمير) صوت بكاء الطفل،ترتجف يده ..،تسقط من يده السيجارة، ومن ثم يضع يداه على أذنيه" ..،يضغط عليهما بقوة ليحجب الصوت الذي يشعره بالبركة، يئن أنينا مذريا وجبينه يتصبب عرقا وصدره يشهق ويزفر بصعوبة، يكح ويبصق بلغما من صدره كأنها لصاقة سدت الهواء المستنشق،رنين الصوت يؤلمه كأنه مطرقه تدق على رأسه دون توقف ..،يدنو من على مقعده وهو يتشبث ..،يسقط على الأرض، ضاغط على أذنيه بشدة،يتقلب على الأرض بتراجيديا تكتسب المأساة الآمنة في عقله الذي يشعر بالصداع المزمن، يطلق عنان بصره الزائف إلى أحد أدراج الكومود،يزحف نحوه بسرعة يبحث فيه

بعشوائية مفرطة، يخرج مسدسًا وبعض الرصاصات المبعثرة، تتسع عيناه الحمراوتان بجفنيه القاتمان وهو يصب عرقا ...يظفر بعدة رصاصات متساقطة ..،يدخل بعضها ويسقط بعضها الآخر ، وهو يلتف في كل مرة نحو نحيب الطفل الذي لا يهدأ والقلق يزداد عليه.

يشد الأجزاء متسندًا على الكومود ..،يوقع اللفاظة بيديه المرتجفتين ..،يتماشى مستندًا على الحائط، ويسد أذنيه من فظاظة الصوت، يركل باب الغرفة بقسوة ، فيهوي على الأرض، لم يسأم جمع قواه ..،يترنح ويقف على قدميه شبه المرتجفتين، يصوب مسدسه بدناوة على الطفل الرضيع،الذي مازال يعوي في البكاء ويده الممسكة بالمسدس ترتعد لتغدو يمينا تارة ويسارا تارة فتخطئ هدفها المصوب نحوه،يقترب منه أكثر ويده ما زالت ترتعد،يصرخ في وجهه الطفل الكسيح قائلا بصوت غاضب:

" اخرس وإلا سأقتلك..،أقول لك اخرس.".

ترتجف شفتاه وتدمع عيناه وأذناه تقشعران،فالصوت في عقله مدوي ، يزيده إصرارا على إعادة تصويب المسدس، لغلق أذنه إلسرى بيده ويصوب بيده الأخرى ، يغمض عينيه وسبابة إصبعه ترتعد على الزناد ..،يقوى على الضغط وفجأة يسمع صوتًا من الباب يبدو أن أحدهم دخل،يخفي مسدسه بسرعة عند أسفل قميصه، يمسح دموعه، لتتدخل زوجته لتنادي عليه فلا يبإلى لأمرها تجده في الغرفة ..،تفزع واضعة يدها على صدرها ، تقول وهي ترجع الابتسامة:

« لقد نسيت أن آخذ النقود معي،لا تعرف يا حبيبي لقد شعرت بالحرج عندما ارتدت الباص وخرجت منه مرة أخرى عندما تذكرت أنني نسيت المال».

وهي تبحث عن المال وهو مثبت مكانه تجده ، تتنهد بنغزة وجنتيها يقول وهو جامح غضبه:

« أرضعي..،هذا الطفل لكي يتوقف عن البكاء».

تندهش مما قال ترد عليه وحاجباها منخفضان تسأله متعجبة:

« ولكن يا عزيزي..،الطفل ما زال نائمًا ولا يبكي ».

تنزل عليه الكلمة كالصاعقة: يكررها مرارا وتكرارا..،هل أنا جننت؟..،فينظر ناحية الطفل فيجده نائمًا لا يتحرك يغط في النوم كملاك بريء ، ينظر إليها نظرة لوم يتركها بدون أن ينطق بكلمة، يسرع إلى غرفته يغلق الباب عليه، تتسع عيناها وتجلس على السرير بجانب طفلها، تتساقط قطرة من عينيها، تتذكر كلمات تتردد على مسامعها من الطبيب:

« مدام (منال)..،للأسف زوجك مصاب بمرض الوسواس القهري..،أرجو أن تحرصي على سلامته فحالته لا تطمئن...».

يرقد (عمار) نائما يتمدد على أرضية زنزانته وذقنه الذي نما على وجهه الخمري بهالات سوداء تحوم حول عينيه.

لا جدوي من كل هذا فالأمر أصبح مستحيلًا ولن يتغير أبدا للمعتاد،يحرك عينيه تحت عتبة السماء المظلمة وهو ممدد على جسر حوض السمك في المزرعة بين ثنايا أعشاب الحطب الأخضر ، يجد أسماكًا مفترسة ذات أشكال غريبة تسبح في المياة وتقفز أسماكًا غريبة منها: سمكة الصيادة التي لها رأس كبير وأسنان حادة شفافة» يفزع منها وينتفض برأسه للجهة الأخرى يمد بصره على المدى القريب يجد الرجل الضخم الملطخ بالدماء قادما نحوه وهو مستل فأسه وخلفه ببضع مترات زوجته (أميرة) بجلباب أبيض فضفاض بعينيها الرصاصتين المغطى حولهما بمادة الكحل الأسود باكية لتصنع مجرى من الحبر الأسود على خديها وبعض القطرات السوداء تسقط على جلبابها الأبيض ليشكل خطوطا سوداء،يريد أن يسألها ما بها ومن هي؟، ولكن يقطع شغفه الرجل الضخم الذي على مقربة منه وهو يرفع فأسه ويصوبه

نحو رقبته لينزله بقوة.

يستيقظ (عمار) من نومه منفجعا على إثر فتح الباب وهو يزيج مصدر صوتا يقشعر منه البدن، عيناه متسعتان وأفكار غير مرتبة من ذلك الكابوس الذي يراوده طيلة فترة حبسه، يقول له أمين الشرطة بصوت أجش:

« لقد أفرج عنك إلبوم، هيا قم معي".

يفرك عينيه مستوعبًا ما يقوله إياه، ينهض متعكزا ، ما زالت قدماه تؤلمانه، يسأله وعلى وجهه علامات المرض والكآبة" .،يكح وهو يبصق بلغم صدره على الأرض:

« هل وجدوا الخاطف أم لا؟".

يرد عليه وهو مشمئز من رائحته الكريهة:

« لا أعرف شيئا هيا تحرك ولا تصدر جلبة ": يمسك يديه وهو يكبلها بيده" يسأله:

« كم أمضيت من الوقت؟."، يرد عليه:

« ستة أشهر."،يرد عليه ببرود ساخر: « أنا أعرف ذلك." يجره أمامه بغلظة ويغلق باب الزنزانة.

في الريف بيت (عمار) الذي يتوسط عدة بيوت في الأراضي الزراعية، تحت شتاء كثيف تمتصها الأغطية النباتية: يطرق الباب، فتفتح (سارة) الباب وتتفاجأ به مطيلة النظر إليه بسبب تغير شكله مما استوقفها برهة ترغرغ عيناها شوقا ..،تهرع نحو حضنه معانقة عناقا حارا وعيناه تدمع ، وهي تقبله في صدره وكتفه وتقول: يا حبيبي يا أخي لقد خفت عليك كثيرا قلبي يأكلني عليك..،حمدا لله على سلامتك.".

غير مصدقة أنها رأته: وهو لم يحرك أذرعته لمعانقتها قابلها ببرود كبرد الشتاء القاسي،غير ناطق بحرف يتخطاه غير مبالٍ لولعه شوقها به فترتسم على وجهها الدهشة: يركض نحوه طفله الذي في الثانية من عمره،ليعانقه بشدة ويطمئن على حالته ووضعه ، والبهجة والسرور على وجهه الطفل الذي يذكره بشخص ما أطال النظر في وجهه كأنه انفصل عن الواقع: يقاطع شروده سؤال ابنه:

« أين كنت تلك المدة يا أبي؟.".

ترتسم ابتسامة موإلة على وجهه محركًا عضلات فكه بصعوبة ..،يظهر ابتسامة يغلب عليها الكآبة والتعاسة: يرد عليه:

« كنت في العمل يا صغيري: كيف حال دراستك؟".

يجيب ببراءة الأطفال:" لقد تعلمت أشياء كثيرة يا أبي، سأريك ماذا تعلمت.".

تقاطعه (سارة) مربتة على كتفيه: قائلة:

* ليس الآن يابني، فأباك مرهق الآن" ويريد أن يرتاح".

ينظر إليها وقد طفا على وجهه التعب،،يعطيه ابتسامة صغيرة: يتركه ويغلق باب غرفته خلفه يستدير نحوها قائلا:

" لماذا أبي مرهق يا أمي؟،".

تفك عبوسها وتدنو نحوه وهي تجيبه مبتسمة:

" لأنه قادم من العمل يا صغيري،هيا اذهب أكمل واجباتك المدرسية ".

ينزل أحد الصناديق التي تعلو الدولاب وملابسه المبتلة لم يغيرها يفتحه، ليجد فيه بعض الصور القديمة له هو وأسرته، يجد من بين الصور صورة حفل زفاف له هو وزوجته: يبعثر تلك الأوراق وبحث فيها بطرق عشوائية يجد صورة زوجته (أميرة)

مرة أخرى في كتاب مكتوب عليه ذكريات حياتي،تتسع عيناه" قائلا في خاطره:

" نعم هي زوجتي التي تراودني في ذلك الكابوس المزعج الذي لا يفارقني ولكن كيف لي أن لا أتذكرها".

يبكي وهو يحتضن الصورة قائلا " حبيبتي": يقرع الباب من خلفه،يمسح دموعه ويلملم الأوراق في عجلة: يخفي صورتها في جيبه، تدخل عليه معانقة من الخلف،ورقاقة عينيها الخضراء تتفحص وجهه لتلامس بخدها رقبته، وبكل رقة تتحسس صدره، لتدق عليه باب السعادة وهو بارد بمشاعره تجاهها فشاغله الأكبر أن يعرف ما الذي يحدث له ولزوجته السابقة" لم يكن من هؤلاء البشر الذين ينسون بسرعة ويبنون حياتهم على حساب ماضيهم المتهالك: يبعد يدها ببرود هادئ ليلتفت نحوها قائلا:

" أنا أسف أنا متعب،وعلى أن أنجز بعض الأمور".

يتركها وعند مسكه لمقبض الباب:

*" آسف..،متعب..،ليس الآن..،على إنجاز بعض العمل،تحدثني كأني جاريتك التي اشتريتها من الأسواق، وأنا مثل الحمقاء:

أصدقك وأصبر وأقول لنقسي قلبه سيلين ويحن علي يوما ولكن بعد سنتين من زواجنا لم يحن قلبك علي يومًا، كأنني امرأة مسخ قل لي: ما الذي لا يعجبك في؟ ": يرد عليها:

" ليس الآن هذا الكلام "، يطول صوتها بغضب قائلة بسخرية ومقت:

« انشاء الله متى سيكون هذا الوقت بعد الموت أم في سن العجز ».

يتركها ويغادر بدون أن يرد عليها، تركض خلفه وهي تكتظ غيظا:

« خذ هنا..،لماذا لا ترد علي ألا تسمعني،».

يغلق الباب خلفه.،تتشبث باكيه ..تنهار باكية ...،تنزل على الأرض،والطفل يشاهدها والحزن مخيم على وجهه ..،يرتمي بصرها عليه فتفتح أحضانها قائلة" تعال يا (ماهر)"يرتمي في حضنها وهو يمسح دموعها بيديه الصغيرتين قائلا وهو يواسيها:لا تبكي يا أمي ، لا تبكي في عيادة الدكتور (ثروت) تدخل مستقبلة المرضى برداء متمدن يضفي عليه اللمسة الريفية» قائلة وهي تبتلع ريقها والدهشة عليها:

* دكتور..،أ (عمار) بالخارج.».

يقف منتفضا مثبتا على قدميه ..،يطفئ سيجارته بسرعة ..،يلملم هندامه ، يقول في غضب متحمس فيه دهشة:

« أمازلتِ هنا، أدخليه بسرعة ماذا تنتظرين.».

يدخل مرتديًا سترة كتان مقطن ذات لون رصاصي والأرق على وجههه:يقابله بحرارة مرحبًا به:

« بدون أن ترفع سماعتك وتخبرني» عن حالك وصحتك،يبدو أنك نسيت أننا أصدقاء، أنا حزين منك»،يتنهد قائلا:« لقد حدثت أشياء الله وحده أعلم بها ».

يجلسا على مقعدين متقابلين: يهم الدكتور بسؤاله متظاهرًا أنه لا يعرف عنه شيئا:

" قص علي، ما الذي حدث طيلة الفترة السابقة ، قبل كل شيء ماذا تود أن تشرب؟ ».

يمشط رأسه بيده يومئ له بالنفي، ومن ثم يتحدث يبدأ بالتلعثم والتأتأة، يمسك الدكتور معصمه ليهدئه قائلا:

*ا(عمار) كل شيء سيكون بخير صدقني، خذ راحتك بهدوء وبتروي احكي لي كل ما حدث معك،أنا معك سأسمعك جيدا لاتقلق.

شعر بالاطمئنان والارتياح وارتخى بظهره على مسند الكرسي وعيناه لا تفارقان النظر إلى السقف وبدأ يحكي كل شيء بالتفصيل:

« بعد أن أعطيتني ذلك الدواء الغريب شعرت بشعور غريب أعجز عن.....،».

والدكتور يدون في دفتر ملاحظاته وهو مرتديًا نظارته ويدقق في كل تفصيلة وكل كلمة.

" فتشت في صندوق قديم ووجدت صورتها كنت سأجن كيف أرى زوجتي السابقة في الحلم ولا أعرفها، شيء دعاني أن آتي لك:هنا ، وأخرج الصورة من جيبه وأعطاها له، تتسع حدقة عينيه مما سمعه وهو يمعن النظر في الصورة وكحركة جاسوس محترف أخفى نبرات مشاعر ملامح وجهه ،فأشار له بسبابة إصبعه،فينهض من مكانه كأنه يحضر لإيجاد كلمات أعدها مسبقا، وأشعل

سيجارة ، يتأسف على ذلك إلىوم الآخر بإبتسامة تفضل والارتخاء على مقعد مكتبه، والآخر يقوم ليجلس أمامه، يتحدث بمطلق منطق العلم:

"أ(عمار)..،أسف،أقصد صديقي العزيز، كلامك يدل على تأكيد نظرية الأحلام عند (إيريك فروم) فالحلم من إبداع الحالم فالدور الذي يقوم به الحالم أثناء حلمه، فإنه هو الذي يبتدع هذا الحلم، إنه حلمه هو، وهو الذي ابتدع حبكته لا أحد سواه،وبالرغم من أن الأحلام لها صفات عجيبة، فهي لا تخضع لقوانين المنطق كأنك خرقت الثقب الدودي وذهبت إلى العالم الآخر،لا تجهل بالزمان والمكان جهلا مطلقا، فهي لا تخضع لقوانين المنطق التي تحكم فكرنا أثناء إلىقظة، ينصف الحلم أيضا بأنه يبعث في الذهن أحداثا لم تحدث وأشخاصًا لم يسبق لها أن خطرت ببال الحلم وأظن أن العقل الباطن هو الذي يسير تلك الأحداث فمليارات

الذرات اللامتناهية التي في عقلنا البشري قادرة على صنع عالم جديد وتسييره بسهولة ولكن العلم اكتشف حفنة من آلاف الخلايا، كي لا أصعب الفهم عليك وندخل في تفاصيل ليس لها قيمة: بما أنك مصاب بمرض الفصام وفصام المطاردة بالتحديد، وهو الشعور بالمطاردة من قبل شخص أو عدة أشخاص،بمعنى أن زوجتك تراودك في أحلامك وغفواتك حتى وأنت يقظ ، ولكن ،أقولها دائما لك نحن في بداية المشوار نحن الآن يطاردنا شخص سنفعل ما في مقدورنا حتى نقضي على تلك الظاهرة،".

يقاطعه قائلا وهو يدقق النظر في كلماته:

" أتقصد أن زوجتي شيطانا يطاردني في حياتي، وأنني سقطت في عالم آخر من صنع عقلي الباطني ".

يبتسم الدكتور: قائلا:

*ا(عمار) الأمور ليست بتك البساطة وليست بتلك التهيؤات التي تدور في عقلك الآن،الظاهرة كبيرة إلى حد ما، ولكي ننقذ أنفسنا، سأعطيك أدوية مضادات للاكتئاب لأني أشعر بحالتك وهي تسوء،وهذا ليس بالأمر الجيد يجب أن تهتم بمظهرك وتعيش حياتك بطبيعية: أعرف أن القلق يساورك سأكتب لك دواءً لهذا وبعد شهر بالتحديد ستتحسن حالتك جزئيا وهذا أمر يمن بالطمأنينة ، وبعدها ستأخذ ذلك العقار المستورد لتقضي نهائيا على تلك الظاهرة التي تعيش فيها مع العلم مسبقا يجب أن تعيش حياتك..،الطبيعية وفوق كل ذلك يجب أن تحظى بممارسة الجنس فهذا له فوائد عظيمة، كأن قنبلة بها كل همومك وألقيتها بقوة

لتنفجربما فيها ".

ومن ثم أعطاه ورقة كتب عليها بعض الأدوية" ليأخذها وهو يفكر في حديثه لينتابه شعور بداية النصر على المجهول، وما كانت هي إلا أن شبك بداية خيط الصنارة الرفيع الذي لا يرى في الظلام، كأنه شرح له تفصيلة بدون أن يقصد عقاره الذي ابتكره:

فابتسم ابتسامة خفيفة" فلقد أيقن أن عقاره أصبح عند حسن ظنه: بعد أن تملكه إلياس تماما،فبدا مبتسمًا للحظات ممسكًا بطرفي القلم الجاف والسعادة تغمره،ينهض مشغلًا الجرامافون حديث الصنع،يرقص رقصة غربية يتحايل ويلتف فتدخل فتاة الاستقبال"

تقول وهي مندهشة مما يفعله بتنحنح:

" هل أدخل المريض التإلى يا دكتور؟.".

يلتقط يدها ليرقص معها رقصة رومانسية وهي مندهشة سلوكه المغاير الذي طرأ عليه فقبل ذلك كان يوحي عليها بالعبوس القاتم.

ما زالت ليإلى الشتاء القارصة تؤخر من عجلة الإنتاج: فالبلاد شبه نائمة لطبيعة سكان الشرق يملون العمل في الشتاء لطبيعتهم التي تميل إلى حرارة الشمس، بالإضافة إلى قلة الإمكانيات وتردي البنية التحتة، ولكن في ظل تلك الأحداث لم يكن الوضع هادئا بتاتا، ففي محكمة دار القضاء كانت الاتهامات المسبوقة تدين المدعو (ابراهيم محمد الفقي) أخو الضحية (المالكي) الذي خطف على يد أخيه في ظل ظروف غامضة وإضافة إلى ذلك خطف المرضى وبيعهم في السوق السوداء، كانت إحدى المانشتات يقرأها ذلك الرجل الذي يرتاد القهوة أمام المحكمة مرتديًا معطفًا أسود وقبعة إيطإلية من نوع فنتشي، ترتسم ابتسامة على وجهه بعد أن انتهى من قراءة الجريدة، تحولت القضية إلى رأى عام لكثرة الصحفيين الذين يلتقطون بعدساتهم صورًا لـ(ابراهيم)أخو المالكي الذي يدخل قاعة المحكمة في حوزة الشرطة،: ويوضع في القفص وشعوره بالارتجاف لم يكن من البرد بل كان من الخوف،شعوره بالبراءة وإحساسه بالظلم كان مضفي في عينيه المتسعتين الشاخصة أمامها، كان شاردا لا يهتم لأحد ولا حتى مقت الجميع، لم يهتم بالكاميرات ولا حتى لشعاراتهم التي يطلقونها عليه " (سفاح العباسية)..،قاتل مجنون..،دكتور (هانيبال)"

وعندما سمع القاضي وهو يلقي ترانيم الحرب وكأنها طقوس ما قبل الموت، أيقن للحظة دائمة أن حبل المشنقة سيلتف حول رقبته بلا تراجع، وجاءت لحظة الحكم ما بعد المداولة لحظة مشئومة لينطق القاضي تحال الأوراق إلى مفتي الجمهورية ، ليهلل الجميع الله أكبر..،الله أكبر توقفت أعضاء جسده من الداخل وظاهره يوحي باستمرار السير على قدمه، وبينما الجميع سعيدون بقضاء الحكم بينهم ذلك الشخص الذي يرتدي بزة سوداء إنه الدكتور (ثروت) يسرع من الخروج من المحكمة وهاتفه المحمول على أذنه ، ليتحدث فيه وهو ينزل من على السلالم مبشرا بتراتيل نهاية الحرب:

" مرحبا..،يا دكتور (عوض)..،لقد أكلت القطة صغارها خوفا على حياتهم بعد أن ابتلعلت الطعم."

بعد بضعة أسابيع يجلس الدكتور (ثروت) في مكتبه هالات سوداء تحت عينه ينفس دخان سيجارته بضيق ينظر إلى ساعته من حين إلى آخر والغضب والزجر والملل يأكلانه، يدفع (عمار) الباب فجأة ويدخل عليه في حالة مذرية وعيناه حمراوتان وجفنا عينيه متثاقلان، فيقابله الدكتور (ثروت)معاتبا:

" لماذا تأخرت كل تلك المدة؟ ، يبدو أن الأرق والتعب ينتابانك".

يفلت يده ليجلس على الكرسي ملتقطا أنفاسه من الركض ، يقول متأتئا وهو يشهق ويزفر:

" أرجوك يا دكتور انقذني فأنا في حالة هذيان".

يقاطعه بكوب من الماء قائلا:

" خذ نفسك أولا واشرب بعض الماء".

يدفعه من يده في عصبية: يسقط منكسرا على الأرض، ينهض مظفر بياقة قميصه، يجذبه نحوه مستنجدا صارخا في وجهه:

" أنا لم أعد أستطيع التعايش مع أسرتي،كل يوم حالتي النفسية تسوء لم أعد أرى فقط زوجتي بل أرى خيالات وأشخاصًا أخرى لم أرها من قبل ، فسر لي ما الذي حدث معي، حتى ولدي أصبح يخاف مني، أشعر بأن عقلي ينفجر وملامح وجههي بدأت

..،بالتأكيد،أرجوك افعل شيئًا ".

يواسيه الدكتور وفي عينيه المكر:

" اهدأ فكل شيء سوف يتحسن الأمور على ما يرام ": يرد عليه مستشيطا من الغضب:

" لن أهدأ أقول لك فكرة أعطني ذلك العقار فهو جميل جدا ومريح للأعصاب ".

أصبح العقار كالمادة المخدرة التي تفقدك جزءا من حواسك وتعطيل بعض الوظائف الداخلية وتنشيط غيرها لقد فقد شعوره بالواقع ونشط عقله الباطني أكثر مما ينبغي للإنسان الطبيعي فأصبح يرى ويسمع أشياء لا وجود لها ولكن في مخيلة منامه ، يردعليه وهو يهدئه:

" حاضر سأجلبه لك فورا هيا دعني حتى أجلبه لك".

فينظر (عمار) إليه وعيناه متسعتان: يجد نفسه مظفرًا بيديه رقبة الدكتور يفلتها رويدا رويدا

ليتأسف له ، يرد عليه وهو يعدلها

« لا بأس،سأجلب لك العقار ليهدأ من روعك ممكن أن تجلس الآن وتشرب كوب المياة».

ليفتح الخزينة والآخر يجلس ليظهر عليه ابتسامة رفيعة وهو يجلب العقار ومن ثم يغير وضعية وجهه يستدير مقدما له: فينتشله من يده وهو لاهث مثل: الكلب الجائع:ينصحه الدكتور قائلا:

* لا تنسى التعليمات كما قلت لك مسبقا،".

يتركه ويغادر بدون أن يعير له أي اهتمام: يرتدي معطفه الأسود ململمًا أغراضه يقول بصوت مسموع :

« هيا يا (ثروت)الحفلة أوشكت على النهاية».

*****

في ذلك المبنى القديم المخاط من على جانبيه الحشائش وبعض الأشجار في تلك البقعة الصحراوية التي تحيطها الهضاب المنخفضة: بعد منتصف الليل يظهر القمر بدرا مكتملا من تلك النافذة التي يجلس بجوارها الدكتور (ثروت) يرشف كأس من نبيذ وينفث سيجارة ملغمة من فتافيت الحشيش المخدر ، وتظهر عليه بعض من ذهاب الوعي الجزئي وعيناه شبه مغمتان تتثاقل عينه فيستيقظ مرة أخرى يتكرر الوضع حتى أطفأ سيجارته المحترقة ورطب شفتاه بيده.

« لا يا (ثروت) هذا ليس وقته: فهذا وقت العمل أعرف أنك قد مللت من تلك السخافات،ولكن النهاية أوشكت على الاقتراب»،قال في نفسه والنعاس يطوله.

أراد أن ينهض ولكن دون جدوى لأنه أثقل في الشرب،ليقول بصوت مهموس « فكر»: فنظر على جانبه أسفل فألقى بنفسه ليسقط على الأرض حتى يفيق ويرجع إلى وعيه شعر بتثاقل عينيه مجددا حتى توارت إلى ذلك الباب الخشبي الصغير المتربع على الأرض وبدأ بالنهوض والسقوط فقرر الزحف حتى وصل إليه ليزيح عنه القفل الذي فتح مؤخرا ليخرج حقيبة سوداء بكبسولة ليخرج منها عقارين من نفس السائل وحقنتين وبدا يستند على الجدران وجسده غير متزن وجفنان متثاقلان:ليفرك عينه حتى يستطيع الرؤية « في ذلك الضوء الخافت ليتكئ على مسند السلم الحديدي حتى دنا إلى القبوة ليسير بخطى مهزوزة في ذلك الرواق الطويل ليفتح أوسط الغرفه ليأخذ (المالكي) فيها ركنا نائما وهو منكمش على نفسه ، ليضع يده على أنفه فرائحة الغرفة لا تطاق بسبب الفضلات البشرية ، فيعدله ليأخذ وضعية الجلوس،ليمهد له حقن العقار يستيقظ الآخر ويريب على ذراعه اليسري بلفافة حبل بلاستيكي والاخر في وضعية استسلام، ليحقنه ومن ثم يطبطب على خده،قائلا:

" نم يا عزيزي أحلاما سعيدة".

ليغدو من الغرفة بدون أن يغلقها فهو فى حالة مغيبة جزئيا عن الوعي وأصوات الصراصير تخرج من بين التصدعات ليفتح غرفة أخرى ليجد (أميرة)معانقة فأر لتنظر إليه لتتسع عيناها منه خائفة ، يركل الفئران بقدمه، يدنوا بالقرب من وجههها

يتشممها والذعر على وجههها الشاحب قائلا:

* الفئران خير صديقة: ولكني تخلصت من فأري".

صوت ضحكات، وهي ترتجف والهالات السوداء تغطي عينيها ، يمسك ذراعها ، ويحقنها بنفس السائل، فتتقلب عينيها لتعطي ذلك اللون الأبيض المخيف،لتتهاوي يداها الممسكة بالفار ليسقط منها ليلامس بيده وجنتها في خفة"....

في تلك المزرعة تمطر السماء وأصوات الرعد تملأ المكان زخبا ليطعمها البيرق بلونه المخيف، يجلس (عمار) داخل البيت مرتعدا يربت على ذراعه بذلك الحبل وعينه المتسعة التي لم تغفل لها رمشا ليقرب الحقنة من ذراعه ، لكن دون جدوى فالرعشة تمنعه من تلك المتعة ، متعة التوهم بالشفاء على يد ذلك العقار ليمسك بمعصم يده بقوة:لضمان ثباتها ومن ثم يفلتها ليدخلها

بصعوبة ليتدفق السائل في عروقه ليشعر بعدها بالارتياح ليغيب ذهنه عن الوعي.، لتتقلب عينيه بطريقة مخيفة ليتمدد على الأرض لينتفض ليخر ساكنا متكررة مرة أخرى لتجفل بعدها عيناه.

يخرج من الغرفة ليسير في الرواق ليتوقف فجأة أمام إحدى الغرف بعد أن خطرت له فكرة غيرت ملامح وجههه ليبتسم ابتسامة خبث.ليقرر فتح الغرفة التي تعج بالمرضى الصامتين ليسير ، وسطهم وهم يتهامسون.ليقف بالقرب من فتيات تردين جلاليب بيضاء مهترئة يشبهون بعضهم في العمر والشكل يتميزون بالشعر الأسود والبشرة البيضاء والقمحية والهالات السوداء التي تحت أعينهم والأكمام المتقطعة، ليلامس بيده فتاة بالعشرينات قد تكون الأجمل بينهم ليتحسس صدرها ومشاعرها شبه منعدمة، وأثار وعيه قد انطفات البتة.ليديرها ويجعلها في وضعية الركوع أمامه مستلقية ببطنها على الطاولة ٠فهذه اللحظة تحتاج إلى إفراغ الطاقة المكبوتة التي بداخله ليستطيع المواصلة، فيفك حزام بنطاله وهي في غاية الاستسلام ونظرات ضحكات تنتابه بين الحين والآخر وفجأة يأتي شخص من خلفه ليضربه على مؤخرة رأسه بزجاجة:، لتتسع أعينهم جميعا غير مصدقين ما حدث، ليسقط على الأرض بعد أن التف خلفه ، ينظر إلى من ضربه ليغمي عليه وآثار الدم تنذلف من رأسه، التي تلقاها من شاب محلوق رأسه بطريقة عشوائية واضعا على خده خطان أسودان تشبه إعلان الحرب ليخرج من يده ورقة كوتشينة مرسوم عليها شخصية الجوكر،يلقيها على مؤخرة رأسه ، ليلتف كل من في قاعة الغرفة حوله ، ليبدأون في الرقص بطريقة عجيبة، لياتي أحدهم يلوح لهم كأنه يريد أن يقول

شيئا ليجعلهم ينظرون على باب الغرفة المفتوح: الذي يعينه أحدهم وينظر بترقب في الرواق بحذر شديد ويدخل ويعاود ثانية: فبعضهم لا يبالى وآخرون يتهامسون وآخرون يرقصون والذي دل على الباب يسير بقدمه الحافية ليعاين بعينه الرواق والشخص الآخر يسحبه بيده كأنه يريد أن يحذره بألا يخرج ويومئ له بإشارات غير مفهومة ، لترتسم على وجهه ابتسامة عريضة لأنه رأى منفذ الحرية، وكأنه مشهد للوحة الهروب للفنان (.....).

*****

يستيقظ (عمار) من النوم مفزوعا ليجد نفسه معدا داخل تابوت خشبي فتحة سقف مواربة: لينتفض دافعا بابه بيده ليلفظ أنفاسه لشعوره بالاختناق لقلة الأكسجين.

" من الذي أدخلني في ذلك التابوت" هل أنا مت؟: لحظة أليس هذا بيت مزرعتي ولو مت ما الذي أفعله هنا في المزرعة"،قال ليلقي نظرات على المكان في دهشة داخل غرفة المعيشة باندهاش وهو ما زال جالس داخل التابوت ليلمح بطرف عينيه تابوتًا آخر موضوع بجانبه ، فارتعد مرتعبا.

"يا إلهى..،ما هذا؟،".

لينهض رجل من التابوت مثل الاندرتيكر وعلى وجهه لفائف من القماش الكتان، كالمومياوات المصرية القديمة ، ليدير له وجهه وعيناه اليسري بازغة فقطف لتتسع عيناه لتتغير ملامحه من الاندهاش إلى خوف ساكن قلبه.

" نعم...،إنه هو تلك حمالات الكتف وضخامة جسده أنه الرجل....".

لم يكمل حديثه مع نفسه ، لينهض الرجل الضخم يخرج فأسًا من التابوت ليقتلك به: ينتفض قافزا من التابوت،: يتحطم التابوت من منتصفه: وما زال محدقا في تلك الفأس كأنه رآها من قبل:يهز رأسه مستفيقا ليتنهد راميًا بصره على موصد الباب، فهو متيقن تمام التيقن أنه الرجل المنتخم الذي يطارده دائما ، والذي انتهت مطاردته بقتله ففكر لوهلة أن يذهب إلى الاسطبل: فهناك سيجد " إنها بندقية...،البندقية".

قالها بصوت مسموع وما زال الرجل ينزع الفأس من مكانه وهو يأخذ ركنًا في الغرفة" ليستغل لحظة اشغاله ليهرع نحو الباب.

يغلقه خلفه بذلك المتراس الحديدي فيغضب الرجل ويركل بفأسه على الباب، فيدوي بصوت قوي،وعندما سمع صوت الطرقات على الباب توقف عن الركض لذعره،ولكنه شعر بالرضا بأنه نال منه، فيكمل ركضه من جانب البيت المرصعة بالأشجار التي بطول قناة ري الأحواض السمكية، يقف متجمدا في مكانه فجأة .،يجد أناسا غرباء مناظرهم توحي بالفظاظة، في وقت ما بعد الفجر وما قبل الشروق ليعطي ذلك اللون الطيف الأزرق في وسط الضباب

المتآكل الخفيف والطين اللزج التي هطلته السماء بالأمطار لتمشطه تلك الرياح الهادئة المصطنعة، وتلك الفتاة التي تقف قبلته وعلى فمها لاصقة بلاستيكية ومرسوم على وجهها باللون الأسود علامة إكس وعلى ما يبدو الجميع كذلك، ساكتون أجسادهم تتمايل برقابهم على جنابهم وبعض الرجال عرأا من الجزء العلوي وبعضهم من الجزء السفلي وعوراتهم مغطاة ، وملابسهم مغطاة والطين قد طرأ على ملابسهم البيضاء كأنهم حائط أبيض وبرد معه إناء وحل ولطخه بشقاته، لم يثيروا فزعه مثل تلك الفتاة التي كانت مختلفة عن البقية فخصلات شعرها الأسود متدلية على وجهها وعيناها بيضاوتان لا يوجد فيهما بؤبؤ العين وفي يديها حاملة بندقية" وشخص منهم كان واقفًا بجوارها ينظر له وينظر لها ويضحك ساخرا منه ولكنه يضحك في صمت بدون إصدار صوت يذكر وتموجات تجاعيد وجهه البشعة أثارت اشمئزازه، تطلق النار عليه فجأة، لتخترق الرصاصة رأسه فتتلطخ الشجرة بدمائه ليسقط متعامدا في بركة قناة الري.

يرتعد للخلف قائلا:

" ما هذا الجنون؟.".

يستسلم بعد رؤية هذا المشهد ليضع يده خلف رأسه:، يجثو على ركبتيه وشفتاه ترتعشان ، يدفن رأسه في الأرض لم يفكر بالهروب شعر بالعجز ، يتقدمون نحوه ليمون بجانبه كأن شيء لم يكن يشعر بقربهم .،ترتعش زخمات صدره تحت وطأة رأسه، وبعد تنهيدات خائفة، يقول بصوت تدرج من منخفض لعال ،

" أرجوكم لا تقتلوني أرجوكم.".

يقتنع أن أصوات أقدامهم قد اختفت ينظر مرة واحدة أمامه فلم يجد لهم أثرًا حتى خلفه، فلم يصدق ما حدث.

" لا وقت للتصديق، فالوقت ليس في صالحي أريد أن أعرف ما الذي يحدث لي ولماذا يحاولون قتلي؟، لن أجد إجابة إن بقيت مكاني هكذا."

فلم يفكر بمعاودة النظر خلفه مرة ثانية فهو يعرف أن ذلك لن يجدي نفعا، وأن النظر إلى الأمام يغير النتائج بغض النظر عن أسبابها .،يركض مندفعًا يتفقد الطين اللزج توازنه يرتطم بالأرض مرة أخرى وبدأ بالعدول وهو يقاوم ولعدة أمتار انعطف يسارا ليأخذ الجسر إلى آخره حيث مكان الاسطبل الخشبي،ومع الضباب المترامي على مرأى بصره تصبح الرؤية ضعيفة وهو يمد يديه أمامه خشية بالاصطدام بأحد،ليرى فجأة زوجته ذات العباءة البيضاء وهالات عيناها السوداء والحزن على وجهها فلوح لها بفرح حزين لينادي عليها وهو متلهف تقرب منها " (أميرة)..."، يغمرها الضباب عندما اقترب تختفي وهو يلوح بيده فلا يجدها فشعر بغصة في قلبه، تنتابه علامات الاستفهام،وبطرف عينه يجد خيالا لشيء غريبء ينظر يساره ليجد رجل الفزاعة، يتدلى نحوه، يغمره الضباب هو الآخر ليقف برهة شاعرا بسخرية القدر منه، فهؤلاء

يمثلون له جانب المشرق الحزين في أحلامه،" لماذا هم ينفرون مني؟*: قال في نفسه والغرابة على وجهه.

فظل بالتقدم وهو يلتفت حوله، ولا يعرف ما الذي ترمي له مرميات القصة:، وما الذي يهدف له هذا الكابوس، تظهر زوجته مرة أخرى وهي عابرة أمامه، وتختفي وبأعلى صوته " انتظري."،و(المالكي) المتمثل في رجل الفزاعة، فيندفع نحوه متوسلا إليه بالانتظار ليرد عليه بملامح متجمدة:

" لا تجعلهم يوقفوك..،استمر.".

يختفي في الضباب،يصرخ حائرا بعلو صوته قائلا:

"من هؤلاء؟"

شعر بالاحباط يتملكه يسقط على منكبيه، لاعنا الأرض بضربات يده العارية: ينظر بيأس حوله ليجد نفسه الوحيد في ذلك الضباب العاتي: يري خيالا كبيرا أمامه، يقول في خاطره:

" إنه الاسطبل.".

فسار مطولا ليجد ذلك الاسطبل المكسو ببستان الغطاء الأخضر المتدلي عليه كخصلات الشعر الناعم وقطرات المطر تنسال من بين أوراقه وكومة مربعات القش المبتلة وعربة الجر رأى الذكرى رأى أبيه فشعر بالطمأنينه" ليلج داخله" ترتمي عينه على تلك البندقية المعلقة على الحائط وخيوط العنكبوت تكسوها ، دلالة على عدم استخدامها في حياته، يثير انتباهه ذلك الشخص المرموق المرتدي بزة سوداء باهظة الثمن وفي يده كأس من النبيذ جالس على كرسي وأمامه منضدة خشبية، فاتسعت عيناه زهوا يسأله وهو يتحسس بندقيته:

" من أنت أيها الرجل؟".

فلم يجب نداءه فعاد عليه السؤال مرة أخرى بعصبية شديدة، فاستدار له ووجهه شبه ممزق ويقول له وهو مرتسم عليه ابتسامة:

" ما رأيك أن نسدل الستار على أقنعتنا وتناول معي كأسًا من النبيذ لنرى وجوهنا الحقيقية.".

ينزع جلد وجهه البشري يظهر تحته ذلك الوجه، وجه الذئب الرمادي وعليه بقع سوداء ..ينتفض الآخر مذعورا متسمرا في الحائط، ينهض الذئب البشري من مجلسه ملتقطًا فأسًا في يده يقول بملمح من السخرية:

" لماذا أنت خائف؟؟، أنت هنا ضيفي كنت أريد ضيافتك، ولكنك رفضت،لماذا لا تريد الحقيقة؟" هل أنت تشبههم؟.".

يرتجف قلبه ٠ وفي موقف خوف صرع بيده يمدها إلى أعلى الرف ينزل صندوقا معدنيًا صغيرًا يخرج منه عدة رصاصات ويطعمها بندقيته والرجل يقترب وأعصابه قد اهترأت من الخوف،يشبعها ويصوبها نحوه بسرعة:، يحذره، قائلا:

" ابتعد وإلا سأقتلك ".

فلم ينصاع لكلامه: فتذكر مقولة الفزاعة " لا تدعهم يوقفونك": والفأس تجر على الأرض لم تعد المسافة كبيرة ..،يتسنى له رفعها ..،يفرغ (عمار) الأعيرة النارية في صدره،يسقط الاخر جثة هامدة بلا حراك،تتسع حدقة عينيه ..،تفلت البندقية من يده:

يبتلع ريقه ويضع يده على رأسه لا يعرف إن كان ندما أم فرحة النجاة من الموت .،وتعاود مقولة رجل الفزاعة في أسماعه مرة أخرى ينظر إلى بندقيته يجلبها وأخذ عدة رصاصات ومن ثم يخرج من الاسطبل مصورا قتيلا خلفه وفي عينيه العزم على البقاء ومعرفة مالا يعرفه،شيء بداخله يقول له: أين الحقيقة؟ أين نهاية المطاف؟ أين البداية؟ تساؤلات طرحها على نفسه وشغوفه الذي قد بدا يجعله يشعر بأنه يمتطي جوادا لن يسقط من عليه حتى ينتهي السباق: وفجأة يجد رجلًا عجوزًا جسده أشبه بالضفدع أحدب ، رأسه متصلة بجسده قصير القامة ملابسه وقبعته تشبه الموسيقيين القدماء،شفتاه ترتجفان يمتلك سنة فضية في فكه السفلي ورغم ذلك يبتسم ابتسامة غريبة وفي يده ساعة رملية يحملها باعتزاز ليرفع (عمار) بندقيته صوبه ليمضي نحوه متحدثًا إليه:

" من أنت؟: وماذا تفعل هنا.".

والعجوز لا يتفوه بحرف غير ابتسامته البلهاء ليتراجع بظهره للوراء حتى تعثر بسياج العربة الجر الخشبية، مطهطقا ليتسند على عجلة العربة حتى دق على مسامعه صوت يدنو من أمامه مخترقًا الضباب رجل قادم من العصر الحجري من نوع تندر رأسه مدججة كالمطرقة وفي يده اليمني جذع شجرة متحجر ليجره نحوه وهو يصرخ غاضبا ليشعر باهتزاز الارض تحت قدمه،:يذهل من منظره المرعب،وبإصبع سبابته المرتجفة يطلق الأعيرة النارية تجاهه، ولكن الضباب الأبيض لا يظهر شيئا وأعصابه المتفلتة يعبئ بندقيته ذخيرة،: ليطلق عشوائيا تجاه الضباب وحشرجة صراخه المتقطع:

" ماذا تريدون مني؟: سأقتلكم جميعا.".

يمسح شفتيه بذقنه المسال عليها بعضًا من لعابه، يلتفت حوله بجنون فاقدا صوابه مستعدا لأي هجمة مفاجئة ينظر بجانبه فلا يجد الرجل العجوز ومع أعصابه المتهتكة" يغدو المكان هادئا ومع تآكل الضباب أصبحت رؤية الارض واضحة تقريبا فبدأ يتقدم إلى الأمام والتوتر والقلق يسيلان في عروقه، ملتفت يمينه ويساره وخلفه وخطاه مهزوزة كالمترقب شرعويص يحول بيته غضة طرف بصر أو غفوة أو رمشة وحدقة عيناه متسعة: لينهال عليه الضباب مشكل زوبعة صغيرة الشكل على هيئة إعصار وهو في داخلها تهوي بندقيته من يده أصبح

يرى وجوها بشكل صاخب أحس انها محض هلاوس بصرية ولكن الوجوه تتراءى أمامه بعضهم مرتسم على وجوههم نظرات الخيبة والحزن مثل زوجته السابقة (أميرة) و(المالكي) وأخرون يبتسمو ن ابتسامة شريرة وساخرة ومخيفة مثل الدكتور (ثروت) و(سمير) وزوجته الحالية (سارة) والدكتور (عوض) وغيرها من الوجوه المتعددة، ينهال على الأرض يخفي وجهه يئن من الخوف والرعب الذي يحيطه، وفجأة بدأت النوعية بالتلاشي شيئا فشيئا ليصبح الوضع على ما قبله ظل منكمشا على نفسه حتى سمع صوت الهدوء يحوم حوله،: فكل شيء له صوت إلا العذاب النفسي صوته مذبوحا بالداخل، ليس له أي اهتزازات صوتية ولكن في الداخل يعم الضجيج والصراخ المدوي والفوضي العارمة، نظر حوله لم يجد لما حدث أي تفسير عيناه شاخصتان متكئا على الوحل ليفكر لوهلة.

« لابد أن كل هذه الأحداث تحدث بسبب الرجل الضخم حتى يقتلني، ليحول بيني وبين معرفة الحقيقة التي أشار إليها رجل الفزاعة» سأقتل ذلك المسخ،ولكن أي حقيقة المخفية عني، لا أعرف،»، قال في نفسه.

يتنهد ناهضا حاملا البندقية عائدا نحو البيت مرة أخرى بقدمين عاجلة معبئها بالذخيرة مشجعا روحه المعنوية:، قائلا « سأقتله..،سأقتلك بلا هوادة أيها الأحمق ».

كان لا يعرف شيئا عما يحدث في مزرعته معه، ولكن جال في خاطره شيء من الإحساس أن هناك مؤامرة ضده وأن الرجل الضخم خيط من خيوط تلك المؤامرة والقضاء عليه سيجعله يتجول في المنطقة حتى يعرف خبايا تلك الظواهر الغريبة التي تحدث معه وما أن لبث مارا بجانب مواتير الري التي تدفق المياه من قناة الري الرئيسية إلى الأحواض السمكية، وهي تعمل بمحركات كهربائية، ليري شحنات كهربائية تلتف حول مدفع المياه، ليجعله حذر من عدم ملامسة المياة في أي ظرف كان ومع انعطافه يمينا مع الأشجار،يبطئ من خطواته مصوبا بندقيته أمامه، وفجأة يلمح الرجل الضخم يلوح بفأسه فوق سطح البيت ليقذفها تجاه رأسه بسرعة ضارية مخترقة الضباب فلم يستطع إطلاق النار لتفادي الضربة باختبائه خلف الشجرة القاطنة على قناة ري الأحواض ، يتذكر تلك الشحنات الكهربائية ليتشبث بقوة في الشجرة لتنزلق يده ولكن جانب قميصه يمنعه من السقوط لأنه شبك بالفأس لتوقفه في الاندفاع إلى المياه ليرتطم معانقا الشجرة،ليرى عينه البارزة من اللفافة وفيها الشر،ليشعر بتنميل ودوخة في رأسه، يتدلى الرجل الضخم من على السطح متجها نحوه، فيري (عمار) انعكاس صورته في المياه،وهو يلتقط أنفاسه: ريهس اكاك اب موسي تر ل اعم رع ذا تالتش في لبوا واكك اريت ديق متنهدا فخطرت في باله فكرة فلتف نحو قميصه المشبوك بالفأس ليعدل بندقيته فوق خشبة الفأس مصوبه نحوه، ليطلق النار عليه مقتلعا كتفه الأيسر،ليصدر صرخة وجع متألمة ليسقط على الارض ليزحف مستديرا نحو باب البيت، ، لينزع قميصه بقوة ينفلت ليسقط على الارض وهو ينزل في الوحل يعبئ ذخيرته تفلت ويعبئ غيرها تنتابه حالة فرح مشوشة:، يقول:

يركض نحو باب البيت متعثرا متزحلقا مشوشا مهلوسا فهذه فرصته الأخيرة للقضاء عليه:

لتعطي السماء لونا غامقا بغيومها المتلبدة والرياح الهاوية: ليقف أمام الباب مبتعدا عنه وهو يرى الرجل الضخم يزحف أمامه عابرا من الباب الداخلي المؤدي إلى باحة البيت الداخلية الموازي للباب الرئيسي وما زالت فوهة بندقيته قادره على تدميره وسبابة يده المرتجفة" ليطلق (عمار)النار بجنون على ظهر الرجل الضخم: لتطلق رصاصة عشوائية على براميل معبأة بالكيروسين داخل الباحة لتعلن انفجارا مدويا ،وتلتهم البيت كله بنيرانه: يسقط على الارض مرتعدا مذهولا من هول المنظر وعينيه تحمل وميض النار وشرارة النار التي تعلو في الافق وعيناه الشاخصتان في البيت بنوافذه الخشبية المتهالكة بنيرانها والجدران والذكريات التي طارت كما يطير الدخان.

" البيت الذي بنيناه أنا وأبي وأمي طوبة..،طوبة يحترق أمامي كالهشيم في النار بسبب جنوني وخوفي المفرط بسبب غبائي ، أحرقت كل شيء أنا أسف.":عاتب نفسه في خاطره تمطر السماء لتخفف من حدة النيران ولهيبها المتصاعد،وهو مازال متصلبا مكانه محدقا بكلتا عينيه غير مصدق ما يحدث أمامه، ومع خمود النيران المتصاعدة وصعود الادخنة التي أخفت فرحة الانتقام من الرجل الضخم، ليشعر بالنكسة في نفسه وتوقف الأمطار الغزيرة وخصلات شعره المنسالة على جبينه وفمه الشبه مفتوح وعيناه المتسمرة في الادخنة الصاعدة،تتفرق الغيوم لتبزغ منها الشمس المحمرة:وفجأة يظهر فريقين من الناس على يمين ويسار البيت المحترق لتسقط بندقيته من هيبة تلك الحشود المخيفة على يمين البيت نفس الأناس الذين رآهم من ذي قبل أما على اليسار أشخاص غرباء الأطوار جميعهم على نفس الشكلية المخيفة تجمعهم نفس الصفات الإبر الوخزة المندسة في وجوههم وضخامة أجسادهم ومطارقهم الثقيلة التي يحلونها بأيديهم وكلتا الأعين تنظر إليه نظرات ثاقبة تحمل في طياتها الشر الدفين، لم يفهم لم يستوعب،فرجع عدة خطوات يتجهوا نحوه

*****

عدة خطوات ،ليستدير لاذ بالفرار هاربا من بطشهم متعثرا متزحلقا مقاوما لتلك الظروف الغامضة مرعوبا غير قادر على ابتلاع ريقه فيركض نحوه بسرعة متصادمين ببعض على اول نقطة طريق الجسر كتلك الجيوش القديمة الملحمة في ساحة واحدة

ينظر وراءه خفية بين الحين والآخر ليرعب أكثر بسبب وجوههم المرعبة:، ليلقي ببصره على امتداده ليجد مثلهم أمامه" فوجد نفسه محاصرا من خلفه وامامه يصرخون متسولين طالبين النجدة يلهثون والماء تسال مع لعاب فمهم: فأصبح ذلك الفأر المحاصر داخل أنبوب صرف صحي والقطط تحاصره من كلا الطرفين: أزيل غطاء الضباب تماما لتصبح الرؤية واضحة:، وحدقة عينيه متسعتين واليأس يعشش في قلبه:، ولكن حينما رأى جسرا على يمينه في منتصف الطريق ألهمه الصبر والقوة في أن واحد، يفصل بينه عدة مترات والوحش تسرع بضراوة قاربوا على الالتقاء في نقطة واحدة وهو يركض بينهم يلفظ أنفاسه بسرعة والألم والخوف ينتابانه والتقرب مازال دائما في التصادم،هل سيدهس تحت أقدامهم التي تشبه القطار المسرع؟.، فينعطف أخيرا داخل جسر المنتصف الذي يفصل بين حوضين مياه سمك وانفاسه قد قطعت

غير قادر على مزاولة الركض وهو يرجو من الله ان يتوقفوا، ينظر خلفه ليصعق مما يراه، فيجدهم متصادمين ببعضهم البعض كأنه التحام مميت وبعدها يندثروا متلاشين في الهواء مثل التراب الذي تذروه الرياح،ليفقد توازنه من الارتجاف ليسقط على الأرض مستندا على ساعديه ملتقطا أنفاسه يعيد ترتيب قرنية عينيه التي لا تصدق ما رأته للتو.

" هل هذا خيال واقعي؟، أم أن هذا نتاج وعكة ذهانية في عقلي، لا أصدق."، قال في نفسه مندهشا.

يستفيق الدكتور (ثروت) من إثر الضربة التي تلقاها من إحدى المرضي،ليعتدل على ظهره ممسكا برأسه من شدة الألم، ينظر إلى ساعته ليجدها الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ينتفض فجأة ناظرا حوله:، فلم يجد أحدا يستشيط غضبا لاعنا الأرض بقبضة يده ليجد ورقة الكوتشينة بجانبه: فيلتقطها بيده مطبقا عليها متوعدا صاحبها قائلا:

" ابن العاهرة: كاد أن يقتلني سأجعل منه عبرة لغيره".

ليتفقد المكان" وعيناه تحملان شرارة نار الغضب،ومن ثم يتنهد ليصفع حاملة الطعام بيده ليهم راكضا إلى الأعلى ليفتح باب مكتبه العلوي فيجد شخصا جالسا باسترخاء على الكرسي ممدا قدماه على حافة النافذة العريضة، يقطم تفاحة مرتديا شورتا باهت اللون، وشعره محلوق بعشوائية لترتسم ابتسامة صفراء عريضة على شدقيه ليتقدم عدة خطوات بطيئة وهو متوخي الحذر ليمد يده نحوه مشيرا له بسبابة إصبعه: قائلا:

" أحمد..،لماذا فعلت هكذا يا صغيري؟."

ينتفض الاخر من مجلسه منزعجا، يرد عليه بتلقائية:

" لا تقل لي (أحمد) أنا اسمي (براوني)."

" حسنا،لماذا فعلت هذا يا (براوني)؟" هكذا تزعج عمك المسكين..،يبعد وجهه عنه، يتنهد قائلا..،لا عليك يا صغيري، أين

البقية؟،أين اخوتك؟،"

فيرد عليه بغضب حزين والدموع في عينيه:

" مللت منك لأنك شخص لعين،ولن أدلك على مكان اخوتي أيها البغيض الملعون ".

يتركه ويصعد على النافذة يتسلق على أنبوب مؤدٍ إلى السطح،فيصرخ الدكتور مناديا عليه:

" ماذا تفعل أيها المجنون؟،"

مما جعله يدلف على الأرض فاتحا ذلك الباب المتربع على الأرض ليخرج منه حقيبة سوداءء ليفرغها على الارض بسرعة ، تظهر بعض المعدات كحبال وذخيرة ومقص ومسدس وحقن وعقارات وسكاكين فيربطهم حول خصره متخذا بعض الأدوات المهمة مدلفها بحزام ليعبئ المسدس بذخيرة ووجهه محمر يتدلى هو الاخر عبر النافذة ليصعد هو الاخر عبر الأنبوب المؤدي إلى السطح بعدة أمتار قليلة" ليصعد إلى حافة السطح وأنفاسه متقطعة،: ليجد (براوني) واقفا على حافة السطح من الجهة الأخرى،باسطا ذراعيه بامتداد على جانبيه سطح بلا أسوار وبعض الفطريات التي نمت من وسط تصدع الجدران مغمض عينيه بإتجاه القمر المنير بدرا، يستنتشق بعض الهواء النقي يستنتشق هواء الحرية، لا يقدر أن يصف سعادته بتلك اللحظة، لحظة استتشاق روح الحرية وفك القيود وإطلاق العنان لخياله وسط الطبيعة الحرة حيث لا يوجد مرضي لا يوجد الدكتور ثروت وامثاله لا يوجد شيء غير الهواء الخصب الذي يساعد على الراحة النفسية ولكن الفرحة التي على وجهه تنتهي عندما صوب الدكتور سلاحه تجاهه محذرا له، أن يمتثل لأوامره وساخرا مما يفعله، ليقول بخباثة:

براوني الصغير استمع إلى جيدا ان لم تمتثل لأوامري وعدت إلى المكان الذي جئت منه سأصورك قتيلا.....هيا فتح عينيه ولم يستمع لما يقوله ولم يرمش له رمش عين ولا احس بالخوف كل ما يشعر به ان القمر مكتملا امامه يضئ الظلمات والهواء الطليق يتصدع في صدره المختنق مستشعرا تلك الأشجار والنخيل الذي تغني بأوراقه والصحراء التي تاهت الرياح فيها مستمتعا بتلك الطبيعة التى لا مثيل لها في الوجود يصرخ الاخر بصوت عالٍ قائلا له رسالته الآخيرة:

براوني لا تظن نفسك أيها المسكين الاحمق انك ستنال حريتك هنا امثالك يا عزيزي أماكنهم ليست في القمة بل في القاع ، يطلق رصاصة عليه لتخترق مؤخرة رأسه لتثقب الجهة الأخرى لتخر الدماء من على جبينه وبسمة الحرية على وجهه ليسقط إلى ما حيث قال إلى القاع جثة هامدة على رمال الأرض مغطاة في دمه، لم يأخذ شيئا معه إلا هواء نقيا مطلي بأخر أنقاس الحرية ممزوجة برصاصة غادرة، ومن ثم يقف على حافة السطح ناظرا حيث مكان الجثة: ليقول ساخرا شافي نار غليله:

" من كنت تظن نفسك أيها الابله أحد أبطال الهيرو، الذين ينتصرون على الشر الأسود..،هيهه..،حقا أحمق، الدور على إخوتك،هل سيلقون المصير نفسه ام سيرجعون إلى صوابهم".

مازال (عمار) راقد على الأرض مستندا على ساعديه يلتقط أنفاسه التي قطعت من أثر المجهود الذي بذله والرعب الذي رآه وهو يتصبب عرقا وفجأة يسمع صوت خرير ماء ليري مياه الحوض تأخذ شكل دوامة لتبتلع المياه بسرعة شديدة لتضمحل المياه وتتصحر الأرض ظلت عيناه متسعة فالواقع منطقي لا يهزأ بأحد أما هذا فلم يجده له تفسير": ،: فيسمع صوت كركرة شيشة من على جانبه، ليجد العم (عقاب) ينفث من تيلة المعسل المحترق ولا تنتابه أي علامات اندهاش فيعقد الاخر حاجبيه مندهشا من رؤيته جائبه دون سابق إنذار، ليقول له وهو ممسك بمعصميه:

« عم (عقاب)..،ماذا تفعل هنا؟: لا يهم الحمد الله أني وجدتك،فأنا لا أفهم ما الذي حدث هنا، كل الأحداث هنا مستعصية على أن أدركها.»

فأجابه وهو غير ملتفت له منفث الدخان في الهواء تحت أشعة الشمس الحارقة:

« أتري هؤلاء الأشخاص الذين هم بالأسفل».

فينظر بالأسفل ليتفاجأ بأشخاص عاديون وبعضهم غريبي الأطوار متراصين خلف بعضهم في طوابير على أرض الحوض المتصحر متوجهين داخل بوابة خشبية قديمة متربعة على حافة الجرف،ينظر إليها بعدم استيعاب مبهمة عينيه، ليرد عليه وهويتصبب عرقا مبتلعا ريقه الذي جف متأتئا بكلماته:

« امممم...،نعم أراهم بأم عيني التي سيأكلها الدود، وإلى أين هم متوجهون، وما تلك البوابة الغريبة.».

يرد عليه بثقة عمياء ، قائلا:

« انهم متوجهون إلى» قاعة اللاموتي إلى ماضيهم حيث ما فاتهم من احداث، ليزيلوا غشاء الستار عن أعينهم ليعرفوا الحقيقة المجردة من الأكاذيب،،حيث الداخل مفقود والخارج مولود،»

ومن ثم يجذبه من معصمه بقوة، ليلقيه حتفا لينزلق على الجرف ليتدحرج كالكرة ساقطا على الأرض المتصحرة،: صارخا من ألم السقوط، ليتوقف عن أنين الوجع برهة حينما رأى رجل الفزاعة أمامه ووجهه عابساء ليقول له بملامح متجمدة:

« توقف عن الأنين واغدو إلى تلك البوابة، حيث غير الأموات الحالمين داخل القاعة يروون ما فاتهم من أحداث غامضة:، هيا انهض فلا شيء هنا يستدعي الانتظار »

يرد عليه والإرهاق عليه:

« حتى انت تقول نفس الكلام: حقا سحقا لكم».

يتركه ويتجه إلى داخل البوابة بدون أن يبدي له كلمة» و(عمار) يزحف وراءه ويترجاه بأن ينتظر ليتوقف، متيقنا أن ما سمعه ليس بمحض دعابة» وأن احساسه لم يخنه بأن هناك شيء في انتظاره لمعرفته، وأن هؤلاء الأشخاص المرعبين مسخرين لإتباعه إلى هنا وان الخوف هو الدافع لحماية نفسه والبقاء على قيد الحياة من أجل المجئ إلى هنا، وإذ لم يترجل بالدخول فسيفوته ذلك الشيء الغامض إلى الابد ليلقي نظرة إلى حيث ما يجلس العم عقاب فلم يجده مكانه فاستنتج ان ما قاله صحيحا وبقدمان غيرمتحاملان على الارض الجافة وحلقه الجاف وقلبه الذي لم يتوقف عن النبض بصورة غير طبيعية وعيناه الشاخصتان صوب البوابة يمضي

نحوها مظفر بيده على قلبه مانعا خوفه الذي هو أسيره متمتما بكلمات استعاذة راجيا من الله بأن يقف جنبه وخياله يتربص به بأنه سيقابل المجهول الذي يخشاه الجميع الذي لم يبعثر ويعثر فيه ويجول بخطى ثابتة محلقا فيه بجناحين لإحدى طيور الأساطير القديمة، جنون الارتياب ينتاب مسامعه عند سماع تلك الصيحات: لم يكن قادرا على منع قدميه من التوقف كأنها مكبلة بشيء ما ليبتلع ريقه، ليبتلعه الظلام الدامس، ومن ثم يجد العالم الداخلي عنوانه جنون في الجحيم يدخل قاعة طويلة وكبيرة عرضها عشرون مترا وطولها ليس له نهاية وارتفاعها طويل يحد سقفها كشيء يشبه لوحة لسماء بداخلها بشر عرأبا يصرخون وعلى الأرض لا يظهر إلا جثث آدميين وجثث عظام ملتفه حول عنقها حبال شنق معلقة على جانب الجدران وتحت كل جثة معلقة أبواب غرف كبيرة على يمين ويسار القاعة التي مستند على جدرانها كثرة من المتسولين يظهر عليهم الشيب والعجز والفقر والمرض وملابس مهترئة ممزقة وشوارب وذقون بيضاء وتجاعيد وجوههم التي طبع عليها الزمان، ما بين متكئ يلعب الشطرنج مع غيره ومن يشرب النبيذ بفظاظة ومنفث الدخان وبعض الأطفال الذين يلعبون البلي وبعض النساء القبيحات التي تبحث عن الجنس مقابل المال والثعابين التي تخرج من شقوق الجدران المتصدعة والجرذان التي تخرج من جحورها وتتدلي من على كتف أحد الرجال وبرك صغيرة وجثث لجيف حيوانات تأكلها الديدان والطيور الجارحة وجثث لأدميين يأكلهم أدميين ورؤوس ما زالت حية معلقة على الجدران محنطة وبعض المرضى النفسيين المصابون بهلاوس يبدو عليهم الرعب والخوف والارتجاف ومن يقول منهم " لقد رأيت الشيطان..،لقد رأيت الشيطان."..،ويتركون تحركات غريبة من يضحك بجنون ومن وجهه مكشر عابس يلعن الارض بمن عليها، وعيناه متسعتان وفاه مفتوح والغرابة عليه، يتذكر قول العم (عقاب) " إن الداخل مفقود والخارج مولود"، ليفيق نفسه متنهدا واتته فكرة الهروب من تلك قاعة الجحيم المنافية للمنطق،يستدير ليجد مسامع البوابة تغلق في وجهه، لتتسع عيناه ويجرح أنه لا مفر من الهروب من قدره،ليسمع صوت ترددات صوتية ترج المكان فيجتثوا على الأرض سادين أذنهم من شدة ألم الصوت، ينظر من حوله من أين يخرج ذلك الصوت الذي كاد ان يفجر طبلتا أذنه، ليجد فوقه عظام بقر مدببة على الحائط وتخرج منها تلك الأصوات فيتوقف ذلك الصوت الذي يشبه الترانيم،: ليري من بعيد مسرح يخرج من باطن الارض وعظام أدميين تجلس على كراسي مرصوصة وأمامهم معزوفات موسيقية، ليظهر شخص واقف أمامهم وفي يده عصا أوركسترا، وأصوات الموسيقي تخرج من عظام البقر المعلقة والمايسترو منسجم في أداء عمله يرتل ترانيم الموسيقى الصاخبة، تخرج عبارات غير موصولة ببعضها والجميع متأذ ، يهرول ذلك العجوز قائلا: " الجحيم فارغ وكل المسوخ هنا"،ليسقط على الارض لتخرج من فمه ثعابين وعبارات يعزف عليها المايسترو وطبول الموسيقى

" ساغير مصير العالم من الأسوأ إلى الألعن.....،صمت.....،ساغمس ابتكاري في عقولهم كالسرطان المميت.....،الشفق الأحمر ووتر الليل الأسود.....،كل شيء على حقيقته.....،سأجعل رجال الساسة الحمقي يجنون مكاسب على دماء جلدات الحمير.... شعوبهم.....،سأقلب الطاولة.....،سراب الماء في الصحراء القاحلة.....،صيف تلموز وفي زهور الربيع المتفتحة والشتاء البائس.....،والمايسترو الانيق يعزف في صمت والإصرار على

عصاه.....،سأقضي على بذرة الخير وسأجعل الشر سيد هذا العالم القبيح.....،وسأركل مؤخرة الكون لأقذف به في دوامة سوداوية في رحلة لانهائية من الشقاء.....،لأمسك بفرشتي الناعمة لأختم نهايتكم باللون الرمادي الأسود ".

تنتهي الموسيقى الصاخبة ويقف الجميع متنهدين والذهول على أعينهم.

" كانت معكم إحدى معزوفات وصايا الشيطان التائب يا سادة...،استمتعوا بالحفل ".

يعود كل شيء إلى طبيعته، كانت حربا نفسية ضارية تدور في مخيلة عقله، حربا مع واقعه الذي يعيشه الآن: ولن يتغلب عليه مادام واقفا مكانه ساكنا بدون حراك كان لابد من التغذي على خوفه يعرف صيغة الحقيقة الذي لا يعرف مفاداها ليتحرك من مكانه، ليسأل أحد المتدهورين نفسيا ٠

" أين نحن الآن؟" ولم كل شيء غريب عن عالمنا الذي في الخارج".

لم يجبه بعد نظرات حادة وانشغل باللعب في يده كأنه يريد قطعها، شعر باليأس وقرر سؤال ذلك العجوز القابع في بركة مياه عفنة متسخة مليئة بالذباب والفئران، ليثر إشمنزازه والآخر يرتشف من نبيذه غير مبإلى لما يحدث،وعندما اقترب منه في توجس عرض عليه ارتشاف بعض،من نبيذه، وعندما رفض أعطي له ظهره رافض الكلام معه،ليرجع مختنقا من الرائحة ليئظر إليهم بعين ملائمة قائلا بصوت مسموع

" لماذا لا تردون على؟، وماذا تفعلون هنا أيها الحمقي.".

والجميع لا يأبه له كأنه نكرة: محض فراغ: فشعر بالإحباط ولكن جذب انتباهه تلك الأبواب المغلفة التي تشكل غرف متراصة بجانب بغضها فخطرت لها فكرة بآن يفتحها ويكتشف ما بناخلها، * حقا فكر"": قال في نفسه فتوغل،الى تلك الغرفة: أوّل غرّفة على يمينه ليجد لافتة مكتوب عليها بالعربية الجزاروالانجليزية the butcher مما أعلن اندهاشه، ليفتحها ليقف كالصنم فاقد النطق ولكنه يري بالداخل ما لم يتوقعه،رجل إنجليزي يرتدي زي الجزارين القدامى وفي يده ساطورا يقطع به لحوما على المنضدة لم تكن لحوما عادية بل لحوم بشر والدماء تسال على الارض،وهياكل عظمية معلقة على الجدران وشخصا هناك يستمتعون بنزع جلد عن وجه احدهم وذلك الجزار ذوالشارب الشائك يفتك بساطوره بعنق الرجل الممدد على الطاولة ليقشعر بدنه متحسس رقبته ، فذلك المشهد يذكره بالرجل الضخم،ليغلق الباب بسرعة البرق مجثي على ركبته، متقيء في ذلك الدلو ليخرج منه فنران ويحوم حوله ذباب أزرق فبداخله رأس إنسان ليهلع للخلف متعثر ليسقط مستئدا على ساعديه خافق قلبه لتنتابه فيه غصات مؤلمة، ليتنهد تنهيدات غير مستسلمة لينهض والعزم في عينيه: ليفتح الغرفة التي بعدها مكتوب عليها السياسة the politics يجد شخصين ذوي بشرة بيضاء مرتدين بزة سوداء وعلى رؤوسهم قبعات سوداء ويلو مضفي عليهم الرقي ذو ذقون طويلة أشبه بإليهود ذو ملامح حادة كالشياطين الحاقدين جالسان على منضدة يلعبون الشطرنج: مما

أثار انتباهه انها ليست منضدة عادية بل كانت خشبة دائرية ومجموعة من البشر يشبهون العبيد القدامى العرايا ذو بشرة سوداء مجتثين على مناكبهم والحزن والدموع الضصامتة لا تفارفهم وعند تحريك ذلك الشخص قطعة.من رفعة الشطرنج قال له الآخر:

« لماذا ستقتله وأنت ستنهي اللعبة سريعا؟.».

فرد عليه الاخر بابتسامة مصطنعة شريرة:

« وإن لم نقتلهم فما الغرض من لعبتنا.»، يرد عليه الشخص المماثل له:

« الغرض من لعبتنا أشياء أخرى، أن نجعلهم يلتفتون حول أنفسهم كالمجانين لنجعلهم تائهين متشككين في أنفسهم خانفون من مستقبلهم من المجهول: لنزرع فيهم النقص،النقص الاسود فيلبون رغباته كالسرقة والقتل وضياع الأنفس وتدمير الأخلاق» يخافون قوانينهم المنافية لمنطقهم المتوحش، فيقضون على انسانيتهم، ليحرقوا ضعيفهم ويركعوا لطغوتهم،أتريد أن تفوت علينا كل تلك العروض الشيقة: نحن نريد الكوميديا يا صديقي ».

فكر لوهلة أن هؤلاء سبب تعاسة العالم وأن البشر مخطئون في حق أنفسهم وأن الفقراء هم الضحايا المشؤومين البائسين: فلو ترنح وتوقفوا عن الركوع والامتثال لأوامرهم فستنتهي اللعبة.

وبنظرة الشارد يستفيق على صوت أحد الشخصان قائلا له بمقت شديد:

« ألن تكف عن التحدي إلينا أيها الأحمق أغرب عن وجهنا وأغلق ذلك الباب اللعين».

فيغلق الباب فور انتهانه من التحديث إليهم والعجز عن فعل شيء ليستند بظهره على الباب فشعر بلذة الاستكشاف، ليعرف مالا يعرفه للبحث عنه فوجد ذلك الباب مكتوب عليه الجنس) قبل أن يفتحه استوهم في عقله أشياء غريبة وما بين فتحه وتركه، ولكن رغبة الإنسان في إستكشاف ما حوله تفوق رغبته في الطيران في الهواء: ليري هراء ممتثل أمام عينه،رجل عجوز عاري مشعر بفظاظة في كل أجزاء جسده يلتهم ثدي فتاة في مقتبل شبابها بدا عليها الحزن والألم ولكن صمتها يفوق الوصف مشمئزة من ذلك العجوز المقرف الذي يلتهم بدناوة شهوته بشرتها البيضاء كالثلج والجميع في وضعيات مخلة بالآداب: ومن تشعر بالسعادة وتضحك ضحكات هزيلة وتتراقص مع هؤلاء الوحوش ذوات الجثث الضخمة ومن تتلوي كالأفاعي ومن تصرخ من شدة أنين الشهوة، وبركة الدماء تلك المعلقة عليها نساء شابات عرابا مغريات وذلك الرجل يسبح بعكسهن هارب منهن ولكن ذلك الجالس على رف خشبي فوق يقذفه بحجارة فيصيب الرجل ويهدا قليلا ويسبح ثانية ويعاود بقذفه ذلك الرجل الجالس فوق مرتدي وشاح ومعطف أسود مغطي نفسه به، فأشارت له تلك المرأة بأن يقدم لمشاركتهم، فأغلق الباب، شعر بالإعياء من النظر إلى تلك العقول المريضة والاجساد الفانية،« فعندما تتعري الأجساد الفاتنة ويكثر المجون فحينها تقرأ بعض التراتيل على تلك الأخلاق التي

دفنت في تلك القبور وحينها ترجى من الإله بأن لا يصيبك من غضبه أي مكروه".

شعر بالسخرية بالخجل من نفسه، وقرر استكمال الأمر ليقترب من ذلك الباب الذي يليه ليعقد حاجباه غير مستفهم ما يقرأه فهذا الباب مكتوب على لافتته (الأحلام والاستحواذ الروحي) (the dreams and spiritual acquisitions) البحث عن الحقائق والظواهر الغامضة كانت السمة الاولي للإنسان التي تفرقه بين الكائنات الأخرى،فكل ما تحتاجه المعرفة هو دفعة صغيرة من أجل إشباع ذلك الدافع هو التغلب على الخوف الذي هو الحائل بين التجربة والجمود وان تغذيت عليه فسيدفعك إلى التجربة الحقيقية واكتشاف الغامض والمجهول: مقولات قرأها في كتب علم نفس كان لا يؤمن بالتجربة وان كل شيء يأتي بمحض الصدفة وليس بمحض الدافع الذي داخل كل إنسان: ولكن خلاصة المقولات تأتي بمنافعها لإنسان أخر يحتاجها فتنهد وابتلع ريقه وفتح الباب بيدان مرتجفتان ليفاجأ بعالم أغرب من الخيال" حيث في قاعة متوسطة الحجم تؤدي إلى أبواب غرف أخرى وجميع الفتيات هنا تردين تنورات بيضاء وعباءات بيضاء ليجد على يمين الغرفة أحواض مياه غسيل قديمة وامرأة تتقيأ في أحدها وفوقها مرايا غلفت بالجرائد ومقطوعة تلك ومكسورة هذه وذاك الشاب بيده قطعة زجاج مكسور ليمزق بها ذراعه ويمسك بفرشاة ليرسم بها وجوها بدمائه وإحداهن ممسكة بخيطً متعثرة بين أصابعها تحاول فكها وإحدي الأبواب مواربة وتبرز من بين أضلع الباب أيادي تستغيث طالبة النجدة بطريقة فانتازيا ومن يأكل الورق ومن يحترق كتابها واضعاه بين منكبيها والكحل الأسود على عينيها ولا تكترث له، ومن تنام على احد تلك الاسرة ونخبة من النساء الشابات التي يظهرن عليهن العياء تفتعلن حركات غريبة كأنها مراسم روحية، وأخريات تتهامسان ومن ترفع تصورتها لتخرج ريح ومن يضع يده على عينه شاعرا بالخوف وهناك بعض من الرجال يلفون لفانف ورقية على وجهه أحدهم،والضمادات على إحداهن،والآلات القديمة التي يعالج بها المرضي النفسيين كتلك الكمامات الحديدية الموضوعة على افواههن: وفي هذه الجهة بعض الشبان من يجلس جلسة القرفصاء ومن يزحف أعينهم بيضاوية ملطخة ببقع سوداء خافتة ودودة الأربعين قدم تخرج من أنفه ومن يلاعب نفسه لعبة الكوتشينة وفي يده ورقة الجوكر مغمي بها عينه اليمني ومن يتلوي وتمدد ذراعه كالوفي، وبشاعة تلك الأجسام المترابطة ببعضها بتعقد متطايرة في الهواء ونجفة كبيرة معلقة في السقف وعليها طيور البوم الرمادية السوداء ويد مثبتة في الحائط ملتقطة تلك النجفة الكبيرة" ومن بين كل هذا التجمع الصاخب الذي يشبه مرستان في حديقة مستشفي المجانين تظهر (أميرة) زوجة (عمار) مرتدية عباءة بيضاء تبكي في صمت ومجري الدموع الأسود الذي عبر خط الكحل الأسود ليمر بصحراء بيضاء بعينيها التائهتين، لتتسع حدقة عيناه غير مصدق ما يراه شعر بالحنين شعر بشعور غريب،هل أركض؟ أم أقف ثابتا حتى تتملي عيني منها حتى لا أقترب منها وتصبح سرابا كعطش أسقته بركة مياه في واحة خضراء في صحراء قاحلة فشبع حتى اختفي ظمأه فقرر الهروب إلى أحضانها معانقها بشوق متحسس خدها بيديه غير مصدق أنها حقيقية ليسألها تلك الأسئلة التقليدية وهي كجبل الثلج وهي لا تجيب ليمسك وجهها ماسحا دمعها بخف كمه وأصابع إبهامه لتظفر بيدها الرقيقة يده وبدون ان تبدي كلمة لتاخذه خلفها كأنها تريد أن تقول له شيء فيوقفها لكي يستفهم منها فلا تجيبه وما زالت مصرة على ما تفعله فينصاع لأمرها لتفتح بابا

يطل على رواق ضيق طويل، ليصلا إلى نهايته لتفتح باب أخر ليقفا على عتبته.

ليشاهدوا ما يحدث بالداخل،تفتح (أميرة) الباب فتجد (سارة) صديقتها وجارتها فتستقبلها وتعانقها بحرارة مجففة يدها من ماء غسيل الملابس متأسفة أن البيت ليس على ما يرام لأنها تقوم بالتنظيف متبادلين الابتسامات،حتى تجلسا على الاريكة لتعزم عليها بمشروب لتتأسف الأخرى وهي تجادلها بأن هذا لا يصح حتى تستأنسها بخجل وتطلب عصيرا التي عرضته عليها وهذا الطفل الذي يلهو على الارض يلعب مع ألعابه،ومن ثم تجلب (أميرة) العصير لتقدمها لها متبادلين الأسئلة التقليدية، وبعدها يصرخ الطفل باكيا لتعثر إصبعه في ألعابه المحاطة حوله فتهرع نحوه لتري ما الذي أصابه من مكروه، ومن ناحية أخرى تفتح(سارة) حقيبتها لتخرج بحذر زجاجة عقار مخدره لتفرع في عصيرها بعض من الحبوب وهي مراقبة الأم وطفلها بمكر شديد، وبعدها تجلس (أميرة) معها معتذرة عن ضجيج طفلها الذي لا يكف عن العبث،لترد عليها بابتسامة مصطنعة: " لا يهمك"، ومن ثم يرتشفان العصير وهي تحد ببصرها لتراقب شرب كفايتها وبعد دقائق معدودة تسألها (أميرة) عن سبب مجيئها فتتعلثم الأخرى في حديثها لتشعر (أميرة) بغصة في بطنها متصببة عرقا ودرجة حرارتها ترتفع، لتدمع عينيها غير قادرة على تحمل الألم لتسقط عند قدم الاريكة و(سارة) تهرول إليها محاولة اكتشاف ما يؤلمها لتصرخ من شدة الألم وبعدها بلحظات يغمي عليها والقلق والتوتر ينتابها لا تعرف ما الذي تفعله، فنظر لكوب العصير فحملته ونظفته في حوض الغسيل، والطفل يبكي عند أمه لتأخذ حقيبتها وتغلق الباب خلفها لم يجد إجابة منطقية لذلك المشهد التراجيدي الذي حدث أمامه،: فعيناه متسعتان وفمه مفتوح وإحداثيات ردود فعله غير قادرة على إبداء شيء مما رأته.

" هذا بيتي، هذه زوجتي! هذا طفلي! وهذه (سارة) لم تكن زوجتي في تلك الحقبة: وما الذي فعلته هذا! أنا لا أفهم ولا أصدق شيئا مما يحدث أيعقل ان تكون تلك الأحداث الخفية التي حدثت بالماضي وتعاد بصيغتها الحقيقية الأولية أمامي"،قال بصوت مسموع والذهول عليه.

" سر تواجدهما معا أن العقار المصنوع جعل من شبكات التواصل الحلمي للعقل الباطني،: تبلورت لكلاهما، لتحدث ثغرة في عالم الحالمين لتستشعر وتستسيغ بعض الاستشعارات لأحداث حدثت في ماضيهم لتضفي مفعولها لتطغي عليهما فإذا كان الشخصان لا يفكران إلا في بعضهما أو تربطهم حادثة مؤثرة حدثت في ماضيهم: فحينها سيتسلل أحدهم إلى حلم أحدهم فيلتقيان ببعضهم وتشبه بما يسمي لغة المراسلات الخفية بين الحالمين وحينها سيكتشفون أحداث في الماضي ان كانت ذو قيمة أم لا ولكن كيف يعرفون ما حدث بالتفصيل؟، هنا تكمن اللعبة، العين تري وتخزن ما رأته فهي قادرة على إرسال آلاف المواقف إلى المخ البشري الذي يمكن أن ينسى بعض أحداثها في الواقع فالعقل بشري رغم كينونة غموضه فهو في الحقيقة شيء مذهل يفوق الخيال والوصف،فملايين الخلايا تحتفظ بكل ثانية مما رأته وتعلمته من تجارب سابقة وخبرات حتى الوصف الدقيق،ولكن الإنسان غير قادر على استرجاعها وبهذا العقار استخلاصها كالسم الذي يستخرج من فم الأفعى وهذا بدوره يستطيع استخلاص ما حدث في الماضي بكل أحداثه بدقة خيالية وهذا ما يسمي بالرجوع إلى الماضيء هناك نقطة وهي الأهم ما إذا كانت تلك الأحداث التي تخص الحالمين لم يروها ولم يكن لهم علاقة بأشخاص

ليس لهم صلة: إذا فالاحداث الماضية مخزنة في صميم عَقَول الحالمين المتأثرين بالعقار وغيز المتأثرين+ فكما قلت لك مسبقا فالحالم المتأثر يستطيع التسلل إلى عقل أحدهم- بعشوائية عقله الباطني والتفتيش فيه حتى يستطيع الوصول إلى ما يبحث عنه، وهذا هو سر الابتكار والاستكشاف المذهل الذي سيغير مجرى العلم الحديث إلى الأبد،"، قالها الدكتور (ثروت) إلى سمير.

ومن ثم تسحبه خلفها وهو غير مستوعب ما يراه لتفتح بابا أخر على أخر الرواق الذي يليه، ها هو الدكتور (ثروت) ومعاونه (سمير) جالسان في السيارة: و(سمير) يعض في أنامل أصابعه بتوتر شديد والدكتور (ثروت) ينفث دخان سيجارته في ملل عابس وجهه، ومن الخلف شخصان قويا البنية يحملون امرأة خارجين من الظلام:" وعلى فمها لصاقة بلاستيكية، ليخرج الدكتور (ثروت) ليقابل الدكتور (عوض) مبادله ابتسامة صفراء والآخر وجهه عابس فيفتح لهما حقيبة السيارة ليضعاها فيها لينحني الدكتور (ثروت) على مساعدته والجميل الذي لن ينساهء ليحدثه الدكتور (عوض) ويداه خلف ظهره، قائلا:

" مبدئيا...،هذا اتفاقك والاتفاق الثاني كما قلت لك بالتوفيق".

فيومئ له الآخر بسرور منحني أمامه: قائلا له:

" شكرا لك على حسن تقديرك،وسأرد لك الجميل في أبهي صوره".

ومن ثم يخرج حقنة مخدرة ليحقنها في رقبتها لتغيب عن الوعي ويقلع بالسيارة" ليختفي كل شيء وتصبح الغرفة فارغة" فيلتف حوله فلا يجد شيئا حتى هيء ليصرخ بجنون فيهرع نحو الباب ناظر إلى الرواق فلا يجد لها أثرء وآثار أقدامه تفتعل صدي يصدي في المكان.

وفي أثناء ذلك بجوار المبني القديم بين ضحايا الأشجار في ظلمة الليل، تحملا امرأتان امرأة يبدو أنها مصابة وهو يحاولون الهرب من قبو ذلك المبني المتعفن وعلى وجوههم الذعر وأعينهم تائهة لا يعرفون من أين يسلكون دربا يخرجهم من ذلك الجحيم:

حتى يسمعون أصوات ركض قادمة من خلفهن مرددا على لسانه بعض كلمات الوعيد،وفي الجهة الأخرى تحت النخلة تفرك (أميرة) عينيها فينظران إليها ليهرعون إليها ليهزونها بأيديهم لكي تستفيق وتنتبه لهم، لتنظر إلى وجوههم فتجذع من أشكالهم الذي طغي عليها المرض النفسي المخيف،فيؤمؤ لها ويشيرون لها كالصم والبكم بأن هناك خطرا محدق بهم وأن عليها الهروب فترجع للخلف متكئة على ساعديها خائفة منهم غير مستوعبة ما يريدون إخبارها به، ليقترب أخيرا ذلك الشخص فيلمحونه فيفترقوا مختبئون خلف أشجار النخيل وتلك الفتاة التي تحاول جر صديقتها المصابة لتخفيها بين ثنايا الأعشاب،فتهمت أخيرا ما حاولوا إيصالها لها فهرولت بالركوض ليلمحهم الدكتور (ثروت) وهو يتنهد متصببا عرقا ليثر ذلك جنونه، كالطفل الذي سلبت منه ألعابه وفر بها بقية الأطفال المتمردين شمالا وجنوبا ليلتقط حجرا من الأرض ليلقيه على أحدهم لتصيب ذراع (أميرة) فتصرخ متألمة لتخرج لتتضح له ليتقدم

عدة خطوات ليخرج سلاحه، ليطلق النئار عليها لتخترق ظهرها منبثقة من صدرها لتهقوي على الارض مجتثة على دمائهاء فيدنو بقربها متفخصهاء ليجدها قد فارقت الحياة: ليزيل الرمال على وجههها ليتأكد انها لتكون بؤرة عينيه محدقة" ليلقي المسدس على الارض واضعا يده على رأسه في خيبة أمل،حزينا على ما فعله نادبا حظه،بغضب مقيت، قائلا:

" لقد قتلت الشخص الخطأ يا أولاد الكلب".

ليظفر بمسدسه، متوعدا بغضب مدمي على جبينه راكضا متعثرا في الرمال.

المتسارعة" لم يعرف ان يفسر ذلك الشعور ولكن شيئا انتزع من قلبه، أحس بناقوس الرعب يتدفق في عروقه،: ودموعه التي تتسرب من وعاء مثقوب،لم يكن له أدني فكرة عن تفسير ما حدث فأدرك (عمار) في تلك اللحظة ان ما حدث لم يكن مجرد هلاوس بصرية او ما شابه، فهناك شيء حدث بالفعل وشيء سيحدث بإنتظاره، ولكن ما هو لا يعرفه، أدرك أنها حرب دارت في واقعه المبهم،وعليه إتباع خطي سير إحساسه ليكمل تلك الحرب المنذرة بالشؤم، لم يدرك أنه يحلم فمن منا يدرك في الحلم أنه يحلم،فالحرب دائرة حتى يفيق عقله الباطني من اللاوعي ولكنه يفكر في سر إختفاء زوجته ٠ فإنه لم يعرف أنها قتلت وأن هذه القاعة تحمل اللاموتي وليس الموتي.

يحمل الدكتور (ثروت) بعض من أدوات الحفر وحقيبة سوداء كبيرة، متدلي على السلالم في عجلة، ليتوقف عند مدخل المبني فجأة متذكر شيء متمني ان لا يحدث، ليقول بصوت ضيق وزجر:

" أتمني أن لا يحدث الذي في بإلي".

يلقي الأشياء على الارض بمقت،ليتجه نحو القبو راكضا والعرق يصب من كل أجزاء جسده مرددا على لسانه كلمة واحدة:(مالكي).....،(مالكي)

ليجز على أسنانه شيئا فشيئا مبطئ حركته،: ليسير على مستوعب سخرية القدر منه، ليقول بغضب عارم بوجهه المحمر:أنامل أقدامه متحفظ مسدسه محتكا بظهره بالحائط ليضع يده على موصد الباب كرجال الشرطة:" ليفتح بسرعة مصور سلاحه في كل إتجاهات الغرفة: ليتفاجأ بعدم وجود (المالكي)، ليضع رأسه بين يديه غير "هذا جزائي لتبذيري في الشرب وسيكون من لائق الجزاء التبذير في قتلكم، أخطائك سببت لي الكثير من المتاعب حثالة".

ليطفق بخمص قدمه، والجنون والغيظ يدفعانه بطيش متهور.

يرقد (المالكي) على أعشاب الارض الخضراء في وسط حلكة الظلام،مغطا في نوم عميق يتدلى فأر على وجهه ليتشممه، فيفتح جفن عينه الأسود المتثاقل،ليري السماء ساطعة بنجومها من بين خصلات الأشجار،لينتفض مذعورا ملتفتا حوله قائلا:

« أين أنا»، فيردف بعينه» ليري ذلك المبني القديم المتصدع الذي ليس ببعيد فيتكأ على الشجرة محاولا النهووض مزرف بيده على جبينه، « رأسي تؤلمني»، قال والصداع يفتك برأسه والهواء البارد يمطاده من مفاصل جسده، ليشعر برجفة في جسده، لينكمش على نفسه مرتعشاء ليلمح تلك النقوش المنقوشة على عضد جلده بطريقة تقليدية منقوش عليها كلمة (الجد) متمعن النظر فيها معقد حاجباه محاولا تذكر ذلك الشيء الغريبء فهو لم ينقش على جسده إطلاقا.

(flashback) (المالكي)

في إحدى غرف السجون التي يشفي عليها الرقي ومتعلقاتها الفاخرة: تبدو أنها لأحد الرجال المهمين، يجلس بارتخاء رجل عجوز ذو شعر أبيض منمق يخرج سيجارا كوبي فاخر ليحرقها بعود الكبريت، و(المالكي) جالس بمقابلته مجفل العينين بهالات سوداء وأعراض المرض والاعياء تظهر عليه، ليردف العجوز قائلا بكلمات جادة متزنة:

« أنا لا يعجبني نوعية هؤلاء الذين يسلكون طريق الصواب ومن بين عشية وضحاها تسوقهم الحياة وأفعال البشر الشيطانية الى مسلك مظلم وهاوي ولا يفعلون أي شيء جراء ما حدث معهم ليعدلوا سلوكهم ويقتفون جراء ذلك بإنتظار الموت، ولكن من حسن حظك أنك من هؤلاء الذين يقفون مكتفو الأيدي،تفحر بحذافير يدك لإخراج ثغرة تبرز منها نور الشمس من أجل الهروب..».

ليقاطعه (المالكي) ورأسه مثقلة مغيبة، ليقول:

« ماذا تريد مني؟.».

ليرد عليه العجوز مبتسما:

« ألم أقل لك أنك تروق لي وتفهمها وهي طائرة لقد قطعت عليك شوطا طويلا من الاطالة عليك من الشرح ولكنك بداية، إذا الحكاية وما فيها أني سأقدم لك خدمة العمر وانت يا عزيزي ستقايضني بخدمة أخرى،بما تسمي تلك النظرية» شيء مقابل شيء».

(المالكي) « أنا لم أطلب ان تساعدني.».

(العجوز) « بالطبع انت لم تطلب شيء ولكن عيناك تقول الكثير».

(المالكي) « ماذا قالت عيناي؟».

لينهض العجوز ليصب كأسا من النبيذ قائلا:

« هل أصب لك كأسا؟.“، ليرد عليه: محاولا تثبيت رأسه في مكانها حتى لا تسقط:

« لا..،لا أريد شيء غير الخروج من هنا ».

-،صوت ضحكات...،« بالفعل سوف تخرج من هنا ولكن قبل أن تخرج عليك فعل الصواب المحتم عليك ».

ليميل برأسه معقد حاجبيه، ليقول:

- "ان أفعل الصواب المحتم على وما هو اذا المحتم على وانا لم أعقد شيئا معك".

ليرد عليه العجوز وهو يرتشف من كأسه وزخيم الشرب يشعره بالاشمئزاز:

- " واردتني معلومة من أحد جواسيسي انك تتعاطي حبوب غريبة غير التي يبيعها أطفإلى هناء وبعد أن تفقدتها بنفسي".

ليخرج من جيبه بعض أشرطة الحبوبء ملوحا بيده له،ليقف (المالكي) على قدميه متصلباء متحسس جيوبه، قائلا بإندهاش:

- "هذه ملكي"،ليرد عليه مبتسما بصفار عينه:

" أنا أعلم ذلك،".

- (المالكي):" إذا لماذا اخذتها؟،".

- (العجوز):" لأعقد معك صفقة،".

- (المالكي): "أنا لا أفهم شيئا.".

لينهض العجوز من مقعده ماضيا نحوه ليربت على كتفه بكلتا يديه: ليقول:

" عندما يمرض الأشخاص فإنهم يتعلقون علاجا من أجل الشفاء من مرضهم ولكن عندما يكونون أصحاء ويتجرعون أدوية تصيب بالمرض فهذا يدل على شيئان" الشيء الأول يكون مريض نفسيا بدرجة مجنون والشيء الثاني بما أنه في السجن فإنه ذلك!: فأنا الجد (سليمان) واعرف كل كبيرة وصغيرة في هذا الكون الأحمق البائس: وكما قلت لك مسبقا أنا أكره نوعية هؤلاء البشر الذين ينتظرون الموت،وأنا كرهت الانتظار هنا في ذلك المكان الموبوء ولا أنوي أن ادفن بقية حياتي هنا ".

ليرد عليه منفرا محدقا فيه بعجب:

" ماذا تريد؟،".

ليتركه العجوز متكأ على مقعده مرتشف رشفة من كأسه،ليقول:

" أنا لا أريد منك سوي الكلمات البسيطة" وانت تعلم جيدا ان الحياة في الخارج متعبة وتحتاج إلى بعض المقرمشات وبم أنني تقصيت عنك،فأنت لست سوي إلا موظف،وتحتاج إلى الراحة بعد عناء تلك المشقة والرحلة الطويلة، وانا سأعطيك أموالا كثيرة توفر عليك مجهود مئات السنين، وهذا مقابل شيء صغير جداء بعد أن تأخذ حكم المحكمة سأهربك إلى (لبنان) ومن هناك ستقابل أناس ظرفاء وتوصل إليهم رسالة قصيرة " الأسد المسن يحتاج الخروج من

القفص"، سأنقش العنوان على ظهرك، واطلب منهم ما شئت وسيكون واجب التنفيذ،قبل غروب الشمس ستكون هنا عندي ".

ليفتح (المالكي) الباب ليقول له:

" انتظر.....،أبلغ محاميك أن هذه الفكرة قديمة جدا ولكنها حقا لطيفة على شخص مثلك..،صوت ضحكات متعجرفة...".

وبعد أن تذكر تلك الأحداث،،رفع وجهه إلى السماء متمتما بكلمات الحمد والشكر إلى الله، ليقول بصوت مسموع فيه وعيد:

" قبل أن أكمل تلك المهمة" على إكمال مهمة قبلها ".

*****

ما زال يركض (عمار) بين تلك الاروقة مناديا على زوجته وصدي الصوت يتردد،يفتح أبواب غرف ليجد أشخاص غرباء الأطوار،ليتلاشاهم ويفتح أبواب أخرى بائسا مستسلما عاجزا منهمكا قلبه يأكله عليها صارخا مناديا عليها بعلو صوته لا جدوى من دموعه، لم يجدي كل ما فعله ليسقط على ركبتيه معلنا استسلامه ودموعه لم تعرف الخلاص خلايا مخه عاجزة عن

التفكير شاردا بعينيه وقلبه النابض الذي انجاه للمرة التسع والتسعون متنهدا ناظر حوله في مكان لانهاني، ليصرخ قائلا والصوت

يتردد المكان:

"يارب.

*****

بعد انتهاء الدكتور (ثروت) من حفر الحفرة التي سيدفن فيها جثة (أميرة)، فبدأ يدحرجها بصعوبة والعرق يتصبب من على جبينه حتى ألقي بها في الحفرة، ليصب بعدها من العبوات البلاستيكية سائل هيدروكسيد الصوديوم،ليساعد على تحلل الجثة سريعا لينهال عليها بمجرفته التراب من فوقها مجففا عرقه، وبعد عدة دقائق يفرغ تماما من دفنها ليردف قائلا:

" أنا أسف يا عزيزتي فالحياة لا تتوقف على أحد".

وفجأة يهجم عليه أحدهم من الخلف بوحشية وغضب غليظ مكن له في قلبه ليسقط على الارض منهال عليه بكلمات متعددة في وجهه: ليظفر بيده حفنة من التراب ليلقيها على جفن عينه مدافعا عن نفسه، فتتدخل التربة في عين (المالكي)، ليصرخ متالما فيظفر الآخر سلاحه من على خصره ليخرج: فيلمحه (المالكي) بومضة عين، فيندفع نحوه ناطحه كالثور، فينفلت

المسدس من يده، ليقع قرب (المالكي)، وكمحاولة عشوائية يتحسس بيده على الارض،فيلتقطه وهو زاحف لينكب عليه الدكتور بلكمة في قوية بمرفقه على ظهره،ليهوي من يده منجزعا من الضربة مشهقا من قوة الضربة كأن الروح تخرج منه فيجذبه من لياقته، ليلكمه بيده عدة لكمات، ليخطف الاخر المسدس في خفية، ليوجهه نحوه مطلق عدة رصاصات لأمر بجائب طبلة أذنه مدوية بصوتها في عقله، لتتسع حدقة عين الدكتور ليداهمه مظفر بمعصمه ليطلق النار مرة أخرى ليتدحرجا على الرمال ليتوقفا ووجهه محمر بنار الغضب، فينتزع من يده المسدس منتفضا للخلف بقدم متأرجحة، ليضغط على الزناد.....

*****

يسير وكيل النيابة ومعه مفتي الجمهورية مع نخبة من القادة والعساكر وخلفهما يسير جنديان حاملين بأذرع ثقيلة (ابراهيم) أخو(المالكي) وقدماه لا تحملانه، يسير والسير عرم تنتظره منصة الإعدام التي أعرم من سيل العرم دموع عيناه تفيضان مجريان فياض تشكو وتتغني بإسم الموت قادم لا محالة، شفتاه ترتجفان: ووجهه الشاحب وجسده المتأكل،ووخزات قلبه تنبض بتسارع.

الذي يأكل بالحنين والعودة الذي لم يعره أي اهتمام بل كان ذلك الصوت الذي كان يناديه متصدع في رأسه بل متصدع في كل مكان يجوب ويطوف حوله " أخي لا تتركني يا أخي فأنا حقا خائف"، لم يعر لمنصة الإعدام أي اهتمام فهو كان مؤمن بالقضاء والقدر وأن ساعته نافذة" شعر بأصوات تناديه من السماء كان يشم رائحة الطيف الذي تجوب حوله، كان يسمع كلماتهم التي يقشعر لها الأبدان " لا تخف يا مظلوم فقريبا ستصعد إلى خالقك، وتشكو وتبث له أمرك، وسينتقم لك بأخذ جبار منتقم."، ولكنه كان إنسان يحب الحياة بفطرته فاستراح قلبه بتلك الكلمات ونظر فوقه ودعا ربه بأن لا يخذله.

فيضغط الدكتور (ثروت) على الزناد، ليخرج صوت تك..،نافذة الذخيرة..،ليفتح (المالكي) فاه بين أتربة الرمال غير مصدقا أنه نجا من الموت،يتدلى زاحفا ملتقط المجرفة،والدكتور مسهم نحوه بخطوات بطيئة على الرمال الناعمة، وهو منكب على ركبتيه.

ليباغته بضربة صوب رأسه ليتفاداها ليركله بقدمه في بطنه، لتسقط من يده المجرفة فالتعب والمرض عليه غير قادر على المقاومة،: ليوجهه له ضربة في منتصف ظهره بمرفقه" ليتألم (المالكي) من وجع الضربة ساقطا على الارض ملتفظا أنفاسه يبصق من فمه بعض الدماء،ليلتفط الدكتور المجرفة وعلى وجهه ابتسامة عريضة توحي بالنصرء ليحملها على كتفه ليستعد بضربه على قدماه، ليشل حركتها وفي ظهره وعلى ذراعيه والآخر لم يجد طريقة غير الصراخ غير قادر على إلتفاظ أنفاسه بأنين متوجع والأخر يجفف عرقه التساقط بغزارة: ليردف قائلا:

" دعنا ننهي تلك المسرحية التافهة.".

ليلقي بالمجرفة لينكب بركبتيه باحثا في تلك الحقيبة السوداء،ليدلف حبلا طويلا عريضا ليربط

ربطة عذق كالتي تشبه حبل الإعدام ليدليه بعنقه، ليظفر به ساحبا و(المالكي) في وضعية اختناق وبتلقائية يضع اظافر اصابعه بين ثنايا رقبته وبمسافة خمسة أمتار يلقي بالحبل في الهواء يتدلى من على غصن الشجرة ومن الجهة الأخرى بدأ يشد الحبل و(المالكي) يلتفظ أنفاسه

بصعوبة وحدقة عيناه متسعة صوب أعلى الشجرة وصوب الدكتور الذي يجذب بأعصاب قاسية، وبتراجيديا بائسة بعيناه التي تمتلان رجا ورعبا متنهد بقوة وقلبه يخفق بنبضات متسارعة.

سأله المفتي بعين متفحصة بأنين وجعه:

« ما الذي تتمناه؟.».

رد عليه قائلا وذهنه شارد:

« أريد أن أرى أخي.»، فألقى عينه على الارض ليتنحنح وهو ينظر إلى وكيل النيابة، ليقول:

« هل تريد شينا أخر غير هذا؟»،فنظر إلى أعلاه ناظرا إلى تلك السماء التي لا يراها أحدا إلا سواه: بائسا من تلك الأرض المفعمة بالظلم الابدي، متشوقا إلى الصعود إلى تلك السماء العادلة» ليرد بثقة:

« أريد الشهادة.».

ليتبادلا النظر بدهشة، لتوضع الغمام السوداء على وجهه، ليفتح ذلك الثقب الأسود ليلقي حتفه مشنوقا.

خصلات شعره البنية متدلية على عروقه الحمراء المتجذرة بين ثنايا وجهه، كان يريد الصياح كانت عيناه تريد الإفصاح بالبكاء ،ولكنه قاوم لأخر لحظة حتى لا تسقط قطرة واحدة، ليئل محاولة الموت بشرف والدكتور ما زال متمسكا بأعصاب مشدودة وقلب أعمى بأنفاس إجرامية،ليزفر (المالكي) هوانه الاخير معلقا على هاوية إحدي أغصان الشجرة: لتتحقق أمنية أخيه ليتقابلوا صاعدين إلى السماء حيث تتلاقى الأرواح.

في ذلك الرواق الهادي الذي ملئ بلوحات الفنية المعلقة على جدرانه، يرقد (عمار) حتى نفذ إلى أخره، ليجد سلم خشبي أعلاه مربع خشبي يتصدع السقف،فيصعد ليفتح ذلك المنفذ وعند صعوده يجد رواق أخر مختلف عن ذي قبله ليجد أناس مرضي ملتفظين أنفاسهم الأخيرة « يسير وسطهم بذهول كأنهم شبه موتي يتجرعون مرارة الموت ولكن لا ينالوه ليسمع ذلك الصوت الذي يدنو من خلفه وهو يسير ببطء ليعجل من خطوات سيره أكثر فأكثر،لا يريد الالتفات خلفه، كاره الخوض في صراعات أخرى لم يكن صوتا لأحد بل كانت هلوسات سمعية ابتدعها عقله الباطني ركض مسرعا وروحه منهمكة هائم في خياله ذهنه شارد لم تعد تثيره

تلك الأحداث فكل ما يطلبه الخلاص فوجد سلم خشبي كالذي قبله فشعر بحيرة شديدة ليقول في نفسه:

" هل أنا أسير للخلف أم للأمام ، شعر بجزيئات عقله تسحب للخلف وان عقله لا يدور في صداه وان كل شيء حوله يجعله خامل وبطئ،أن الجاذبية أختفت وكان عجلات سيارة تدور بلا توقف ولا تتحرك، فأنتفض مستفيق ليصعد على السلم غير واثق مما يفعله، ليفتح السرداب الخشبي ليجد نفسه في غرفة تنساب من قطع أثاث خشبها أدخنة كأنها احترقت من فترة ليست ببعيدة وانطفئت منذ مدة قصيرة شعر بأن تلك الغرفة ليست بغريبة عليه فخرج من بابها فوجد نفسه في مزرعته أمام بيته المحترق غير مصدق ما يراه والسماء تمطر فقرر أن يتوارى تحت مظلة غير بيته التي تفوح منه رائحة الدخان القاتمة،" فيمر بجانبه حيث الأشجار المتراصة وصوت نعيق الغراب والبرق يضوي مما جذب انتباهه جثة رجل الفزاعة معلقة بحبل شنق في رقبته على تلك الشجرة العالية فاتسعت عيناه مذهلة متوجسا في نفسه من الخوف،ليجثوا على ركبته مستسلما تحت الجثة المعلقة" يقول: بيأس نادب حظه من الذي قتلك يا صديقي؟، وماذا أفعل من بعدك وانت الذي كنت تدلني على الطريق الصحيح".

وهو واضع رأسه بين يديه مجفف دموعه التي امتزجت بحبات المطر ليسمع فجأة صوت يدنو من خلفه بخطوات ثقيلة ليدير رأسه ببطء ليتفاجأ بوجود الرجل الضخم مرة أخرى بعد أن تفحم من الحريق والسنة الادخنة تخرج من بين ثنايا جسده الضاري: ولون الفحم الأسود يغطيه وفي يده الفأس، ليقول بصوت غاضب مبحوح إن وقعت الفاس في الرأس،لا تسأل عني من أنا".

تجمدت أوصاله من شدة البرد واضف إلى ذلك شكل الرجل المرعب لم يعد بوسعه التحرك او يرمش رمشة واحدة فتنهد قبل أن تسقط الفأس في رأسه، ومن ثم فجأة يستيقظ (عمار) من نومه مفزوعا ليترك العم (عقاب) تيلة شيشته ممضي نحوه مستعيذ بكلمات الله ،ليسأله:

" هل أنت بخير يا بني"، ليرد وهو يضغط على رأسه:

" صداع يقتلني في رأسي" " لا بأس يا بني، قدر ولطف".

ليعينه على النهوض فلم يقدر الوقوف على قدمه اليسري شعر بتنميل وورم فيها ليتفحصها ليجد فيها بعض التورمات ذي اللون الوردي، ليمسك في العم (عقاب) بعشوائية، طالب منه النجدة.

"سنكون في الماضي "

" ليس أمر محرم ان تعود لتستعيد ما نسيته: ولكن من المحرم ان يضيعوا الأشخاص ما نسيته، مما يتوجب القضاء عليهم جميعا".

« هكذا قال ذلك الأعرج المرني الواقف هناك »

هنا في البيت الريفي يرقد (عمار) على السرير مستندا بظهره وكلمات الدكتور تصدي في مسامعه

« يؤسفني: انا أقؤل لك بانك اصبت بشلل سفلي جزئي (عَمَارَ)

مما سيجعلك تعزج طوال خياتك واستخذام العكازات....

يصمت متنهدا...ألن تقول ما نوع العقار الذي تسبب في عجزك فهذا النوع من العقارات غريب عن عالم الطب نوعا ما».

فأغمض عينيه مديرا رأسه لم يجيبه، متكأ على السرير شارد الذهن ليغمض عينيه ويفتحها متنهدا ليجد زوجته (أميرة) جالسة على السرير بقربه و(المالكي) وأخوه (ابراهيم) واقفين عند النافذة ينظران إليه وبعدها يلتفتون ينظرون فيها بملامح متصلبة» بملابس عادية و(عمار) يفرك عينيه مندهشا لتقطع (أميرة) ذلك الصمت الطويل: لتردف قائلة والحيرة عليها:

« لماذا لا تصدقني؟.".

ليرد عليها وهو يعتدل مكانه بعد تحديق طويل مليء بالغرابة:

« أأصدق ماذا.».

لتثير حركة تذمر لتقول *

« ثاني» سنرجع إلى نفس النقطة.».

ليبتلع ريقه وعيناه متسعتان يهز رأسه بتموجات ضعيفة، ليتأتأ قائلا:

« أنا أصدقك يا عزيزتي ولكن أنا لا أعرف ماذا لا أعرف ما الذي أقوله، ولكني لو أتأكد لكنت...،أنا تائه بعض الشيء، ولكن صدقيني ».

ليقاطع حديثه صوت قرع الباب، ينظر إليه، ليلتفت نحوهم فلا يجدهم فتدخل (سارة)، لتقول له بإبتسامة عريضة ثابتة:

« سمعتك تقول شيئا يا عزيزي هل تريد أن أقوم لك بشيء ».

فرد عليها باستقطاب:

« هل أنا قلت شي؟،».

« نعم...،هل تريد شيء يا عزيزي؟،».

ليفتح فاه مندهشا وجد نفسه محاصر بين أوهامه، فغير الموضوع ليحفظ ماء وجهه:

« نعم كنت أريد ماء، هل لك بإحضار كوب ماء دافئ».

فنظرت بجانبه لتجد كوب ماء على موضع الكومود فأعار انتباهه،فبرر لها بقوله:

« أنا أسف الألم يزعجني بعض الشيء فجعلني غير مركز شكرا لك على حسن اهتمامك بي اذهبي انت الان فأنا اريد بعض الراحة».

لتغلق الباب خلفها وفي عينيها الدهشة، حديثه ببرود معها ونظراته التفصيلية المتشككة المتسمرة أسئلة تدور في مخيلته، ألا وابرزها سؤال « كيف؟؟؟»،كان على وشك القفز بلسانه والافصاح لها عما رأه، ولكن تشككه في نفسه وعدم الادلة الكافية منعته من الحديث، فليس من المنطقي ان تتهم احدهم بسبب رؤية أو حفنة من الهلاووس رأيتها في أحلامك وتسبب بإيذائك بصيغة غير مباشرة، فلم يؤمن بتلك التراهات،: فخطر بباله فكرة بأن يتقصى الحقائق بربط حلمه بالواقع المتجمد، كانت نظراته ورمقه لنفسه أوحت بأنه مجنون كفاية على إثر ذلك الضجيج الذي يتكتل داخل عقله، فالبحث عن الحقيقة غاية من غايات الإنسان العلما» فإن انفك عنها فلن يلتنم لها جرح: ولكن ساقه التي تؤرقه وتؤلمه كانت الحائل بينه وبين التعجل باستقصاء الأمور،ليسأم من مضجعه فيلتقط عكازاته ليتحامل عليهاء وبخطواته العاجزة تسقط إحدي عكازاته ودموعه على وشك السقوط ولكن عناده منعه عن ذلك،لتدخل زوجته القلقة»، وبعين العطف فلم يحب أن يظهر أمامها بضعف فأخفي حزنه، لتسانده بكتفها فشعر بنظرات متناقضة تجاها فما زال يسأل نفسه « كيف؟؟؟"، فأعطته العكاز،لتقطع حبل الشك الهائم فيها:

« لماذا نهضت من على فراشك وانت متعب؟.».

فكالعادة لم يكترث إلى ما تقوله واكتفي بتوجيه نظراته الغير مفهومة نحوها وتركها وغادر بدون أن ينطق بحرف،وهي متعجبة معنا يفعله.

هنا في عيادة الدكتور (ثروت)، مشعل سيجارته التي تكاد ان تلتهم بنهم غضبه الذي يفوح من وجهه المحمر ومن بين الادخنة المتصاعدة، يدخل شخص أعرج وملامح وجهه متوازنة، بنظرات غريبة غير مفهومة: لينتفض الدكتور عند رؤيته، ليفتح بداية حديثه عما حدث من تغيرات دون أن ينتبه لإصابته العرجاء، بإبتسامات صفراء ليقابله بحرارة، والأخر لا يروق له ذلك، ليقول:

« هل أدي الدواء مفعوله أيها البطل؟.».

ليرد عليه بوجهه مقتطب وبنظرات شائكة متصلبة في عيناه:

« غريبة...،ألم يلفت انتباهك،أني أتعرج أمامك أم أن هذا عرض من إحدي عروض السيرك التافه».

وبخطواته متعرجة يتركه ويجلس على إحدي المقاعد،لترتسم ابتسامة بلهاء على وجهه متنحنحا ليستدير له مقدما بالغ اعتذاره:

« أنا أسف جدا..،أ (عمار) فأنا لم أنم منذ ليالي، والتعب والأرق جعل مني فاقد للتركيز ».

ليجلس أمامه بتواضع رفيع، ليسأله:

« ما الذي حدث لساقك؟، هل أصبت بحادث سير؟.».

و (عمار) بنظراته الحادة، مستذكرا كلام الطبيب:

«أ (لؤي) الشبه شلل الذي حدث لساقك نتيجة تجرعك جرعة غريبة: أدت إلى تدمير بعض خلايا عصب ساقك،ولحسن حظك،أنت انقذتها بمجينك الى هنا سريعا».

ليستفيق من هيام تفكيره الشارد على صوت الدكتور الذي يختبئ خلف قناع التساهل واللين في الحديث وهو من داخله بركان يغلي،معيد الجملة أكثر من مرة:

« هل أنت معي أ (عمار)؟

« نعم أنا معك،».

« كنت أقول لك هل أصبت بحادث سير ».

« شيء من هذا القبيل،».

أخفي إجابته المحترقة لا لشيء بل شيء كامن في داخله» وحش يحترق غيظا بفعل ظلم البشر أخمد بركانه من أجل معرفة الحقيقة،والحقيقة صعبة المراد،فهي تحتاج التأني والعين البصيرة، لا لغضب يعمي القلوب والابصارء ليسأله الدكتور:

« هل أنت في مزاج سئ ».

« لا أنا بخير قبل أن أنسي،كنت أريد ذلك الدواء مجددا فهو يشعرني ببعض المشاعر الغريبة والريحة في نفس الوقت،.بالإضافة انه يهدئ أعصابي.».

ليتنهد وعيناه شاخصتان فيه لم تبرح من على لسانه، ليقترب منه، قائلا:

« ماذا شعرت في تلك الليلة التي أخذت فيها الدواء؟.».

ليرد عليه وعيناه ثاقبة في مرمي بصره:

« في الحقيقة...،لا أتذكر بوضوح: ولهذا السبب عندما أصحو من النوم» سأتصل بك حتى أبلغك ما يراودني قبل أن أنسي، فذاكرتي أصبحت هذه الأيام ضعيفة جدا.».

ليرد عليه الدكتور وهو مظهر قلقله عليه:

« ولكنك تحتاج إلى الراحة» وليس الدواء».

ليرد عليه بضجر:

« هل أنا قرد أتقفز أمامك؟، أنا مرتاح جداء ولا أحتاج إلى راحة ».

ليشير إليه الدكتور بكلتا يديه مطيعا لما يريده:

« لك ما شئت ولكن اهدأ»،

لينهض الدكتور فاتح خزينة المال، ليخرج منها العقار ذا السائل الأخضر الغامق ليعطيه له، ليأخذه منه في ملامح حادة وجفنان متثاقلان ليستدير نحو الباب بخطوات متعرجة:، مباغتا بنظرة خلفه لامحه بطرف عينه، ليجلس الدكتور وهو يتتبعه بعينين حذرتين متنهدا قابضا يده ليضرب سطح مكتبه بضيق ناظرا إلى صورة أبيه ليقول بصوت مسموع:

« لا أعرف أن كانت الأمور ستسير على ما يرام أم أنها ستلتف حول عنقي وتقتلني، لا أعرف....».

أومأ برأسه نفيا بثقة مهزوزة والحرية على جبينه.

يدخل (عمار) معمل علوم تظهر عليه قلة الامكانيات الممكنة، وبخطواته المتعرجة متصبب عرقا رغم برودة الجو، ليقف بين تارة وأخرى لشعوره بوخز في ساقه اليسري ليقترب من شاب في مبتهل الثلاثينات من عمره مرتدي نظارة ومعطف أبيض لينادي عليه بصوت خفيف:

« كيف حالك يا دكتور (عبد الرحمن)؟.».

والبسمة والتفاؤل على وجهه وفي يديه قطارة يقطر بها بعض من السوائل الكيميائية في قنينة زجاجية بحذر ليفرغ ما بيده في استعجال ليدقق النظر فيه لينطق بصوت فرح بمقابلته، ليعانقه عناقا حارء ليبتسم الاخر ابتسامة خفيفة والاعياء والتعب يحاصرانه.

« لم أكن أتوقع، أني سأراك في يوم من الايام يا لتك المصادفة العجيبة» كيف حالك يا رجل»، لينتبه إلى ساقه ليعقد حاجبيه مندهشا ليسأله مستنكرا:

« ما هذا ما الذي حدث لك يا صديقي؟.».

شيء حادث بسيط وسوف اشفي عما قريب بإذن الله".

ومن ثم يضع يده على كتفه" وبصوت منخفض يؤتي في مسامع الدكتور بملامحه المندهشة؛ ليقول له وهو يخرج العقار:

" خدمة لأخيك،هذا العقار أريدك أن تتفحصه؛ وتعرف لي نوع تركيبته وتأثيره ".

ليتفحص ذلك السائل بغيته الدؤوبة معطي نظرات استحقاق، ليقول:

" من أين جلبت ذلك العقار الغريب الذي لم أراه في حياتي، ولكن هل لي أن أعرف السبب.".

ليجيبه وهو مفتعل نظرات الحزن والأسي:

" من حقك أن تعرف،ولكن عدني أن يكون سر بيننا"

" عيب عليك يا رجل، فنحن عشرة"، رد عليه.

" لي صديق جاء من الخارجء ورأيته يتعاطاه من أجل مرض معين على كلامه، لم يبوح لي بإسم ذلك المرضء وبعد مرور بضعة أيام وجدته باهت تمام ومتعب جداء فأثار الشك في نفسي،هل ذا دواءا كما يدعي أم انه نوع من المخدرات المبتكرة حديثا.

" وهذا ما سأعرفه منك يا بطل"

فيومئ برأسه بالموافقة" رغم أسلوب الكلام الذي طلي عليه:

" سأحاول على قدر الإمكان،في فك الشفرة الكيميائية لهذا السائل الغريب،وفي غضون أيام سأفر لك تقرير مفصل ".

ليقبله من وجنته شاكرا له عن هذه الخدمة الإنسانية، ليتركه في عجلة والآخر يومئ بغرابة ما يفعله، ليحدق بعينيه في ذلك السائل، ومن ثم يرتاد (عمار) سيارته، وقبل ان ينطلق شرد بذهنه قليلاء محدث نفسه بصوت مسموع:

" ان كان الدكتور ليس له يد في خطف زوجتي،فمن يا تري ولكن إن كان هو الخاطف فما العلاقة وما الذي سيجنيه من ذلك،ذلك الحلم العجيب يحيرني...ليضرب بيده على مقود السيارة في غضب...،تاهت ووجدتها لقد خطف شخص أخر في نفس الليلة التي خطفت فيها زوجتي ولكن مهلا ما علاقة ذلك الشخص بزوجتي انا حقا حائر لا يهم، سأبحث عن عنوان ذلك الشخص وأعرف ما علاقته بدخوله المشفي وهل لديه أعداء يتربصون به وأخذوا زوجتي معه بالخطأء لا أعرف ما هذا الغباء الذي أقوله،لا أعرف فأنا متعلق بقشة ٠ ولكن كيف؟،من أين لي أن أجد عنوانه: وجدتها المستشفي،ليلفت انتباهه سايس السيارات، اسود البشرة يحدق فيه كل تلك مدة حيثه وفها شبه مفتوح ليسبقه الرجل بسؤال:

« هل هناك شيء يا أستاذ؟.».

فأومأ برأسه بالنفي وأدار سيارته وانطلق بها ليضرب الرجل كف على كف والغرابة عليه:

« لا حول ولا قوة الا بالله، الناس تكلم أنفسها استرها علينا يارب».

ليستقل بسيارته أمام مشفي الأمراض النفسية والعقلية» ليدخل صالة الاستقبال بخطوات عرجاء ليسأل الموظفة:

« من فضلك زوجتي كانت تتلقي العلاج هنا منذ فترة بعيدة خطفت ومعها شخص أخرء هل لك ان تدليني على عنوانه؟،».

لترد عليه الممرضة بثقة دون أن تبحث في الأوراق وتسأله عن اسم ما يبحث عنه:

« هل انت زوج تلك السيدة؟».

« هل تعرفينها؟.".

« هذه قضية مشهورة، والخاطف على حد علمي كان أخو المخطوف وأعدم منذ فترة: لعدم إعترافه بخطف المرضي.

وكانت كل الادلة تدينه» ولكن كيف لا تعرف كل هذا.".

« أخو الخاطف خطفهما وحكم عليه بالإعدام، ولكن كيف وما علاقة زوجتي بهما.»، قال ذلك.

« الأمر واضح يا سيدي،فزوجتك كانت رهينة حتى يتسنى لهم الهرب وتكون كارت أحمر لكل من يعترض طريقهما ولكن بفضل رجال الشرطة قبض عليه، وايضا أخاه كان متهم في قضايا أخرى،» ردت عليه.

« وهل وجدوا أخاه المخطوف،»،قال لها بعين حائرة.

« لم يجدوا له أثرا حتى الآن.».

« حسنا...،أعطيني عنوان ذلك المخطوف اقصد عنوان منزله،: من فضلك ».

« وماذا ستفعل به،وهو ليس له أثر،».

ليرد عليها وهو مستقطب وجهه والغضب يبزغ من عينيه وبكل برود متمالك أعصابه:

« سأذهب لتناول الغداء معه، أعطني من فضلك العنوان..،هيا بسرعة.».

لتفتش الممرضة في الأوراق، ليحدث نفسه، قائلا:

لقد التهمني المرض ، ونسيت أن هناك جلسَة حكم لزوجتي: على كل حال، لقد عرفت من الفاعل ولن يهدأ لي بال ، حتى أعثر على الجاني الذي سيدلني على مكانك يا حبيبتي،انا قادم إلك، لا تخافي فأنا في الطريق إليك لتعطي الموظفة ورقة بها عنوان (المالكي)، لتسفط دمعة مسيرة من عينه إلسرى عليها.

في إحدى المناطق الشبه راقية" صوت طرقات الباب، ففتحت سيدة جميلة في مستهل العمر مرتدية رداء أسود والحزن يطرأ على عينيها لتجد شخصا غريبا لتقول له:

".من أنت يا أستاذ؟"

ليدخل (عمار) بخطى متعرجة وملامح غاضبة وبأعين حائرة في أرجاء المكان ذا الأثاث المتوسط وهي خلفه تردد عليه السؤال، ليرد عليها بقساوة:"أين هو "يقتحم غرفة النوم، ليجد صورة موضوعة على الكومود بجانب السرير صورة (المالكي) وزوجته يظهران مبتسمان وفي سعادة غامرة، ليتذكر تلك الملامح وهو متسمر مكانه الشفتان والأنف والعينان الخضراوتان وخصلات الشعر البنية المتدلية إنها نفس الذي رأيتها في الحلم ، قال في نفسه

(عمار) (flach back)

بعد منتصف الليل: تلك الأنفاس الحارة الخارجة من قناع الفزاعة، الذي يظهر منه ضي عينان خضراوتان وشعر بني متوسط الطول متدلى عَلى القناع.و زي أسود مليء بالثقوب:...،ورجل الفزاعة يتراجع للخلف بتمايل والضباب والظلام يلتهمانه، ليختفي تدريجيا و(عمار) يحاول اللحاق به ومن ثم يستفيق من ذهنه الشارد على إثر اهتزازات وأصوات نداء متكررة من المرأة التي خلفه: لتقول له وهي مضجرة:

" ماذا تريد أيها الرجل؟:، سأتصل بالشرطة.".

يتجاهل كلامها متوجها نحو الصور:: ليلتقطها بيده وبصوت مبحوح هزيل قائلا:

" من هذا الرجل الذي في الصورة؟"

وعندما سمعت تلك الكلمة توقفت عن السير لتتسع حدقة عيناها لتركض نحوه مسرعة منتزعة منه الصورة، لتضمها إلى صدرها مستثيرة الفزع لتردف قائلة:

" هذا زوجي، هل تعرف عنه شى؟."

فنظر حوله بعينه المتسعة فوجد نفسه في غرفة النوم ومعه امرأة، فخرج من الغرفة وهو معطيها ظهره، ليقول:

أنا الذى اسألك ليجلس على الاريكة بصعوبة مزيح العكازات عن ابطيه: وهي مهرولة في سيرها معقدة حاجبيها لتتوسل إليه بضعف مكنون في قلبها والرجا في عينيها:

" ارجوك ساعدني، زوجي اختفي ولا أعلم عنه شيئا: هل تعرف شيء عنه"

رأى العجز في عينيها ولم تدرك انه عاجز عن فهم شيء فأخذ بيديها ليقول لها:

أرجوك اجلسى من فضلك حتى نستطيع التحدث فتوجهت يمينه فهو غير قادر على النهوض وما أن لبثت ان جلست لتبدأ في الحديث، ليقاطعها بداية بكف يده اليسري:

" مبدئياً.....،انا أسف على اقتحامي بيتك بدون سابق إنذار ثانيا انا هنا في ظروف خاصة بي مرتبطة بزوجك،ثالثا والأهم زوجتي خطفت في نفس الليلة التي خطف فيها زوجك بل الذي هرب بفعلة أخيه الذي شئق ولا تقولي لي هذا بمحض الصدفة، وأن كنت لا تعرفين أين ذهب زوجك الان، فممكن ان اعرف ما سبب دخول زوجك المشفي؟، وبدون

بكاء من فضلك،".

فمسحت دموعها بكلتا يديها لتتكلم وهي متنهنهة:

" زوجي كان رجلا عاديا يعمل محاسبا في إحدي الشركات الأجنبية الخاصة وكان صاحبها رجل أعمال أمريكي، وفي تلك الليلة الشؤم أبلغ زوجي بمهمة الرجوع إلى الشركة لتصفية بعض الحسابات، وعندما وصل وجد صاحب الشركة قد قتل وهو مغطي في دماءه فتلقي زوجي ضربة من الخلف،واثبتت التحفيقات بعدها ان الأموال التي كان يصفيها زوجي قد سرقت مبالغ تقدر بملايين الدولارات فاتهم حينها بجريمتي القتل والسرقة لأموال خاصة.....".

فقاطعها قائلا:

" إذا زوجك قاتل وسارق "، فردت عليه بعين جريئة بائسة:

" زوجي لم يقتل ولم يسرق أحدا "

" إذا من وانت تقولين انه كان في واقعة الجريمة، هل كان يلعب البيسبول "، قال لها

" زوجي لم يكن الفاعل صدقني، كان صاحب الشركة له ابن أخيه كان يحلم في السيطرة على الشركة وتملك أصولها ولن يملكها الا اذا تخلص منه لأنه الوريث الوحيد في عائلة (ارنولد) عائلته فافتعل تلك المسرحية حتى لا تدينه الشرطة "

فرد عليها بصيغة استهزاء وسخرية:

" هذا كلام غير منطفي بالمرة ".

" اذا ما هو المنطقي بنظرك ان تقتل شخصا وتسرقه، ومن ثم تجلس بجانبه وتضرب مؤخرة رأسك بعد أن تخفي المال، ويغمي عليك حتى لا تحوم حولك الشبهات أي عقل بشري يصدق هذا "، ردت عليه بنفس جامحة.

" هذه المبررات لا تهمني السؤال الأهم...،ماذا كان يفعل زوجك في مشفي الأمراض النفسية؟،".

تابعت حديثها دوم كلل وهي تتنهد قائلة:

" بعد أن زج به في السجن وبما اننا نعلم انه مظلوم، قرر اخو زوجي الله يرحمه ان يقوم له محامي: فرأى انه لا مفر من الحكم القضائي غير العادل، فأحاك له خطة حتى يفلت له حبل المشنقة من على رقبته،: فأعطي له بعض الأدوية التي تسبب الهلوسة..،فاتسعت حدقة عيناه...،ليصاب بعدها بمرض الفصام الحاد، لتسقط المحكمة أهليته وتودعه في مصحة عقلية.....، ومن هناك يهربه اخوه، ولكن قبل الميعاد المتفق عليه حدثت فاجعة غريبة لم تكن في الحسبان ليقاطع حديثها والنصر في عينيه، وباستنتاج تقليدي غير مكمل كلماته المتقاطعة، كأنه وصل للموجز:

الفاجعة، أن اخو زوجك قد هرب أخاه وعندما كشف الأمر قرروا أخذ رهينة معهم ومن حظي الأسود التعيس اخذت زوجتي المسكينة، حتى يلوي ذراع الشرطة التي لا تأبه لأحد، ويمكن من الفرار ويلقي بها في أي مكب نفايات: لتتحول إلى متسولة ويتغير شكلها ولو مشيت البلاد كلها لن أعرف شكلها هذا افتراض انا أمله: وربما اخو زوجك المتوحش قد قتلها عندما حاولت الدفاع عن نفسها او ما شابه وهذا الذي يرعبني الان: ما رأيك هل صح كلامي أم لا؟،"

فأومأت برأسها بالنفي القاطع:

" لايا سيدي...،كلامك خاطئ ولا تستند إلى معلومات صحيحة ولعلمك..،"

ليقاطعها وقد جنت عيناه ليتألم من انتفاضته:

" ستقولين كلامك غير صحيح:، هل جننت ام ان غيابه هو الذي أفقدك صوابك،"، لتتابع حديثها بهالات من الحزن العميق:

"عندك حق لقد فقدت صوابي فالأول عندما فقدت أغلي ما أملك الا وهو زوجيء والثانية عندما فقدت اخ عطوفه ولكني لم أفقد صوابي عندما سأقول لك ان الشرطة ووجدت أخو زوجي طريق صحراوي وهو ناعس بفعل مخدر أطلقه أحدهم في ذراعه، فكيف يهرب أخاه ويبقى هو؟"

" لا تحتاج إلى توضيح، حتى ينفي الشبهة عنه وينجو بفعلته.".

" وان كان يريد النجاة أهو أبله لهذه الدرجة، وهو موقن تماما ان حبل المشنقة سيوضع حول رقبته، ولسخرية القدر أعدم لتلهو الكلاب على جثته هو وأخيه...،لا أعرف أن انطقها خائفة ان أقول زوجي هو أيضا قتل".

فنهض متعكزا وفي حيرة مطلقة وعيناه جاحظتان: ليردف قائلا:

" لقد فقدت صوابي إذا من فعل كل هذا أهو عمل عصابات مافيا "

لتنهض هي الأخرى لتقترب منه، لتقول بثقة:

"لا ليس عمل عصاباتء إنهم أناس عاديون يسيرون بيننا مرتدي أقنعة الملائكة وقلوبهم سوداء مثل مخلفات المحروقات من يلمسهم تسود معيشته:، أنا أعرفه جيدا إنه وبلا شك الدكتور (عوض) رئيس المشفي النفسي، صاحب الوقار الذي لا

مثيل له في مضاهاة الحكمة والخلق الرفيع"

فأستدار معطي لها ظهره وعيناه ناكرتان ما تقوله، ليقول بكل غلطة وعدم مراعاة لمشاعرها.....:

« هذا هذيان ما تقوليه، امرأة فارقها زوجها انا لا أعلم لماذا تقولين كلام غير واثقة منه متهمة الجميع بسبب أعمال »

لتقترب انفاسها المحروقه غلا لتقول:

المحامي هو الذي قال هذا وأضاف أيضا إنه يتاجر بالمرضي النفسيين وبيعهم في السوق السوداء للأطباء يستخدمونهم»

كفئران تجارب في معاملهم السرية، حتى تفلح تجاربهم ويستطيعون بيع ما يصنعونه لشركات العالمية التي علم بتلك المهزلة وتمولهم اذا كان الغرض من هذا ثورة في عالم الأدوية، فعلا ان كنت تريد الدواء فتحمل مرارته بل تحمل مرارة دماء غيرك الملوثة في ذلك الدواء، يفعلون كل شيء مقابل المال وليس العلم الذي ينفي ذلك قطعاء ولكن لمن ستقول له وقد تحول البشر إلى ذئاب يأكل بعضهم البعض »

فرد عليها وهو يهز رأسه ساخرا لم أعلم أنك جيدة في إلقاء المحاضرات التي تحث البشرية على الأخلاق، ليس لي شأن بهلوساتك تلك، وأن كنت تعلمين»

كل هذا لماذا لم تبلغي المحكمة او الشرطة ان كنت واثقة ان كل تلك الشبهات تحوم حوله، هاه..،أجيبي »

المحكمة لا تهما هذا الكلام، بل تريد أوراق ومستندات مثبتة ضده،وأنا امرأة ضعيفة لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك وأن كنت تريد زوجتك فعليك به بما أنه هو المسئول الوحيد عن خطفها بما أنه المدير وصدقني سأكون أول مساعدة لك ان احتجت أي شيء للقبض عليه وإيقاف مخططه الشيطاني

فأستدار ليصرخ في وجهها غاضبا بصوت مبحوح:

« انت فعلا جننت الغضب والانتقام لزوجك أعموا بصيرتك، لإتهام أناس طيبون زورا »

فتركته بائسة غير مجدي كلامها ولانتهازها فرصة خطف زوجهها شاكية لأحد ليثار لهاء لتجلس على الاريكة، قائلة:

«.لا أحد طيب يا سيدي فلو كانوا طيبين لما حدث ما حدث»

فغادر بخطي متعرجة:، ينظر خلفه، ليجد ها تبكي واضعة رأسها بين يديها فتيقن بقلبه الطيب أنه قسي عليها وان زوجها وأخيه مظلومان ولا سيما زوجها الذي يشبه ذلك الشخص الطيب الذي رآه في حلمه وكان يرشده إلى درب الصواب، ولكن كيف أتي إلى حلمه وهو لم يراه في حياته قط كان الشك يقتل أحشاء عقله التائه الغير قادر على ربط الأحداث المبهمة وتفسيرها ولا سيما كتم الحقيقة الذي رأها في خياله وهو نائم ولا يستطيع برهنتها ولا إثباتها

فكل شيء بالنسبة له عبارة عن كابوس مزعج أدلف الباب خلفه وتنهد تنهيدة طويلة أخرجت زفير الكبت الذي بداخله حتى لا ينفجر من السموم التي تخنق صدره ليقرص نفسه حتى يستطيع التمييز بين الواقع والحلم، فكلاهما في الحقيقة متشابهان وما هي إلا عقدة زمنية ندور بداخلها يقسو الزمن علئا فيها.

*****

في ذلك المكان الشاسع ذو الحشائش الخضراء الخصبة تحت ضوء الشمس الأبيض الزاهي التي تتلألأ الازهار المتفتحة من بينها تقف امرأة جميلة ذات رداء أبيض وعلى بعد بسيط مستلقي (عمار) وعلى الارض نائما ليصحو من نومه ليحمي عينه من أشعة الشمس البلورية ليبدأ بالاندهاش، سأل نفسه :

" أين أنا؟، ماذا أفعل هنا؟."

ليفرك عينه ناظرا حوله، ليجد مكان شاسعا لا نهاية له وامرأة جميلة تقف على العشب تتراقص عليها الازهار فنهض من مكانه وهم نحوها ليسألها فإذ هي تلتف ليري وجهها الأبيض المحمر وعيناها الرمادتين ليندهش متسعة عيناه ليقول:

" حبيبتي...،كيف حالك؟، أبهذا الشكل تقلقيني عليك (أميرة)"

ليعانقها ملامس خدها متحسسا ملامحها غير مصدق انه يراها أمامه لتبكي مرة واحدة وهو معانقها ليندهش قائلا لها::

" لماذا تبكين يا عزيزتي؟"

" لماذا لا تصدق أنهم قتلوني": قالت ذلك

لتتعقد حاجبيه مما تقول، ليقول

" كيف وانت حية أمامي تتنفسين "

ليسمع صوت طلق ناري لتهتز مسامعه ملتفت حوله ينظر إليها وحدقة عيناها متسعة وفمها مفتوح كأن ألم أصابها فجأة لتسقط على الارض وهي بين يديه ليجثو على ركبته وهو ممسك بها تائه مذهولا مما يحدث فزوجته تموت أمامه والدم يسيل من صدرها ملوثا رداءها الأبيض لتتكلم وهي تلتف أنفاسها الأخيرة

يا صاحب العينين البنيتين مد لي يدك وأهمس لي في أذني بقول لا تحزني وضمني إلك لتدفئني بأنفاس قلبك الدافئ وعيناها تسيل دمعا فقالت وهي متنهدة...،لم أكن اتوقع في يوما ما أن وداعنا سيكون في الواقع مهجورا وفي احلامنا مغمورا بالحب والعناق الطويل، خذ بثأري ولا

تنساني يبدو أنها النهاية يا عزيزي...،وداعا...،وداعا.

وهو يبكي في صمت لتختفي من بين ذراعيه كالسراب، فأصبح يري بعينه الشارد لا شيء كأن قلبه انتزع من مكانه لتختفي حياته فجأة في ذلك الحيز الفارغ، وعينيه متسعة ويديه مرتعشة، ليجهش في البكاء ليتردد صدي بكاءه في المكان وفجأة يستيقظ (عمار) من نومه وأثار الدموع على وجهه وعيناه متسعة بهيستريا لتمسح (سارة) العرق الذي يتصبب من alexithymia تسمى على جبينه متمتمة د بكلمات استعاذة، فشعر بذلك الشعور ان العالم كله يضطهده شعر بتلك الحالة وهي حالة نفسية المصاب بها يعجز عن وصف شعوره او توصيل ما يحس به للأخرين وإلى من يوصل شعوره إلى أناس رأها في حلمه تربصوا به وقتلوا أعز ما يملك، فوصل لدرجة أنه لا يعرف ماذا يريدء ولكن انتابه شعور خلسة، ذلك الشعور الذي يلعنه وتلك الأرواح التي تنتابه في أحلامه وواقعه ترغمه على فعل شيء خارج عن سيطرته، فاضطر في قرارة نفسه ان يفعل شيئا حيال تلك الكوابيس التي تطارده، فنظر إلى عكازه فتحامل عليه ونهض من مرقده، وزوجته تحدثه وهو لا يعير لها انتباه كعادته، في ساعة متأخرة من الليل، ليدخل الحمام، ويفتح صنبور المياه،"

ويبدأ في البكاء المكتوم: لا يعرف لماذا يبكيء: ولكنه شعر بالراحة عندما أفرغ البكاء الذي بداخله: هون عن نفسه بعدما أفرغ عن الطاقات المكبوتة بداخله، ف ياة تحمل في طياتها الكثير من المشكلات والضغوطات والحروب النفسية، والبكاء يحرق تلك الازمات او جزء منها التي تطغي على أنفسنا في وضح النهار الزائف يدخل (عمار) عيادة الدكتور (ثروت) ليسأل سكرتيرته عنه، لترد

." ليس موجود هل تريد أن أبلغه شيء أ (عمار)؟ "

فاقترب منها وبصوت همس معطيها الهاتف المحمول يظهر فيها صورة (سمير) صديقه

" هل تعرفين ذلك الشخص؟"

فنظر بتوتر جانبها وإلى الأعلى، لتنهي الموضوع قائلة

" لا..،لا أعرفه، يا سيدي."

فنظر إلى ما حيث نظرت،ليجد كاميرا المراقبة" فأدرك ان هناك إن في الموضوع: فأبتسم ابتسامة خفيفة منسحبا من أسئلته الكثيرة وبعدها يدخل سيارته بصعوبة" ليخرج هاتفه مجري اتصالا بصديقه الذي اختفي فجأة عن الأنظار: فلا يجيب الهاتف المطلوب غير متاحا الان يمكنك الاتصال به لاحقا ليضرب بيده على المقود بغضب قائلة

" أين ذلك الأحمق هو الأخر؟"

بعد ساعة من الانتظار بدا الملل وضيق صدره يتسلل على وجهه، ومن ثم تغدو السكرتيرة

من المدخل لتسير على الرصيف،ليلمحها ليشد أزره مستعدا لتلك اللحظة لينادي عليها قائلا:

ممكن ان اوصلك يا أنسة لترتسم ابتسامة شكر متفاجنة على وجههها

"...،أ (عمار) شكرا جدا على ذوقك"

ومن ثم تركب السيارة بعد إصراره،لتجلس فتاة الريف وعيناها تلمحه بطرف عيناهاء فهي تعرف الغرض من هذه

التوصيلة ليصح توقعها عندما قال في عجلة

"أرجوك ساعديني هل تعرفين ذلك الرجل هو الذي عرفني بالدكتور،ارجوك انا واقع في عرضك..،أعطاها الهاتف بيريها الصورة وهي ما زالت تنكر عدم معرفته..،لماذا تتهربين من سؤإلى"

لتفول وهي مصرة على كلامها باستقطاب

" أ نزلني من فضلك يا أ (عمار) "

ليضغط على المكابح فجأة، لتتوقف السيارة، ليجذب معصمها بقوة وبصيغة مثيرة للشفقة متوسلاء ليقول لماذا لا تصدقي اني في مأزق كبيرء زوجتي خطفت من المشفي، وهذا الرجل كنت موصيه عليها ولا أعلم، أين هو"

فمن فضلك واسي قلبي المحترق عليها وساعديئي،لأعرف عنوانه "

ومن ثم تفلت يدها لتضع رأسها بين يديها باكية" لتقول "

" أنا خائفة"

" من..،من؟."،قال لها

" من هذا الرجل المجرم المجنون، بل كلهم مجرمون "،قالت له ليخاف هو الأخر من كلامهاء ليقول

" من هؤلاء؟، لا تخافي أعدك بأنني سأحميك، ولكن انطقي بسرعة زوجتي في خطر"

فمسحت دموعها لتتنهد قائلة:

"الرجل الذي في الصورة يدعي (سمير) كانوا أصدقاء في العمل، فكان يجلب لدكتور مرضي نفسيين من مختلف الفئات والأعمار....."

ليقاطعها برهة وذهنه شاردء ليقول لها وهو يبتلع ريقه:

."انتظري..،كيف هم أصدقاء و(سمير) قال انه يعرف طبيبا قادم من الخارج، وماهر في المهنة "كذب عليك حتى يحبكوا السيناريو جيدا فهو صديقه منذ ما يقرب الست سنوات وكما يقول العسكريين لقد وضعوك في

الكماشة هذا من جانب وهذا من الجانب الاخر"

(عمار) (flach back)

سأدعكما مع بعض سويا بعض الوقت ليري الدكتور عمله جيدا ": قال (سمير) لهما."

انتظر لا تتركني، إلى أين أنت ذاهب "، رد عليه (عمار) وهو يتشبث به كالطفل المذعور."

"،(عمار).....تماسك يا رجل ليس هكذا"

ليتركهما (سمير) ليخرج خارج الغرفة، ليستوقفه الدكتور (ثروت)،، قائلا:

" شكرا لك يا أستاذ.....،"

" (سمير) يا دكتور...،سمير)) "

" شكرا لك"

"يمكن انت من المرضي القلة، الذين زاروا هذه العيادة، فهذا الدكتور المجنون لا يعمل فيها بل يعمل على مرضي نفسيين في مخبر سري وعلى حسب معلوماتي أنه يعمل على صنع تركيبة غريبة ستكون ثورة في عالم الطب النفسي"، قالت له

" لحظة..،من أين عرفت كل هذا، رد عليها"

" لم يكن الوضع بالأمر السهل كما تظنء لا أعرف كيف سأقولها لك، ولكي تعرف أنني مظلومة من جراء أعماله الخبيثة جرني معه إلى طريق مظلم واستغل ضعفي واغواني بالمال، ففي إحدي الليإلى كان يضاجعني مثل الحيوانات، كان مخمورا كعادته، فكانت فرصة لإشبع رغبة الفضول لدي كان في حالة هذيان ولكنه كان متماسك بعض الشيء، فألفي ما في جعبته وعرفت السر الذي يدفنه منذ أن عملت معه في تلك العيادة القذرة، ولكن عدني بألا تقول له ما قلته لك "

" ولكن...،لماذا جعلتيه يفعل هذا بك،"، رد عليها لتقاطعه بصرامة وغضب أ (عمار) الوضع لا يحتاج إلى التجريح: فأنت لم تضع فمثل ظروفي فإن كان على كنت قطعته إربا إربا ومزقت أحشانه ولكني كنت خائفة على إخوتي إلتامى الصغار وأمي العجوزة المريضة فكان ذلك المعتوه يدفع لي بالدولار مما جعلني أصبر على أفعاله القذرة وأرجو أن تبقي الأمر سرا والان سأكتب لك عنوان (سمير) في ورقة، ولكن هذا لن يجدي نفعا فهو مثل البقية أما المجنون الاخر فهو يعمل في الخفاء ولن تجده هنا وأن كنت تريده فهو عند كبير القراصنة الدكتور (عوض) في المستشفى ومن ثم خرجت من السيارة، لتحدثه من خلف النافذة، وفي عينيها نيران الانتقام أنا واثقة جيدا ولكني لست متأكدة،: بأنهم وراء اختفاء زوجتك فإن كنت ستنتقم منهم، فأنتقم لي معك وتركته لتستوقف سيارة أجرة وترحل، لتتركه في حالة من السقوط في مستنقع أفكاره الشارده ليقول في نفسه ان كان الجميع يريدون الانتقام منهم:

فالسؤال هنا هل هم السبب في اختفاء زوجتي: اخاف ان يكون كلامهم أثر على وتكون زوجتي تحت تجربة احد العمليات الطبية الإرهابية اخاف من ذلك لا تقولها...،إياك أن تقل ذلك، زوجتك ما زالت بخير لا أعرف أشعر انني وقعت في شبكة عذكبوتية وقيدت بخيوطها لا أستطيع الحركةأشعر بالعجز.

هياتحرك لم يعد متسع من الوقت وانطلق بسيارته مسرعا مبتلع ريقه متصبب عرقا ليسبه أحد المارة من جراء سرعته: ليصل بعدها إلى الشارع المؤدي إلى مشفي الأمراض النفسية والعقلية ليلفت انتباهه شخص يخرج من سيارة سوداء مرتدي بزة سوداء وفي كامل اناقته بنظارته ورأسه التي تلمع في الشمس ليتبين له انه الدكتور (ثروت) ليهدئ من سرعته رويدا رويدا ليتوقف سيارته بعيد بأعين مترقبة وبعدها يدخل الدكتور المشفى وبخطي متعرجة ينتظره خلف السياج وخلال دقائق يستقطع بنظره

" معقول ان يكون هذا الدكتور (عوض) مستحيلء: تري يا رب ماذا يقولان": قال في نفسه.

وعند إمعانه النظر لمح بطرف عينه داخل حديقة المشفي (المالكي) مستند بظهره على السياج يدو فيه النظر بغرابة:

ليهز رأسه مستنكر وجوده ينظر إلى الارض قائلا في خاطره:

" تهيؤات...،تهيؤات: القاعدة تقول لا تعر له أي اهتمام،".

ليغمض عينيه حتى ينفي وجوده: ليومئ (المالكي) برأسه بملامح باهتة وهو ملقي بنظره على النافذة ليقول بعدم رضا لا أعرف ماذا أقول لك والله لا أعرف ماذا أقول...،ليلتفت برأسه نحوه معاتبه..،لماذا انت مغمض عينيك انظر لي و واجهني لماذا لا تصدقنا؟

ليرد عليه بغضب بعد أن طفح كيله:

" أنتم من"

لتهز يده طفلة تبيع مناديلء قائلة له:

" ارجوك،يا سيدي اشتر مني فأنا جائعة "

ليعطيها حفنة من النقود في عجلةلتركض الطفلة فرحة ليلتفت نحو (المالكي) فلا يجده فتتسع عيناه ليلتفت حوله كالمجنون فلم يجد له أثرء وفي خلال هذا في الجهة الأخرىء يجلس الدكتور (ثروت) على الاريكة في توتر ملحوظ وبعد أن انتهي الدكتور (عوض) من لملمة أوراقه، ليلقي نظره من فوق الأوراقء قائلا في حزم " ماذا تريد يا (ثروت)؟ " ليرد عليه بإبتسامة مريضة

" لو تكرمت سيادتك، كنت أريدك أن تعيرني بعض المرضي لبعض الوقت لو على الأقل مريضين"

ليلقي الاخر بأوراقه بغضب شديد،ليقول بصرامة " يبدو أنك لست لماح جيدا الحكومة تشمشم في كل مكان كالجرذان، وانت هنا لتقول بنفس ساذجة، اعرني بعض

المرضيء يبدو أنك غير مدرك للأمور التي حولك جيدا" "

" أنا فقط حدثت معي مشاكل في العمل ليقف مكانه وبحاجبه الأشعث ليقول لا يهمني، ما الذي حدث معك؟،ليستوقف الاخر مذهولا من ردة فعله، ليقول في عدم تصديق ""

ماذا تقصد سيدي؟

لتتسع عيناه عندما سمع تلك الجملة التي ألقت في أذهانه من ذي قبل على والده عندما رفض مشروعه، ليلقي بحتفه منتحرا على إثر رفضه، ليضع عينه على الارض خارجا من الباب، ليسير في الرواق ليلقي بنظارته على الارض ليقول بغضب جامح:

" أنا يحدث لي هكذا هل يظن ان الزمن سيعاد مرة أخرى سأوريك يا ابن العاهرة."، قال بصوت مسموع ليلفت انتباه وبخطي إعصار غاضب يرتاد سيارته، ليلمحه (عمار) ليختبئ خلف عمود الانارة: لتمر من جانبه، ليصل بعدها هو الاخر الى سيارته، ليلحق به هو الاخر وعلى طريق في وسط الصحراء تسير سيارته خلف سيارة الدكتور بمسافة بعيدة متوخي الحذر لتنعطف فجأة سيارة الدكتور ليكمل (عمار) طريقه بعد أن القي ببصره على ذاك المبني القديم المحاط بالأشجار والنخيل، ليستوقف الدكتور سيارته ليراقب المكان بمنظاره كالعادة فيجد الطريق امننا فيخرج ليفتح حفيبة السيارة، ليخرج منها حقيبة سوداء مليئة بالطعام ليغلقها بإحكام ليسير بخطي مهزوزة ملتفت حوله ومن جهة أخرى يسير (عمار) بخطي متعرجة وسط النخيل مجففا عرقه ليبتلع ريقه وهو يسير بصعوبة من كثرة الرمال ليلاحظ بريقا في وسط حبيبات الرمال ينعكس في عينيه ليجثوا على ركبته إلمني ملتقط تلك القلادة بدا لوهلة بأنه رأها من ذي قبل لتتسع عيناه فجأة ليفتح القلب الذي بداخله صورته هو وزوجته (أميرة)

(عمار) (flach back)

ها هي (أميرة) تجلس أمام المرأة بطلتها البهية بقميصها الوردي تزين نفسها مغمضة عينيها لتطليهما بالكحل الأسود ليربت عليها شخص من الخلفء لتفزع ملتفته خلفها لتجده زوجهها لتتنهد قائلة

« لقد أفز عتني يا حبيبي.»

ليلامس بخده وجنتيها الحمرواتان ليقول بأنس

«أنت جميلة جدا لترد عليه بخجل

« لماذا تأخرت كل هذا الوقت يا عزيزي؟ »

كنت حائر لا أعرف ماذا أختار لأزين به رقبتك التي أفضل من رقبة الاميرات...،ليضع القلادة على رقبتها لتتسع عيناها مندهشة...،كان سيليق عليك الألماس ولكن لو كان بيدي كنت زينتك بمجوهرات العالم كله كل عام وانت طيبة وجميلة يا عزيزتي لتتدخل البهجة والسرور عيناها لتقول

لقد نسيت أنه يوم عيد ميلاديء كيف تذكرت»،ليرد عليها وعيناه ممتلنة بالحب والطمانينة: «

« أنسي حياتي كلها ولا أنساك يا حبيبتي»

تيقن كل التيقن انها واجهت مصيرها وحدها وارتفعت روحها إلى السماء، وإمعانه في القلادة سبب له حالة من الشرود طويل المدي ليشعر بإختناق في حلقه لتسيل دموعه الصامتة ومع استرجاع لذكريات جعلته يتمدد يتلوي على الارض من شدة الاختناق لسبب معرفته لشيء واحد فقط انها اختفت وان تلك الكوابيس كانت تشير بسبابة إصبعها على الحقيقة الخفية بين ثنايا سواد أعشاش العقول الباطنية، فأحس بحركة ليجد الدكتور قد خرج من المبنى، بملامح غاضبة وبعد أن أقلع بسيارته زحف ليتسند على عكازيه،ممضي نحو المبني وعند الدخول توقف برهة مثير دهشته ذلك المبني المتصدع،ليصعد السلم وهو متوجس ملتفت حوله بسبب أصوات وتحركات الخفافيش ليصعد الطابق العلوي، ليفتح الباب المهترى معقد حاجبيه متعجبا من تلك الطاولات الموضوعة على جانبي الغرفة والتي تحتوي قنينات كيميائية ليغدو نحو المكتب جالسا على المقعد باعثا في الأوراق التي أمامه لم يفهم شيئا من المعادلات والرموز الرياضية والرسومات الكيميائية ليبعثر فيها بعشوائية فاتحا الادراج ليجد أدوات طبية ليقول وهو يجز على أسنانه صافع المكتب بيده

« إذا هذا هو المختبر السري الذي يقولون عليه»

"ليفتح أحد الادراج ليخرج أحد الملفات المغلفة بعناية مكتوب عليها " الرجوع الى الماضى "

عبر العقل الباطني بواسطة بوابة العالم الآآخر،كان غير مستوعب ما يقرأه فواردته مكالمة-هاتفية فلم يرد منغمس فيما يقرأه الا ان تكرر المكالمه ليرن هاتفه المحمول فيجد الذى يطلبه الدكتور (عبدالرحمن)

أنا لا أصدق الذي أراه بعيني إنها تركيبة كيميائية رهيبة ذات نوع فريد بمقدورها ان تخدر قطيع من الثيران بالكامل مسببة كم من الهلاووس الهائلة وبما أنني واقف أمام هذه التركيبة العجيبة فأنا عاجز عن معرفة وظيفتها حتى الأن إلا إنها تسيطر على الخلايا العصبية ولا أعرف ما المراد من هذا ولأي سبب صنعت فبعد ان رتب الأمور في ذهنه جيدا ليرد عليه بشرود

" أنا أعرف وظيفتها "

اااااااااه...،لا شيء سأبعد صديقي عن تناول تلك المادة السامة والاقلاع عنها فورا شكرا على مساعدتك دكتور(عبدالرحمن) ليغلق المكالمة بسرعة لتأخذ تجاعيد وجهه بالعبوس والغضب مغمضا عينيه ليقول بزجر

"يا ابن الكلب،: كنت تستخدمني كل تلك المدة فأر تجارب،"

ليضغط على الورقة بقبضة يده ليفتح عينيه ينظر إلى الورقة التي في يده ليملس تجاعيد ها ليعيدها إلى ما كانت عليه،ليرتب كل شيء كما هو هنا في عيادة الدكتور (ثروت) يجلس على مقعده بإرتخاء رأسه مثقلة وعيناه شبه مغماه حاملا في يده زجاجة النبيذ بغض النظر عن تلك الزجاجات الفارغة الموضوعة بعشوائية، وبعد أن ارتشف رشفة نظر بميل نحو صورة أبيه: ليقول في خيبة بصوت محشرج

" وماذا بعد يا أبتاهء وماذا بعد"

ليصمت قليلا ويعتدل ليقول ساخرا من نفسه بعد ثلاثون عاما.....،صوت زغطة...،بعد ثلاثون عاما يقال لى نفس الكلام الذي قيل لك بعد ثلاثون عاما بعد وفاتك تعاد نفس الكرة لا أعلم أن كان التاريخ يكرر نفسه ام أن تلك العائلة نحس أم السم يتذوقه طباخه ام أنني فاشل لأنني أمنت بفاشل كبير مثلك واتبعت حلمك الذي عزفت طوال حياتك على تحقيقه لينهض من على مقعد مكتبه مرتشف رشفة غير متزن قوامه واقفا أمام صورة أبيه ملقي اللوم عليه بضجر وحزن لماذا ان أتبعتك مإلى ومالك ها انا أعرف أنك لم تضربني على يدي لأنك لم تراني من الأساسكنت على خطأ عندما عزمت على تحقيق حلمك طوال حياتي البائسة لقد كنت حقا غبيا لماذا أحقق حلم غيري لماذا من البداية لم أحلم حلميالخاص مثل بقية البشر ها لماذا زرعت أمي الانتقام والثأر لك، لماذا اعمت بصيرتي قل لي لماذا؟، ماذا كان سيحدث لو أصبحت عازف بيانو أسعد مسامع الناس لأخفف عنهم هموم حياتهم الشاقة لن يحدث شيء...،لن يحدث شيء كان ماضيك سيغلق وينطفئ وستنسينا الحياة ونمضي في دروبها بدون أية أعباء

او مخاطر محفوفة بالخوف والقلق والتوتر وتعب الأعصاب يا للعنة يا رجل لقد خلقت أفكارك مني شخص مسخ لا أؤمن بالحياة ولا أؤمن بالحب ولا أؤمن بالمسلمات ولا أؤمن حتى بنفسي..،لتنزل دموعه..،لقد أجرمت أمي بحقي عندما اختارت لي طريق الهلاك وإعادة الماضي وإضرام نار الحقد في قلبي،لن اسامحكم على ما فعلتوه بي...،ليلقي بقنينة النبيذ لتنكسر على صورة أبيه وبصوت عإلى...،أجبني...،صوت ضحكات مبحوحة...،لا تقل لي بما كسبت يداك،،لقد أصبحت شيطانا ينتظر موعد الجحيم بصدر رحب،وكل ما سأقوله لك الان إن كوابيسي تشير على اقتراب موعد نهايتي ووقتها سأقابلك يا أبي وانا خائف جدا ولن أسامحك أبدا

لتسقط دموعه بغزارة، ليسقط على الارض ممدا وعيناه شاخصتان في سقف الغرفة كان تائها بين شعوره بإلقاء اللوم على أبيه وأمه ام عليه، كان مؤمن ان الانسان لا يختار شيء بل الحياة والأشخاص الذين يشكلون ويختارون لأنفسهم ولغيرهم ما يريدون، ولم يؤمن بان الله وهب عقل لمعرفة الاختيارات التي وضعت أمامك والتي بيديك ان تختارها وتسلكهاء فالعقل هو مؤشر الحكمة الذي تضغط عليه لتعرف ما تسلكه هذا ان كان صحيحا ام خاطناء لم يجد إجابة بالذي هو فيه لينام متمنيا بألا يستيقظ إلى الأبد.

يطرق شخص بقوة الباب،ليفتح (سمير) وعليه علامات الاعياء وعينه شبه المغلقة وذقنه المتنامي الغير معتني به وحالته التي يرثي لها لتتسع عيناه فجأة عندما فتح الباب: ليقول في صدمة

« (عمار)...." ليركله بسن عكازه في منتصف صدره ليسقط على الارض متألما ليلقي بعكازه الأيمن ويخرج مسدسه وهو يثور غضبا ليصرخ في وجهه قائلا وهو يصوب ناحيته

« لماذا قتلتموها؟، لماذا؟...،انطق"

لترتعد نظرات (سمير) من فوهة المسدس التي صوب رأسه:، ليزحف بظهره للخلفاء،وشفتاه ترتعشان ليتكأ صاعدا على المقعد ليجلس بوجهه حزين وملام وجفنان لم يذوقان طعم النوم واضعا يده المرتجفة ليحمي بها وجهه ليقول

« أنا لم أقتل أحد يا صديقي "

ليصرخ الاخر في وجهه بملامح تشر منها النار

« لا تقل تلك الكلمة على لسانك ثانية فاهم..،لماذا فعلت هذا؟"

ليعيد الاخر جملته بجدية

« أنا لم أقتل زوجتك.".

« إذا من أمي."، رد عليه

ليبادله نظرة تعاطف مبتلع ريقه والأرق والاعياء عليه ليقول

" سأقول لك كل شيء ولكن اهدأ"

ليصرخ في وجهه واضع فوهة المسدس في منتصف جبينه

" لا تقل لي أهدأ من قتل زوجتي أيها الجبان الخائن للعيش والملح"

" صدقني أنا لا أعرف شيئا غير أن الدكتور (عوض) سلمها للدكتور (ثروت): هذا ما أعرفه صدقني."

ليرد عليه مضجر وبؤبؤ عينه منفجر من الغيظ والجنون

" الدكتور المشبوه المجنون الذي كنت تعمل معه منذ سنوات، سلمتني إليه بكل برود وقلب أسود غليظ كافر لا يعرف الرحمة بعد تخطيط مسبق، لقد كنت مغفل بشكل أثق في البشر مجنون من يثق من حوله، هل هنت عليك؟، وانت تفعل هذا لايا رجل دعك مني هل هانت عليك وانت تسلمها للموت بيدك،لقد استأمنتك عليهاء لا لا لا لقد استأمنتك على حياتي كلها،".

ليلوح بيده بعشوائية وهو شارد غير مصدق ما فعله صديقه فيه ليسير ذهابا وايابا كالمجنون، ليقول وهو يلقي كلمات اللوم وسبب تعاسته في حياته:

لم استأمنتك على حإلى ومإلى لم استأمنتك على عرضي وحياتي وانت بكل خسة وجبن وخيانة وضيعة لتقتلني ألف مرة بقلب بارده لم يعرف يوما معني الأخوة وعهد الصداقة القديم الذي قطعناه بيننا لماذا خذلتني يا صاحبي؟

كيف مللتني يا صاحبي وخذلتني

ما نفع حكمتنا بدون فسبوة

ما نفع حكمتنا على باب المشاة خذلتني يا صاحبي

قتلتنى

وعلى وحدي ان أري وحدي مصائرنا

ووحدي احمل الدنيا على كتفي ثورا هائجا

وحدي افتش شارد الخطوات عن ابديتي

لابد من حل لهذا اللغز

" محمود درويش"

ليقترب من وجهه قائلا بصوت همس

"لقد جعلت حياتي سوداء وعليك وحدك ان تقرر مصيرك او عقابك الذي ستناله مني"

ليصوب مسدسه شادا أجزائه لترمش عيناه فجعا وفجأة بعد بضع لحظات ليفتح عينه ليقول بتوسل غريب

أنا أعرف ما هو عقابي انا مذنب ودمرت حياة أناس أبرياء لم يكن لهم أي ذنب وأن قتلتني فسيكون عدل من الله لا ظلم منك اقتلني يا صديقي فأنا متعب من أنين الضمير اقتلني حتى اتخلص من تلك الكوابيس ليغير كلامه دهشة (عمار) الذي وقف لبرهة لا يعرف ماذا يقرر ولكنه اخفي مشاعره ليبتسم ابتسامة مخيفة

لا لن أقتلك سأجعلك تذوق مرارة الموت وتشتاق له أو على الاقل سأجعلك تشيخ بالقرب من طفلك الكسيح لأري ان كان سيحمل عنك ظهرك أم لا اللهم لا شماتة ولكن انظر إلى نهايتك فالعبرة بالخواتيم لقد اذاقك الله السم الذي اذقته للناس...،صوت ضحكات...،لقد خذلتني ألف مرة وانا لن سأخذلك مرة واحدة ولن أقتلك سأجعلك تقتل نفسك أيها الخائن

ليبصق في وجهه، ليدخل مسدسه ليتحمل على عكازيه، ليتركه بعد أن انتقم منه انتقاما مدويا ليشفي غليله ونار قلبه تاركه في ندم وحزن وشعوره بالذنب حيال ما اقترف ناحيته، ليبكي لا طما على وجهه عاضض انامل اصابعه، ليلقي اللوم عليه يقود (عمار) سيارته على طريق حقول زراعية ليستوقف سيارته أمام سيارة بوجيه قديمة واقفا أمامه رجل فلاح بجلبابه العتيق ضخم الجثة ذو شارب طويل وتجاعيد وجهه السوداء طغي عليها الزمن لينزل الاخر متحملا على عكازه بخطي متعرجة ليتفاجأ الرجل الاخر ليهرع عليه بصوته الجهوري قائلا

" ما الذي حدث لساقك يا أ (عمار)؟ "

لم يعر لمشاعره المزيفة اي اهتمام، وملامح جادة

" هل أحضرت الأموال في صورة شيكات مصرفية كما اتفقنا"

" نعم احضرتها وهذا شيك بثمن بيع الارض وهذا شيك بثمن بيع المعدات والالات الموجودة في المزرعة" قال له.

ليتفقد الأرقام المكتوبة، ليقول له وهو يخرج ورقة عقد البيع

." هذا عقد بيع الأرض وهذا إمضائي"

وبعد انتهاء الاخر من الامضاء ارتسم على وجهه مراسم الفرح ليخرج (عمار) ظرف من جيبه

ليعطيه له، قائلا

هذه أمانة يا حاج (عبد الغفار) اوصلها للعم (عقاب) وابلغه اسفي لعدم وداعه قبل أن اسافر وأن هذا المبلغ مكافأة نهاية الخدمة

واستدار وقبل ان يرتاد سيارته سأله الرجل عن سبب بيعه للأرض فارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهه، ليقول قال لي أبي...،الارض من العرض ان خسرت عرضك فمن السهل ان تبيع أرضك،وانا لم أخسر عرضي بل خسرت حياتي كلها

لتستفهم علامات التعجب على وجهه:، قائلا

" لا حول ولا قوة الا بالسه العلى العظيم"

قبل غروب الشمس في تلك الحقول الزراعية الزاهية بألوانها الخضراء، ينعطف (عمار) بسيارته أمام كوخ منزلي وسط المساحات الشاسعة من الحقول وبخطي متعرجة يطرق الباب لتفتح زوجته (سارة) لتعائقه عناق حار كالعادة، مستمتعة بحك خديها فيه والبرود سائد على ملامحه رغم اشتياقها واستقبالها الحافل به لتقول له بتحمس بالغ

" حماتك تحبك،لقد انتهيت من تجهيز العشاء للتو"

ليرد عليها مستقطبا ملامحه

أنا شبعان،وبخطوات متعرجة: ذهب ليستريح على كرسي الخيزران الخشبي، ليزيح عن عاتقه تلك العكازات الذي اشمئز من شكلها لتشمر عن ساعديها لتأكل الطعام الموضوع على المنضدة وهي هاضمة لطعامها وحدها فهي معتادة ماسر إحضارك لي إلى هنا يا (عمار)،، ليرد عليها

" ماهر هنا."اودعته عند جارتنا كما قلت لي" ليومئ رأسه قائلا مفهوم ينظر إليها بإشمئزاز ليتذكر ما حدث في خيال حلمه

(عمار) (flachback)

الناحية الأخرى تفتح (سارة) حقيبتها لتخرج زجاجة عقار لتفرغه في عصيرها بعض الحبوب وهي مراقبة بحذر الام وطفلها وبعدها تنتهي (أميرة) من مواساة الطفل والتخفيف عنه لتجلس ثانية معتذرة لها عن ضجيج طفلها لترد عليها لا يهمك شيء ومن ثم في وسط حديثهما التقليدي يرتشف ان العصير وهي تحد ببصرها بترقب وبعد دقائق معدودة حدث ما كان في حسبانها لتشعر (أميرة) فجأة بمغص في بطنها وألم شديد يفتك بأمعائها وارتفاع درجة حرارتها لتسقط على الارض مستغيثة دامعة عينيها لتتقيأ لتتشنج ليغمي عليها من شدة الاعياء الرهيب لتأخذ (سارة) أكواب العصير بيدان مرتجفتان وتغسلهما لتتركهما ممددة على الارض بجانب طفلها الذي يبكي لتخرج مسرعة من الباب وحدقة عيناه " ان كان هذا حدث في حلمي فكيف لم يحدث في الواقع وأن كان حدث في الواقع، فكيف اثبت ذلك، لا أعرف."

قال في خاطره، ضاغطا بيده على وجهه لكي يكبح انفجاره ليأخذ نفسا عميقا زافرا ببطء، لينفث هواء غاضبا ناظرا لها باتساع حدقة عينيه من بين أنامل أصابعه ليعاود الحديث مع نفسه مستسيغ اسألته ليستطيع الوصول إلى حل ذلك اللغز المعقد

" اهدأ...،اهدأ يا (عمار)...،فالقاعدة تقول ان كنت تشك في أحدهم فواجه بالحقيقة مرة واحدة فتسعون بالمائة سيصدم ومن ثم يتلعثم في كلامه ليقع في ماضي فخاخ شر أعماله ويوشي لك بالحقيقة في الحالولكن كيف البداية.

ومن ثم يلمس تجاعيد وجهه: ليعيد ترتيبها من الغاضب المحترق إلى البارد المتجمد،فائفلات الأعصاب يفقد الشخص الكثير من التركيز وهذا هو سر نجاح الرجل الأبيض والاصفر ليلقيها مرة واحدة

" لماذا قتلتي زوجتي؟،"

لينزل عليها السؤال كالصاعقة، ليحشر الطعام في بلعومها متوقفة عن المضغ لتخرج بقايا الطعام من فمها ناظرة له بفجع وذهول لتهز رأسها غير مستفهمة، لتسال في صدمة من أمرها

" ماذا تقول يا عزيزي، ليكرر سؤاله بكل برود كجبل الثلج

" لماذا قتلتي زوجتي؟ "، لترد هاربة من الموضوع،مستكملة طعامها الذي يدخل كالسم في بدنها قائلة

" لا أعرف أن أ صدقك مزحك الذي على العشاء...".

ليقاطع كلامها موضحا سؤاله باستعانة من حلمه:

« لماذا وضعتي الحبوب المهلوسة في عصيرها وهي تهدأ من روع طفلها لأي سبب فعلت فيك لتفعلى فيها هكذا»

لتنهض مسرعة متقيئه في ذلك الدلو الحديدي كأنها تتقيأ الماضي الخفي الذي كشف عنه الستار لتنهض ممضية نحوه وعيناها مفتوحة بهيستريا لتقول

لقد أذقتها نفس السم الذي أذاقته لي الا وهو سم الفقدان والحنين اخذتك من بين يدي وتركتني وحيدة بائسة بلا رحمة غير منتبه بي ولا حتى مهتم حاولت أن انسيك اياها ولكنك ما زلت مصمم على الرفض لتضع يدها على كتفه وهو مومئ برأسه بالنفي شاعرا نحوها بالاستياء والاشمئزاز والضجر والحزن ليقول لها وهو يحرك شفتاه بصعوبة

« انت مجنونة،».

انا لست مجنونة منذ الصغر ونحن جيران وانا أحبك،: وانت لا تعر لي أي اهتمام لم تبادلني ولو ابتسامة واحدة فعلت كل شيء في سبيل ارضائك وانت ببرود شديد لا تهتم كأنك لست من هنا كنت تحبها بشدة إلس صحيح،ما الذي فيها زيادة عني ها اخذتك من يدي بين عشية وضحاها كأنها جن أسحرتك واخفتك ولكني لم أستسلم بل فعلت ما في وسعي حتى ابعدها عنك وفعلتها وسرت على الطريق وتزوجتك رغم مخالفة كلام أمي وقلت ستنساها ولكنك كنت أحمق ظللت أسيرا لحبها فعلت المعجزات لأغيرك فظللت أنا أسيرة حبك صدقني يا عزيزي انا أحبك دعك من الماضي ودعنا نبدأ حياة جديدة سعيدة سعداء نتبادل الحب مع بعضنا.

وبكل استياء وضيق من حديثها الفج الذي أثر على مسامعه سقطت دموعه حزنا على زوجته: ليقول لها منفرا منها

« ابتعدي عني...،ابتعدى،»

لتضغط على كتفه بقوة مصرة على رأيها

« لأن ابتعد فأنت ملكي الان..،أفهمت،».

وفي أثناء ذلك يلمح مقصا حديدا يدويا كبيرا موضوعا بجانبه على الطاولة التي خلفه، ليلتقطه وبكل قوة يغرزه من الخلف من وجهها ليرجها وانفاسها تلهث في أنفاسه ليقول مسرعا لقد احببتيني حب امتلاك» حتى سولت لك نفسك ان تدمري حياتي حتى تحصلي على...،تلفظ اخر أنفاسها...،لا أعرف أن اوصف لك شعوري حيالك الآن» هل بالشكر على اهتمامك وحبك المخيف لي، ام للأسف انني لم أواجهك منذ البدايه وقلت لك انني لا أريدك: حقا أنا أسف..،ابتعدي عني إلى الأبد لتثقل من يده ليهوي بها على الأرض ليحدثها وهي تخرج أخر زفير:

« ام على لعنك، سبعون الف لعنة على تاريخ جمعني بك »

لتزهق روحها امامه ليهزها مناديا عليها فلا ترد ليتمدد على الارض بجانبها مشهق ومزفر بصعوبة: فهو لم يشعر بذلك الاحساس من قبل هل هو قاتل ام منتقم لم تعرف شكوكه بأي منهما غير أنه خائف ضاحك وباكي بهيستريا في نفس الوقت وبعد عدة ثواني توقف عن ذلك ومسح دموعه ليزخف على الارض والحزن والخيبة مغطيان وجهه، ليخرج من الكوخ مخلف ورائه جريمة ليلتقط خشبة وهو يزحفه ليتسند عليها مرتاد سيارته مقلع بها في سرعة هاوية في نفس إلوم قرب العشاء في مستشفي العباسية، يقتحم شخص بقوة ليدخل مكتب الدكتور (عوض): ليفزع ناهض من مجلسه غاضبا من ذلك التصرف الغاشم ليقول

« من الذي سمح لك بالدخول واقتحام مكتبي بذلك الأسلوب الوقح، يا هذا»

ليضربه بسن العكاز ليجلسه مكانه متوجعا من الضربة التي أخذها في صدره ليرد عليه (عمار) وهو متوازن الملامح وببرود تام يكبل كلتا يديه على مسندان المقعد الجلدي ليقول له

« ملك الموت يسمح له بالدخول في أي وقت »

وبملامح باردة يربطه كافة بالحبل العريض ليتوسل إليه الدكتور بعينان حائرتان

« سأعطيك كل ما أملك: ولكن دعني ان أعيش»

ليرد عليه وهو يربطه بإحكام وغلظة

« ستعطيني كل شيء بعد أن خسرت كل شيء»

الدكتور بشفتان مرتجفتان

« هل تعرفني يا بني؟ هل رأيتني من ذي قبل؟، وكان لي معاملة معك»

ليرد عليه وهو يكبل وثاقه في ارجل الكرسي

« رأيتك في الحلم »

« هل أذيتك من قبل؟ ».

ليتوقف عما يفعله مستفهم بعلامات استفهام على جبينه

«يا لوقاحتك..،تعرفون أنفسكم تأذون وتقتلون الناس الأبرياء وبعدها تتوسلون، يالك من رجل حقير مخادع »

وبعد أن انتهي من ربطه جيدا جلس على سطح المكتب متألما من ساقه، ليردف قائلا مشيرا بسبابة أصبعه

" هل تعرف؟: كنت افكر في وضع نهاية بائسة لسيادتك: فقلت كيف يا (عمار) كيف!!!، امممم...،لقد خطرت في بإلى فكرة الجزاء من جنس العمل: لقد شنقت (المالكي) وأخيه او شنقا بسببك أيا يكن، سأشنقك كيفما شنقا وايضا من أجل زوجتي التي بعتها بخسة ولاقت حتفها

فيضع اللاصق البلاستيكي على فمه والآخر يبكي ليمسح (عمار) دموعه وهو يتظاهر بأنه حزين من أجله ليقول الآن تبكي كالنساء تاجرت بالمرضي الأبرياء كيفما يحلو لك كأنهم حيوانات ودمرت حياتهم، وبعدها تبكي يا لوقاحتك كله بالقضاء على أناس ضاعت عقولهم استغليت نفوذك وجبروتك وضعفهم المنكوب ودمرتهم بكل جبن وفكر شيطاني ما الذي ستقوله له؟، كنت اكتنز الأموال على حساب أرواحهم البريئة التي لم تؤذ مخلوق من أجل تصفية معاش جيد

وتتوقع الإجابة، لا بأس يا عبدي فلقد صافحت عنك امثالك لا يستحقون الرحمة ولا العيش بيننا اذهب يا أخي ربنا ينتقممنك أيها المجرم الذي لوثت المعطف الأبيض

ليضع الحبل العريض حول رقبته كعقدة ليدليه من على وصلة الستار وبعد عدة دقائق يخرج مقفل الباب خلفه متعكزا

ليسير بهدوء في الرواق متمتما بكلمات نصر واستحقاق

" هذا من أجل (المالكي) وأخيه وانتقام غير مباشر لزوجتي هانت لم يعد سوي القليل "

لتمر ممرضه وفى يدها مريضه اسفل مكتب المدير فى الحديقه لترى فى صدمه الدكتور (عوض) جالس على مقعد مكبل بالحبال على حافه النافذه على وشك السقوط لتصرخ بصوت عالى منفزعه ليركض رجال الامن ليفتحوا البال ليدلى الحبل بسرعة ليهوي الدكتور مشنوقا معلقا بإلتفاف في الهواء الطلق ليمر بجاتبه صوت نعيق الغربان

الساعة العاشرة مساءا على ساعة الحائط في بيت (سمير) الذي ما زال يجلس مكانه بوجهه العبوس المكتئب وهالات سوداء تحيط وجهه وذقنه المتنامي بكثرة مميل برأسه على كتفه الأيمن مهتزة رأسه مثئنه بسبب صوت أواني الطبخ والطفل الذي يبكي والزوجة تهرول باحثة عن شيء في غرفة المعيشة، والسرور والبهجة في عينيه لتقبله من جبينه، قائلة

" سأطهو لك عشاءا شهيا تأكل أصابعك ورائه"

لم تتغير ملامحه ولم ينطق بحرف والطفل يبكي شعر بإنفجار في رأسه ليحكم قبضته عليها متسعة عيناه،ليتحرك نحو الكومود بعجز فاقد السيطرة على أعصابه،: ليخرج المسدس مخفيه وراء ظهره،متدليا نحو الغرفة بهدوء، ليصوب المسدس في وجهه الطفل ليشد اجزائه، ليغمض عينيه في اللحظة الأخيرة وسبابة إصبعه الضاغط على الزناد ترتعش ليهز رأسه غير قادر

على فعل شيء والطفل يبكي وأعصابه انفجرت وبعدها يخرج من الغرفة ليجلس مكانه مرة أخرى بإمالة رأسه على كتفه وعينيه متسعتان بشدة ليتوقف صراخ الطفل فجأة فحينها شعر بالراحة النفسية لتحضر زوجته العشاء لتضعه على المنضدة لتقول في عجلة

« سأري الصغير قبل أن نأكل»

وهو يراقب حركتها لتدخل وتضئ ضوء الغرفة لتضع يدها على فمها مفجعة لتصرخ مهرولة نحو طفلها و(سمير) فمه بلغم وعلى وجهه بعص من نترات مسحوق ابيض لتتحسس وجهه بيدان مرتجفتان دافنة وجههها في صدره باكية بنحيب عإلى ارعش أعصابه أكثر لتخرج من الغرفة بعينان حمراواتان مهرولة نحوه مظهرة من يدها زجاجة بلاستيكية طولها عقلتين إصبع لتصرخ في وجهه: قائلة

« قتلت ابننا يا (سمير)...،بكاء...،قتلت ابننا استرحت بعدما قتلته"

والبكاء والدموع صورة لوجههها مرتسم الحزن على وجههها لتقول وهي تلوم نفسها

« لن أعيش مع شخص مجنون مثلك بعد إلوم وسأقتص منك في المحكمة: واجعلك تأخذ حكم الإعدام يا ابن الكلب »

لتستدير...،لتسمع شد الأجزاء لترتجف مغمضة عينيها في هلع ليرد عليها متوسلا

« ارجوك لا تتركيني، فأنا احبك سأعدك بأننا سننجب طفلا أخر غير هذا الكسيح.»

لتقول وهي ناظرة أمامها متسعة عينيها بغضب باكي

« سأبلغ عنك الشرطة طلقني حالا »

(سمير) متوسلا بجنون

« لا يا حبيبتي: فأنا احبك ولا أستطيع العيش بدونك فلا تفعلى هذ.»

طلقنى

فاستشاطته غضبا لينهال على رأسها ضربا بمقبضة المسدس لتتوإلى الضربات بقلب أعمي لتسيل الدماء من رأسها ليقول لها في أثناء ضربه لها

قلت لك أنا أحبك...،قلت لك أنا أحبك». »

ليكف بيداه المرتجفتان ساقط من يده المسدس بعد أن تأكد انها فارقت الحياة وبهيستريا بكاء محاولا إفاقتها(منال)...،ري على يا (منال)...،بكاء...،لا تتركيني ارجوك

وأن محاولاته لن تجدي الا خيبته، وبعد أن تأكد انها ماتت أيقن أن البكاء على اللبن المسكوب على الأرض لن يعيده الذي طالما برهن على صحتها صديقه القديم فألتقط مسدسه وعاد ليجلس على مقعده في ظل حسرته على ما جنته يداه لتسقط دموعه نادما على ما خلفه من جرائم دامية دنيئة احتضنت الشيطان.....،لأذهب إلى طريق الشر لأفعل المنكرات والخبائث...،بدم بارد تاجرت بأرواح البشر خنت صديقي وخذلته...،وقتلت زوجتي وطفلي لأزحف لاهثا متوسلا طالبا النجدة من الشيطان.... ليقول لي انا برئ منك إني اخاف الله رب العالمين

وصايا الشيطان التائب ""

و بعينان متسعتان واضع فوهة المسدس على رأسه، ليطلق رصاصة الرحمة الأخيرة على نفسه متخلصا من العذاب الذي صنعه بنفسهء لتتحقق النبوءة لتنتحر الروح بعروق محروقة

بعد منتصف الليل من نفس إليوم الذي شهد انتقام إلى أهلي السفح يستقل (عمار) سيارته خلف المبني القديم المحاط الأشجار والنخيل في وسط الصحراء، وصندوق السيارة المحمل بالعديد من المفرغات البلاستيكية المعبئة بالكيروسين، لينزل من السيارة وقد طاله تعب الإرهاق وخطوات متعرجة بحذر يصعد إلى الطابق العلوي، ليتحسس مسدسه أمام عتبة الباب، ليفتح الباب بخفة مصوبا المسدس نحو الدكتور (ثروت)، لتتسع عيناه متفاجئ بتلك المرأة الشبه عارية المقيدة من كلتا يديها وأثار ضربات كرباج على ظهرها بخطوط محمرة: وزجاجات النبيذ الفارغة على سطح المكتب ليقف الدكتور مخمورا ساخرا وفي يده زجاجة معتقة

" هاهاهاها...،انا لم أدعو أحد هذا الحفل خاص.".

ليشد أجزاء مسدسه،ليردف قائلا:

أي حركة: سأفجر راسك.".

ليعاود النظر بذهول إلى تلك المرأة ليدنو نحوها ليجده فتاة الريف المسكينة وهو موجهه السلاح نحوه بحذر وفي أثناء فك قيدها يقول

" حتى في الجنس ساديانت شيطان متجسد في صورة إنسان، وانا لست متعجب فالمعاتيه مثلك يفعلون اي شيء"

ليمد الدكتور يده في الدرج ليدلف مسدسه وبعد أن فك قيدها لتصبح ماثلة امامه وهي شبه مخدرة ليحاول كسي عورتها ليطلق الاخر رصاصة نحوها ليفجع (عمار) ليطلق طلقة هو الاخر من تحت ابطيها ليصعق من الدم فأخترقت رصاصته عضد ذراع الدكتور ليفلت منه مسدسه ليسقط على الأرض وتسقط الفتاة بعد أن اخترقت الرصاصة رأسها لتسقط هي الأخرى ليقول

الدكتور وهو ممسك ذراعه متألما

« اااه...،مجيئك إلى هنا دليل على نجاح التجربة إلس كذلك»

تجردت ملامحه من البرود مبتلع ريقه ينظر إلى الدماء ليقول

« تقدر ان تقول ذلك»

ليرد عليه الاخر بعين خبيثة

« كنت متأكدا ان ابتكاري العبقري سينجح وهذا هو الوضع أمامي»

ليومئ برأسه بالنفي وبتلك الخطوات المتعرجة، ليجلس على الطاولة الموضوع عليها القنينات الكيميائية، ليردف قائلا

« لماذا فعلت كل هذا؟»

« دعك من العواطف يا سيد (عمار)، فالغرب الملاعين سينتهزون تلك الفرصةالتي لا تقدر بثمن ستنال علنا أموال طائلة لا تحصي ولا تعدرد عليه ليلوح بمسدسه ليحك رأسه مستنكرا كلامه

« مهلا...،مهلا احسبك تتكلم بصيغة الجمع كأنني شريك في تلك الجرائم البشعة»

« ولم لاء سأعقد معك صفقة العمر سنكتب عقدا بتقسيم الأرباح، وأعطيك خمسون بالمائة من الأرباح »

ليرد عليه ساخرا

« كل الذي يهمك المال، أما ان تخلق للناس حالة من الجنون لا يهم ذلك»

« اما زلت مصدق نفسك انظر من النافذة على الناس السائرون تحت لقد جن جنونهم بسبب الفقر والحرمان والجهل والمرض والوهم الذي سيطر على عقولهم، لو كانت هناك فرصة لأنتهزوها حتى لا يقبعوا أماكنهم واقفين تحت رحمة القطيع، ولكن لم تستثني فرصة واحدة أمامهم: انهم على استعداد فعل اي شيء، حتى الشرف الذين يتحدثون ويتباهون به في أول مطاف سيقولون له وداعا انها أمور يجاملون به كلامهم ويهومون أنفسهم بأكاذيب تافهة، وعقولهم غير قابلة للاستعمال الادمي، ستضيع عليهم فرصة لأوهامهم المستعبدة تحت قوانين العبودية اللانهائية...،صوت ضحكات...،»

ليرد عليه وهو غير مقتنع بكلامه

« ان لم يكن فالفقر سنة الحياة خلق مع الإنسان، ان أكل الإنسان بشرف لقمة العيش فلن

يكون فقيرا سيصبح متعففا ذو أخلاق وسيكون هذا رأس ماله الذي سيدخله النعيم في الدار الأخرة،".

" هم اقنعونا بذلك، وتجدهم منعمين في جنة الخلد الذين نراها أمام أعيننا ام جنتك التي تقول عنها فلن يصدقها احد اذهب إليها ودعنا هنا نكمل ما بدأناه" رد عليه وهو يجز على أسنانه متألم من كثرة الدماء التي تنسال من ذراعه"

" اقنعوك...،لم يقنعوك: ليس لي دخل في هذا هل انت مستوعب ما فعلته أو ما ستفعله؟، هل انت مقتنع مما تقوله؟، أم مجرد عناد لنفسك الخبيثة هل تعرف ما الذي سيسببه ذلك العقار الغريب؟، ستخلق حالة من الجنون ستجعل الناس يتعثرون في ماضيهم ويفتشون فيه أسوأ ما في الموضوع،ان كل هؤلاء البشر هاربون من ماضيهم من تعثرات رخمة وخيبة إلمة سببت جرح عميق وذعر وهزائم وانتكاسات لا حصر وحتى ان رجعوا لم يستطيعون تغير تفصيلة واحدة ولو استطاعوا ذلك ستخلق حالة من الفوضي ودوامة لانهائية من الشقاء والتعاسة الأبدية وانا مؤمن دائما أن القدر كتب بسطور القلم الذي خلقه الله ولن ينفد احد من قدره حتى لو فعل المستحيل، ستجعلهم يذهبون إليهم بأرجلهم: ستخلق فجوة من الانتحار سيصدم الكثيرين بما فعلهم غيرهم ، ستجعل الجميع سيتربصون ببعضهم عن أخطاء كانوا يتمنون بأن تتلاشي نهائيآ سيجن العالم جنونه ولن يستطيع احد إيقاف هذا الجنون الرجوع إلى الماضي شأنه كشأن المخدرات سم يجري في العروق صنعه القلة وجنا الكثيرين من تبعاته السينة المرض والدمار كل الحكومات والمنظمات غير قادرة على ايقافه حتى اقتنع البعض بيه واصبح على إيقافه حتى اقتنع البعض به وأصبح يلهثون خلفه كالجراد المنتشر في أعماق المحصول الأخضر فلبثوا يصنعونه حتى غيرهم من الاخيار لن يستطيعوا ردع هذا الخطر المحدق بناء فأصبح سلعة تباع في الأسواق السوداء والبيضاء، ولن تنقصك انت الاخر فالبشر غير قادرين على استيعاب ما وصلوا إليه الآن وأنا من مكاني هذا سأخلصهم من شرك المبين فماذا تريد أن تكون نهايتك السوداء؟"

لينهض من مكانه، ليخطو بخطواته العريجاء نحوه ليقول الدكتور في يأس شديد بعد أن اتسعت عيناه مما قال: ليقول باستياء " أنا أعرف أن كلامي لن يجدي نفعا وانت قدمت إلى هنا ليس لمحاورتي بل للانتقام لقد سنمت...،سئمت من تلك الهرئات غباء شهوتي الغير مكبوحة أوصلتني إلى الصفر بل إلى نهايتي المحتومة"

ليخرج (عمار) من معطفه الرمادي هذا الأنبوب الاسطوانة ذا السائل الأخضر الغامق القاتم، ليقول بعينيه الباردتين " ما رأيك أن نذيق طباخ السم سمه الذي ظن انه صنعه بيده للأخرىء ولكنه لم يظن انه لن يذوقه في يوم ما،"

ليرد عليه الدكتور والهلع على وجهه و(عمار) يلتف من خلفه ماذا ستفعل يا مجنون

ليرد عليه (عمار) وهو خلفه ليقبض بيده على فمه ليفتحها رغما عنه:

ان كنت مجنونا فبسببك، هيا دق السم الذي صنعته بنفسك أرني كيف نهايتك

ليفرغ ذلك العقار في فمه والأخر يقاوم ببعسق اي قطر تنزل فمه ليضغط عليه بقوة ليفرغه في فمه لينهض ملتف حولمكتبه ليري كيف سيكون شكله بعينيه المتسعتان وفيهما وميض من نار لتتقلب أعين الدكتور إلى اللون الأبيض، ليخرج بلغما من فمه، مدر أصوات أنين ألم رهيب،ليتسلد على المقعد وبقع وبتسند على المكتب مر أخرى طالبا النجدة منه متوسلا بأن ينقذه،بمنظاره المريب التي اشتدت أوتار عروقه فجأة ليهرش الاخر في رأسه غير مبإلى، ليقبض على بطنه راكع عند قدم (عمار)، ليقول بعسوت غائب مبحوح

" انقذني يا (عمار)...،ارجوك"

ليومئ براسه مخرجا من معطفه مفرغ بلاستيكي عريض مدبب،ليصوب عليه الكيروسين سريع الاشتعال: والدكتور متسعة عيناه،ليبتعد (عمار) للخلف بخطوتين ويشعل عود الثقاب ليقول باتزان بالغ لم تعجبني تلك النهاية، فسأغير السيناريو..،منظرك يوحي بالضعف،هل اقتلعت؟،كم مدي بؤس من عاشوا تحت تجاربك من ضعف هل أيقنت انك ظلمتهم بخبثك الشرير لك ذلك"

ليشب الحريق في جسد الدكتور (ثروت) ليهرع راكضا صارخا مستنجدا من هول نار الحريق التي تلتهم جسده،ليوقع كل الفنينات ملتف حول (عمار) وهو متسمر مكانه دون ابداء رد فعل لم يهتز ولم يرمش له رمشة عين واحدة، ومن ثم داخل الرواق في قبو المبني،ليرش (عمار) الكيروسين بعد أن افرغ معظمها على جدران وأبواب الميني السفلي: وهو يرش على ذلك الباب راوده صوت ما بداخل الغرفة، ليفتح الباب لتتسع عيناه أندهاشا من المرضي الذي عثر عليهم الزمن لينادي عليهمليخرج ملتفتين حول أنفسهم مرتجفين رعبا ولكن هذا الشاب الذي يرتدي شورت ابيض باهث بشعره المحلوق بعينيه الحزينة الخائفة رفض الخروج، ليندهش من تصرفه ليسأله عما اذا كان لا يريد الهروب مثلهمه " لن أذهب،حتى يعود أخي: فهو قال لي لا تخف،سنرجع إلى الديار عما قريب"

لتسقط دمعة من عينيه ليتعكز نحوه محتضنه مواسيه بقوله،وهو يعلم أن أخاه قد قتل، فهو يشيه الفتي (براوني) ،" لا تقلق..،سوف يعود قريبا هو أبلغني بأنه في انتظارك ومتشوق لرؤيتك، فعد إلى البيت...،فهو يلجز رحلة طويلة وسوف يعود "،ليبكيان وهم في أحضان بعض مستوحشين بعد أشخاص قد حلموا بأن لا يفارقونهم إلى الأبد.

وبعدها قبيل بزوغ الفجر ذلك الأعرج الذي يصعد التلة الرملية متعثرا يقبض بأسنانه على ذلك الحبل العريض المتدلي خلفه وهو يسحبه،ليقف فوق التلة بصعوبة، ليشعل عود الثقاب وهو يواريه من الرياح،ليشعل فتيل الحبل،ليشب حريقا كبيرا في المبني برمته ويخرج انفجارا من تلك النافذة بسبب تفاعل المواد الكيميانية،متخلصا من أثار الماضي ماسحا معاناته ومعاناة غيره ممن تأذنوا من جراء تلك الأعمال الخبيثة ولكن هذا قطرة في محيط فالعالم يتسع ويحمل في طياته الشر والخير والصراع لن ينتهي طالما الأنفس تتنفس فوق الأرض وتحت السماء، ليبصق على الأرض ماسحا فمه من الدماء.

ليس أمر محرم ان تعود لتستعيد ما نسيته: ولكن من المحرم ان يضيعوا الأشخاص ما نسيته مما يتوجب القضاء عليهم جميعاًقال في نفسه

وبعدها يسير أحد العرابة بأغنامه، يبدو أنه شاب يرتدي ملابس مهترئة بعصاه التي بهش بها غنمه ليجد من قريب بعض غبار الادخنة فتجه نحو الأشجار ليري المبني المحترق وقد اخمدته مياه الأمطار فوجد حقيبة سوداء يخرج منها دخان طفيف ليفتش فيها ليجد صندوق حديدي صلب لم يحدث له شيء ففتحه ليجد العقار،يبدو أنه سيدخل قصة جديدة في صباح يوم مشرق: أصوات طائر النورس التي تطوف حول سفينة في عرض البحر والمسافرين مستندين على السياج مستمتعين بمنظر البحر يقف (عمار) مستند على عكازه قرب السياج وفي عينيه نظرة امل لتطلع إلى غد افضل تاركا خلفه هزائم وانتكاسات وما طواه الماضي من أحداث مخزية وأثاره السلبية التي ألحقت الأضرار المآهولة من تفهقر نفسيته: ليباغته طفل صغير من خلفه: ليجثوا بصعوبة ممسكا برأسه بحنان متأملا في عينيه التي تشبه أمه كأنه بحر بشاطئ رملي رمادي اللون مبهت الاحساس ليسأله ابنه سؤاله الاعتيادي

أين أمي (سارة) يا أبي؟: لماذا لم تأتي معنا

ليرد عليه أبيه مبتلع ريقه ممشطا شعره

أمك ليست (سارة)، أمك (أميرة) آلا تتذكرها

ليرد عليه الصغير ببراءة الأطفال

« أنا افتقدها كثيرا يا أبي»

ليتنهد قائلة

« وأنا كذلك يا بني»

ليغدو الطفل راكضا ليلهو مع الأطفال الأخرين ليقف ينظر إلى طيور النورس مستمعا بجمالها ليلمح يساره بطرف

عينه زوجته (أميرة) مرتسم على وجهها ابتسامة عريضة: وخلفه يقف (المالكي) وأخيه وعلى السياج جالس الدكتور كلاهما ينظران إليه نظرات غريبة:، لتمد (أميرة) يدها بمعني تعإلى: ليبتلع ريقه ليبدي ابتسامة غير مفهومة، فذهب إليها ليخبرها بما فعله وفجأة ينادي عليه ابنه ليستدير ويدنو نحوه ليسأله« إلى أين نحن ذاهبون»

فيعاود النظر إليهم فلا يجدهم فيذهل مندهشا ينظر إلى ابنه بإبتسامة رقيقة ناظرا إلى السماء ليتنهد قائلا« إلى البعيد يا بني حيث الجمال والهدوء والتفاؤل حيث لا يعرفنا أحد ولا يكون هناك ماضي»

« تمت بعون الله وبحمده»

كم لديك من السطور الجميلة التى اخذت
منك الكثير من المجهود و الاعتناء
لكى تكون افضل ما يمكن
لكى تعبر بها عن شعور داخلى
لم تستطيع ان تشاركه مع احد غيرك
مهما كانت سطورك
قصص .. روايات .. اشعار .. مقالات
باللغة
العربية او الإنجليزية او الفرنسية

تواصل معنا لتشارك سطورك مع العالم